الجامعة الأردنية

الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس

١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م

محمد خالد مصطفى المومني

باشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراة في تخصص التاريخ الإسلامي الأندلسي من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

١٤١٦هـ/١٩٩٥م

ب

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٥/٩/٣٠ واجيزت.

أعضاء اللجنة		التوقيع
الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله	المشرف/رئيسا	
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدّوري	عضواً	
الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبة	عضواً	
الأستاذ الدكتور صالح أبو ديـــاك	عضواً	صالح محمد فياض ابو دياك

الاهـداء

إلى والديّ وأستاذي وزوجتي واخواني

أهدي هذا الجهد العلمي المتواضع

شكر وتقديـــر

خالص الشكر وعظيم التقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله على ما بذله من جهود في سبيل إخراج هذه الدراسة، إذ لم يبخل عليّ بعلمه وكتبه، ونصحه وإرشاده، وما تميز به من سعة صدرٍ وحسن معاملة، وإلى الزملاء: نضال بني هاني، وتغريد المومني، وخلود أبو حمدان، وتيسير النعمان، ومعاذ الحياري، ومحمد النبابتة، وعدنان أبو طربوش، وخالد خليل، وأحمد الكيلاني، وأحمد العناسوة، ووليد الشطرات، على ما قدموه من عون ومساعدة.

المحتويــات

الملخص

الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس
١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م

محمد خالد مصطفى المومني

بإشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في أسباب ثورة الربض، ومجرياتها، ونتائجها، وموقف الأمير، والفقهاء والأهالي منها، وما آل إليه حال كل منهم بعد انتهائها، فجاءت في مقدمة وخاتمة، بينهما أربعة فصول.

تناول الفصل الأول جغرافية قرطبة التاريخية، والبشرية من حيث اسمها، وموقعها، ومساحتها، ومناخها، وتخطيطها، وأقسامها (مدنها، وأرباضها، وأقاليمها)، وأبوابها، ونهرها العظيم، وقنطرتها، وقصرها الكبير، ومساجدها، وكنائسها، ومقابرها ومتنزهاتها، والفئات السكانية التي عاشت فيها من العرب، والبربر، والموالي، والمستعربين، والمولدين، واليهود، والصقالبة، وكيفية نزولهم، وتعايشهم فيها في بوتقة واحدة.

وتحدث الفصل الثاني عن الحكم بن هشام، والأوضاع العامة في عهده (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) مبيناً حياته، وشخصيته، وأهم أعماله، وأسماء القضاة، والفقهاء، والعلماء الذين برزوا في أثناء حكمه، لما لبعضهم من دور فاعل في الهيج.

وناقش الفصل الثالث ثورة الربض مناقشة تحليلية، فهي ثلاث متسلسلة لها أسبابها، ومجرياتها، ونتائجها مبيناً موقف كل من الحكم والفقهاء، والأهالي منها.

ووضح الفصل الأخير أوضاع أهل الربض القبلي في فاس، والإسكندرية، وجزيرة إقريطش (كريت) بالتفصيل، والتحليل، منذ صدور قرار الأمير الحكم بتهجيرهم من قرطبة، ومدن الأندلس، وكيفية خروجهم، ووصولهم إلى المناطق المذكورة، وتأثيراتهم الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية فيها، وخروجهم من بعضها قسراً، وما آلت إليه حالهم بعد ذلك.

الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس

١٨٠ـ٢٠٦هـ/٧٩٦ـ٨٢١م

المقدمـــة:

لم تحظ ثورة الربض في قرطبة بعناية المؤرخين وتعمق الباحثين، وظلت أخبارها نتفاً في بطون المؤلفات التاريخية وإشارات محدودة في كتب التراجم، وقد شاب هذه الأخبار والإشارات - على قلتها - الاضطراب والتضارب والنقص.

وقد أدرك أستاذي الدكتور محمد عبدة حتاملة ذلك، ونبهني إليه، ووضع بين يدي كل إمكانات النجاح بالنصح، والإرشاد، والتوجيه المستمر، حتى جاءت الرسالة في مقدمة وخاتمة، بينهما أربعة فصول، تناول الفصل الأول جغرافية قرطبة التاريخية والبشرية، من حيث اسمها، وموقعها، ومساحتها، ومناخها، وتخطيطها، وأقسامها (مدنها وأرباضها وأقاليمها) ، وأبوابها، ونهرها العظيم وقنطرتها، وقصرها الكبير، ومساجدها، وكنائسها، ومقابرها، ومتنزهاتها، والفئات السكانية التي عاشت فيها من العرب، والبربر، والموالي، والمستعربين، والمولدين، واليهود، والصقالبة، وكيفية نزولهم وتعايشهم فيها، وطبيعتهم وصفاتهم العامة.

وتحدث الفصل الثاني عن الحكم بن هشام، والأوضاع العامة في عهده ١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م موضحاً حياة هذا الأمير منذ ولادته حتى وفاته مبيناً اسمه، ونسبه، وألقابه، وصفاته، وطبيعة شخصيته، وتوليه الإمارة مع أهم أعماله، ومميزات عهده، وأسماء القضاة، والفقهاء، والعلماء الذين ظهروا في فترة حكمه، مع شرح وافٍ عن كل منهم لما لبعضهم من دور فاعل في ثورة الربض (الهيج).

أما الفصل الثالث، فقد ناقش ثورة الربض في قرطبة مناقشة تحليلية مؤكداً أنها ثلاث ثورات متسلسلة، لها اسبابها، ومجرياتها، ونتائجها، ومبيناً دور الفقهاء منها تخطيطا وتنفيذاً، من بداية الثورة الأولى إلى نهاية الثالثة (الهيج)، وموقف الأمير الحكم، وما آلت إليه حالهم بعد ذلك.

ووضح الفصل الأخير أوضاع أهل الربض القبلي في فاس، والإسكندرية، وجزيرة إقريطش (كريت) توضيحاً تفصيلياً تحليلياً منذ لحظة صدور قرار الأمير بتهجيرهم من قرطبة، وكل مدن الأندلس، وكيفية خروجهم، ووصولهم إلى المناطق التي ذكرت، ونزولهم بها، وتعايشهم مع أهاليها، وما أحدثوا من تأثيرات دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وحضارية فيها، ثم خروجهم من بعض هذه المناطق قسراً، وما آلت إليه حالهم بعد ذلك.

وبعد استكمال الفصول الأربعة، استخلصت أهم نتائج الدراسة في الخاتمة، ثم وضع ثبت بأهم المصادر، والمراجع. فقد أفدنا من كتب الجغرافية في الحديث عن المدن والمواقع، والمسافات، والطرق بينها، ومن أهمها كتاب المسالك والممالك للاصطخري (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، ووصف جديد لقرطبة الإسلامية لمؤلف مجهول (ت ٣هـ/٩م)، وترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك للعذري (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، والمسالك والممالك الذي نشر منه أجزاء تتعلق بمصر والمغرب والأندلس للبكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، وكتاب الجغرافية للزهري (ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، وانس المهج وروض الفرج، وذكر بلاد الأندلس، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)، ومعجم البلدان للحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

وقد أفادت كتب الجغرافية من بعضها، فها هي ذي المعلومات تتشابه عند العذري مع صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة الإسلامية، وكتاب أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك للسباهي (ت ٩٩٧هـ/١٥٨٨م) مع كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م) مع كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول (ت ٥٨٧ هـ/١١٩١م).

أما كتب التراجم، فقد أفدنا منها في معرفة القضاة، والفقهاء، والعلماء، وشخصية الأمير الحكم، ومن أهمها: كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين، وكتاب قضاة قرطبة للخشني (ت ٣٦١هـ/٩٧١م)، وتاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس) لابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وبغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وتاريخ

الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، وسير اعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي (ت ٧٩٢هـ/١٣٩٠م).

أما كتب التاريخ التي أفدنا منها معرفة الأحداث المتعلقة بالثورة، فمن أهمها كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية (ت ٣٦٧هـ/٩٢٧م) الذي زودنا ببعض المعلومات المتعلقة بمجريات الثورات والمهاجرين الذين نزلوا بالاسكندرية، وقصة الفقيه طالوت مع الأمير الحكم الذي اثنى عليه المؤلف ومدحه، كما انفرد برواية توضح إصدار الحكم أوامره بقطع رؤوس المسجونين من الفقهاء والثوار. ومما يؤخذ على ابن القوطية الاضطراب والتضارب في الحديث عن مجريات الثورات وعدم ذكره لأسبابها وسنوات وقوعها وأحداثها ونتائجها ذكراً واضحاً، وكتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس لمؤلف مجهول (ت ٤هـ/١٠م) الذي زودنا بأخبار متفرقة غير متسلسلة عن شجاعة الأمير الحكم وعدله وفضله وحزمه، ونتائج الثورات دون الإشارة إلى اسبابها ومجرياتها. وكتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الذي يعد أفضل من تحدث عن الثورات بوضوح وتسلسل، فقد تحدث عن أسبابها ومجرياتها ونتائجها، وعن شخصية الحكم كذلك. وكتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) الذي زودنا بمعلومات عن شخصية الحكم وتصرفاته، وعن بعض القضاة والفقهاء مثل طالوت، وعن الثورة الثالثة دون الاشارة للثورتين السابقتين لها. وكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) الذي تميز كابن الاثير بوضوحه وتسلسله في الحديث عن شخصية الحكم واسماء القادة والقضاة في عهده، وثورات الربض جميعها باختصار في الأولى واعتدال في الثانية وتفصيل في الثالثة. ويؤخذ عليه عدم استكماله للحديث عن حال الربضيين بعد هزيمتهم في الثورة الثالثة. وكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) الذي تميز بعرضه المتسلسل الواضح للمعلومات التي وردت عند ابن الاثير وابن عذاري - من قبله - مع زيادة جميلة عليها تتعلق بكيفية نزول الربضيين في جزيرة إقريطش وخروجهم منها مهاجرين ومتنصرين.

ويمكن الإشارة إلى كتاب التاريخ لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، وتاريخ الامم والملوك للطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وولاة مصر للكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، والخطط المقريزية للمقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) التي أفدنا منها في الحديث عن كيفية نزول الربضيين بالإسكندرية والعيش فيها والخروج منها. وكتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م) الذي وضح لنا استنجاد أهالي إقريطش بالدول الإسلامية وخصوصاً الدولة الفاطمية عندما تعرضوا لهجوم نقفور فوقاس

عليهم سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، وكتاب تاريخ الانطاكي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م) الذي كشف لنا عن موقف أهالي مصر وخصوصاً الإسكندرية من سقوط جزيرة إقريطش بيد البيزنطيين.

وقد أفادت المصادر من بعضها، وأفاد منها من جاءوا في العصور المتأخرة، فها هو ذا الاوسي المراكشي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م) في كتابه الذيل والتكمله لكتابي الموصول والصلة يأخذ عن ابن القوطية، والنويري يأخذ عن ابن الاثير، وابن عذاري عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) والمقريزي عن الكندي، والصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٩٢م) في كتابه الوافي بالوفيات عن الذهبي وهكذا.

أما المراجع، فيمكننا الإشارة إلى كتاب الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية للمؤلف اسمت غنيم الذي اعتمدنا عليه مصدراً رئيسياً للمعلومات المتعلقة بدخول المسلمين إلى جزيرة إقريطش وسيطرتهم عليها مدة مائة وثمان وثلاثين سنة حتى خروجهم منها؛ وذلك لاطلاعه على المصادر البيزنطية، مما أغنانا عن الرجوع إليها، فاتحفنا بمعلوماته التي توافقت مع تسلسل الأحداث التاريخية التي ورد بعض منها في المصادر العربية ، وأكدها فازيليف في كتابه العرب والروم، وامين الطيبي في مقالته "إمارة عربية أندلسية في جزيرة إقريطش" وامام الدين في مقالته "Cordovan Muslim Rule InQritish, (Crete) 822-961 A.C" ، وأفدنا من كتاب المؤرخ بروفنسال Histoire De Lespacne Musulmane والمؤرخ دوزي في كتابه Histoire De Musulmans والمؤرخ محمد عبد الله عنان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس، وذلك لاطلاعهم على القطعة المفقودة من كتاب مقتبس ابن حيان التي تحدثت عن الفترة بين ١٨٨-٢٣٢هـ/٨٠٣-٨٤٦م.

وإتماماً للفائدة، زودت الرسالة بخرائط، وأشكال، وجداول توضيحية، فقد الحق في الفصل الأول جدولين أحدهما لمدن قرطبة، وأرباضها، وأبوابها، وثانيهما لأقاليمها، وعدد الحصون، والأبراج التابعة لها، وأربعة أشكال لأرباض قرطبة، وأبوابها، والطرق التجارية التي تلتقي بها، وطريق المحجة العظمى فيها.

والحق بالفصل الثاني جدولين شمل الأول منهما اسماء القضاة في قرطبة وسنوات تقلدهم في فترة إمارة الحكم بن هشام، والثاني اسماء الفقهاء الذين عاصروا الأمير الحكم وسنوات وفاة بعضهم.

أما الفصل الثالث فقد احتوى مخططاً يوضح خط سير فرسان الحكم من القصر إلى الربض القبلي عندما ذهبوا لتنفيذ خطة الأمير في إحداث الحريق فيه.

والحق بالفصل الأخير خارطتان توضحان الطرق التي سلكها الربضيون في هجرتهم من مدينة قرطبة إلى مدينتي فاس والإسكندرية.

وبعد، فإنه لا يسعني إلا أن ازجي وافر الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد عبده حتامله ـ واساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ ـ على ما أبداه من إهتمام وتوجيهات مستمرة صائبة أخرجت الرسالة بالشكل الذي جاءت عليه.

الفصل الأول

جغرافية قرطبة التاريخية والبشرية

جغرافية قرطبة التاريخية:

نتناول الحديث عن الجغرافية الطبيعية بمعلومات تمهد لموضوعنا الرئيسي لمعرفة: اسمها، وموقعها، ومساحتها، ومناخها وطبيعتها، وتخطيطها وأقسامها، وأبوابها، ونهرها العظيم، وقنطرتها، وطرقها، وقصرها الكبير، ومساجدها وكنائسها، ومقابرها، ومتنزهاتها.

اسمها: تباينت الآراء واختلفت حول أصل كلمة (قرطبة) ومدلولها فقيل : إن أصل الكلمة رومي[١] مشتق من كردبا (قردبا)، وقد ظهر هذا الاسم بعد الحرب البونية الثانية ١٨٦ ــ ١٧١ق.م بين رومة وقرطاجنة[٢] ، وقيل: إن أصل تسميتها يعود للنبي سليمان الذي أعجب بها عندما مرّ فيها قائلا لأصحابه: "قرطبوها بالحجارة سيكون لها زي عجيب وشأن عظيم"[٣] .

---

(١) الحموي: شهاب الدين ابي عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٤، ص ٣٢٤، وسيشار له : الحموي: معجم.

(٢) سالم: السيد عبد العزيز: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ٢ج،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م، ج١، ص ١٧، وسيشار له : سالم: قرطبة، سالم: السيد عبد العزيز: "قرطبة في العصر الاسلامي"، مقال منشور في المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، مطبعة الارشاد، بغداد ـ العراق، العدد (١٢) ،١٩٨٠م، ص ٢٢، وسيشار له : سالم : قرطبة (مقال).

(٣) الزهري: محمد بن ابي بكر (ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، بلا، د. ت. ص ٨٦، وسيشار له : الزهري: الجغرافية.

أما مدلول كلمة قرطبة، فقد تفاوت في اللغات المختلفة، فقيل: إنهـا تعـني في اليونانيـة القلـوب المشككة[١] وفي القوطية القلوب المختلفة[٢]، أما في العربية، فهي مشتقة من "القرطب" ويقصد به العـدو الشـديد[٣] ، أو القـوة وغلبـة الآخريـن حسـب قـول الأصمعـي: طعنـه فقرطبـة إذا صرعـه[٤]، وقيـل : مشتقة من "القرطبا" أي السـيف الـذي يقطـع الأشـياء[٥] ، أو مـن "قرطبـة" الـتي تعـني يـا عـاقل، اجـر فاسكنها[٦] .

ومهما يكن الأمر في اختلاف أصل الكلمة ومدلولها، فإنها تعد مدينة قديمة سكنها فئات مختلفـة من جنسيات عديدة في فترات زمنية متفاوتة، تكون الغلبة دائما فيها للأقوى الـذي يسـتطيع أن يسـيطر على أوضاعها الداخلية ويدافع عنها ويحميها من الأخطار الخارجية.

موقعها: تتوسط قرطبة الجزء الجنوبي الأندلسي من جهتي الشرق والغرب[٧]، وتقع على ضفة نهر

---

(١) المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ج ، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص ٤٥٩، وسيشار له : المقري: نفح.

(٢) العذري: أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥ م) نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسـات الاسلامية، مدريد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص ١٢١، وسيشار له : العذري: ترصيع ؛ البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، الطبعة الأولى، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص ١٠٠ ، وسيشار له : البكري: جغرافية الأندلس؛ الحميري: محمد بن عبد المنعم (٨٦٦هـ/١٤٦١م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. احسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت: لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٤٥٨، وسيشار له : الحميري: الروض ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٤١.

(٣) الحموي: معجم، ج٤، ص ٣٢٤.

(٤) المصدر السابق: ج٤، ص ٣٢٤.

(٥) المصدر نفسه: ج٤، ص ٣٢٤.

(٦) العذري: ترصيع ، ص ١٢١ ؛ البكري: جغرافية الأندلس، ص ١٠٠ ؛ الحميري: الروض ، ص ٤٥٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٥٨ ، ٥٤١.

(٧) مؤلف مجهول (ت: ٣هـ/٩م) وصف جديد لقرطبة الاسلامية، نشر: د. حسين مؤنس، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التعليم العالي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، فرانثيسكو دي اسيس مندث كاسار بيجو، م ١٣، مدريد، ١٣٨٥-١٣٨٦هـ/١٩٦٥ - ١٩٦٦م، ص ١٦٤ ، وسيشار له : مجهول: وصف؛ الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) أنس المهج وروض الفرج، معهد تاريـخ العلوم العربية والاسلامية في اطار جامعة فرانكفورت، يصدرها: فؤاد سزكين، مخطوط، طبع بالتصوير عن مخطوطتي حكيم اوغلي وحسن حسني ، مكتبة السليمانية في استانبول، فرانكفورت: جمهورية المانيا الاتحادية ، ص ١٤٩، وسيشار له : الادريسي: أنس ؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٦٥.

الوادي الكبير[١]، وسفح جبل العروس[٢]، مما جعلها منطقة إستراتيجية تجارية مميزة لفتت أنظار المؤرخين الجغرافيين القدامى، فحددوا المسافات بينها وبين جميع المناطق الأندلسية الأخرى بالمقاييس المتاحة، كالمرحلة والميل واليوم والليلة[٣]، مما يعطينا دلالة واضحة على أهمية قرطبة وموقعها المتميز.

---

(١) القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٣ج، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د. ت، ج٥، ص ٢٢٦، وسيشار له : القلقشندي: صبح ؛ ابن السباهي: محمد بن علي (ت: ٩٩٧هـ/١٥٨٨م) أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مخطوط رقم (٥٥٩) مكتبة الجامعة الأردنية : عمان : الأردن،ص ٧٦أ، وسيشار له :ابن السباهي:أوضح.

(٢) الزهري: الجغرافية، ص ٨٧ ؛ الحميري: الروض ، ص ٤٥٦.

(٣) أنظر تفاصيل هذه المسافات من المصادر التالية: ابن خرداذبة: ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، المسالك والممالك، دار المدينة، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، ص ٨٧، وسيشار له : ابن خرداذبة: المسالك ؛ اليعقوبي: أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) كتاب البلدان، منشور ضمن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته، مطبعة بريل، ليدن ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص ٣٥٤، وسيشار له : اليعقوبي: البلدان ؛ ابن الفقيه: أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص ٨٢، ٨٧-٨٨، وسيشار له : ابن الفقيه: مختصر ؛ الاصطخري: ابراهيم بن محمد الفاسي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) كتاب الأقاليم، بلا ، د. ت، ص ٢٤ - ٢٥، وسيشار له : الاصطخري: الأقاليم ؛ الاصطخري: المسالك والممالك ، طبعة انتشارات كتابخانة صدر، د. ت، ص ٤٦-٤٧، وسيشار له : الاصطخري: المسالك ؛ المقدسي: محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٣٥٧هـ/٩٨٥م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٢٤٧-٢٤٨، وسيشار له : المقدسي: أحسن؛ ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م) كتاب صورة الأرض، مكتبة الحياة: بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص ١١٠-١١١، وسيشار له : ابن حوقل: صورة ؛ الرشاطي: ابو محمد عبد الله بن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) الاندلس في اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق : ايميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ٧٣ ، وسيشار له : الرشاطي: الأندلس؛ الادريسي: أنس: ص ١٤٣-١٤٤، ١٤٩-١٥٠، الادريسي: ذكر بلاد الأندلس، مخطوط رقم (٣٠٤) الجامعة الأردنية، عمان : الأردن، ص ٢٤، ٩١-٩٣، ٩٩، وسيشار له : الادريسي: ذكر ؛ الادريسي: القارة الافريقية وجزيرة الأندلس (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٢٩٨-٣٠١، ٣٠٦-٣٠٧، وسيشار له : الادريسي: القارة؛ ابن الخراط: عبد الحق بن عبد الرحمن (ت ٥٨١هـ/١١٨٦م) اختصار إقتباس الأنوار، تحقيق: ايميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ١٧٧، وسيشار له : ابن الخراط: اختصار، الحموي: معجم، ج٤، ص ٣٢٤ ؛ ابن الشباط : محمد بن علي المصري التوزري (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) قطعة في وصف الاندلس وصقيلية من كتاب صلة السمط وسمط المرط، "ذكر فتح بلاد الأندلس"، منشور في كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ١٤٧-١٤٨، ١٥٧، وسيشار له : ابن الشباط، صلة السمط؛ ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن نور الدين (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) كتاب تقويم البلدان، تعليق: رينورد وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، ص ١٢٧-١٢٨، ١٧٣، ١٧٥ ، ١٧٧ ؛ وسيشار له : ابو الفداء: تقويم؛ ابن السباهي: اوضح، ص ٧٦أ.

مساحتها: اختلفت الوسائل المستخدمة في قياس مساحة قرطبة، كما تفاوتت المساحة من مؤرخ لآخر، فقيل: طولها ثمانية فراسخ وعرضها فرسخان[1]، وقيل: طولها عشر درجات وعرضها ثمان وثلاثون درجة ونصف[2]، وقيل: إن طولها ثلاثة أميال وعرضها ميل واحد[3]، واختلاف وسيلة القياس التي تؤدي إلى الاتفاق على المساحة شيء طبيعي في أي زمان ومكان، لكنّ الاختلاف الذي يؤدي إلى التفاوت في نسبة المساحة يعود إلى تطور الزمان وإجراء بعض التعديلات على التقسيمات الإدارية، مما يجعل كل منطقة معرضة للزيادة والنقصان، ومهما يكن الأمر، فإن المقاييس السالفة الذكر تعطينا دلالة على أن شكل قرطبة مستطيل.

٤٥٨٩٤١

وقد وضع الدكتور أحمد فكري مقاييس له فقال: إن طول الضلع الجنوبي يقارب كيلومترا واحداً وكذلك الضلع الشمالي المقابل له، أما الضلعان الشرقي والغربي فطول كل منهما كيلومتر ونصف[4] ، ولا نعرف الأسس التي اعتمد عليها فكري في إجراء هذا القياس، لكن، عندما نقرأ قول ابن حوقل عن قرطبة: "وهي نفسها مستديرة، حصينة السور وسورها من حجر"[5] يجعلنا نتوقف قليلا لنؤكد أن الشكل الدائري لا يعارض الشكل المستطيل، إذا عرفنا أن الدائرة أحاطت بهذا المستطيل، بمعنى أن سورها كان دائريا التف حول المدينة دون الأرباض التابعة لها، فبلغت مساحتها طولا من القبلة إلى الجوف الفاً وسبعمائة ذراع، وعرضها من المشرق إلى المغرب ألفاً وأربعمائة ذراع[6]، وقيل:

---

(١) الزهري: الجغرافية، ص ٨٦، المقري: نفح، ج١، ص ٤٥٨ (الفراسخ = ٢٤ × ٦ ميل).

(٢) ابن سعيد: ابو الحسن علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق: اسماعيل العربي، الطبعة الأولى، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٦٦–١٦٧، وسيشار له : ابن سعيد: الجغرافيا.

(٣) المقري: نفح، ج١، ص ٥٥٨.

(٤) فكري: أحمد: قرطبة في العصر الاسلامي (تاريخ وحضارة) مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د. ت. ص ١٧٠؛ وسيشار له : فكري: قرطبة.

(٥) ابن حوقل: صورة، ص ١٠٨؛ وقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن السور جاء على شكل متوازي أضلاع؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ١٦٧ ؛ سالم : تاريخ، ص ٤١٣.

(٦) مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ وأنظر: العذري: ترصيع، ص ١٢١ (طولها ١٩ ألف وعرضها ١٤٠٠ ذراع). وقد ذكر ابن حوقل أنه دار بسورها في مدة ساعة من الزمن ؛ ابن حوقل: صورة، ص ١٠٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٠. وهذا صحيح إذا استثنينا الأرباض، لأن المسافة في هذه الحالة لا تزيد على أربعة كيلومترات ؛ سالم: قرطبة ج١، ص ١٦٧، ج٢، ص ٣٠ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٧٣.

إن محيط هذا السور يتراوح بين ثلاثين ألف ذراع[١] وثلاثة وثلاثين ألفاً[٢]، إذا شمل الأرباض، وهذه المساحة هي الأدق؛ لأن محيط قصر الإمارة بلغ الفاً ومائة ذراع[٣]، فكيف يكون محيط السور للمدينة من ١٤٠٠-١٧٠٠ ذراع؟

ولنؤكد تغيير المساحة لدور مدينة قرطبة حسب تطور الزمان واختلاف التقسيمات الادارية، فقد بلغ زمن القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) أربعة عشر ميلاً طولاً وميلين عرضاً[٤].

وسورها حجري قديم من بناء الرومان[٥]، وقد رممه المسلمون في عصر الولاة زمن الوالي السمح بن مالك الخولاني سنة ١٠١هـ/٧١٩م والأميرين عبد الرحمن الداخل سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، والحكم بن هشام الذي حفر خندقا حوله سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م[٦].

مناخها وطبيعتها: تميزت قرطبة باعتدال هوائها (مناخها) وطيب مائها وكثرة عيونها وآبارها[٧]، مما أدى إلى كثرة بساتينها وثمارها وعمارة القرى والحصون التابعة لها[٨]، وقد عبر موسى بن نصير

---

(١) البكري: جغرافية الأندلس، ص ١٠٠-١٠١؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١٧٥ ؛ القلقشندي: صبح، ج٥ ، ص ٢٢٦؛ الحميري: الروض ، ص ٤٥٨ ؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٧٦أ ؛ المقري: نفح ، ج١، ص ٤٥٨، ٥٤٨.

(٢) ابن حوقل: صورة ، ص ١٠٨ ؛ العذري: ترصيع ، ص ١٢٢.

(٣) المقري: نفح ، ج١، ص ٤٥٨ ؛ وورد الرقم خطأ في أحد المصادر القديمة وهو ألف ذراع ومائة ألف ذراع، مجهول: وصف ، ص ١٦٨.

(٤) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٥٥٢، وسيشار له : القزويني: آثار؛ المقري: نفح ، ج١، ص ٥٢٠.

(٥) فكري: قرطبة، ص ١٧٠، ١٧٣.

(٦) ابن القوطية: ابو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/٩٢٧م) ، تاريخ افتتاح الأندلس (الرسالة الشريفة) تحقيق وتقديم: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ص ٢١١، وسيشار له: ابن القوطية: تاريخ؛ مجهول: أخبار، ص ٢٤؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٨٠، سالم: قرطبة، ص ٣٤ ، ١٦٦ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٦٩-١٧٠.

(٧) ابن الفقيه: مختصر، ص ٨٨ ؛ ابن القوطية: تاريخ ص ٢١٤؛ المقدسي: احسن ص ٢٣٤-٢٣٦ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٤-١٦٦.

(٨) المقدسي: احسن، ص ٢٣٤-٢٣٥ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٤.

عن ذلك بقوله:" يا قرطبة، حبذا أنت ما أطيبك، وأطيب ليلك ونهارك، ما أحسن اعتدال هوائك"[١] .

تخطيطها وأقسامها: ننظر إلى مدينة قرطبة من ثلاثة جوانب رئيسية هي: المدينة نفسها، والأرباض التابعة لها، والأقاليم والقرى التي تضمها.

ونبدأ بالجانب الأول موضحين أن قرطبة قبل الفتح العربي الإسلامي كانت قرية تابعة لمدينة إشبيلية، ذلك أن الإمبراطور قسطنطين الروماني قسم شبه الجزيرة الإيبيرية إلى قسمين، الأدنى الذي يشمل المناطق الشمالية والشرقية، والأقصى الذي يشمل المناطق الجنوبية والغربية، وهما يشملان ست مدن، إحداها إشبيلية التي تتبعها سبع عشرة قرية كانت قرطبة واحدة منها[٢] .

ولما جاء الإمبراطور آرغوسيتوس، جعل القسم الأدنى ولايتين هما: باطقة ولشدانية، واتخذ قرطبة عاصمة لباطقة، لكن هذا لم يستمر طويلاً، فقد جاء الوندال وغيروا التقسيمات الإدارية، وجعلوا مدينة إشبيلية عاصمة لشبه الجزيرة الإيبيرية، وظلت كذلك حتى سيطر البيزنطيون على مناطق شبه الجزيرة، واتخذوا طليطلة عاصمة لدولتهم[٣] .

جاء المسلمون وفتحوا شبه الجزيرة الإيبيرية واتخذوا قرطبة عاصمة للأندلس زمن الوالي أيوب ابن حبيب اللخمي سنة ٩٩هـ/٧١٧م[٤] ، وحافظوا على التقسيم الروماني القديم في جعل مدينة قرطبة قسمين: شرقي وغربي يفصل بينهما سور حاجز، بني لفصل الأهالي الذين يسكنون القسم

---

[١] ابن القوطية: تاريخ ، ص ٢١٤. ويذكر المقدسي أن قرطبة في بعض الأحيان كانت تتعرض لرياح كثيرة فيحصل فيها البرد. المقدسي: أحسن، ص ٢٣٤، ٢٣٦.

[٢] أنظر تفاصيل التقسيمات الإدارية: البكري: جغرافية الأندلس، ص ٥٩-٦٤ ؛ العذري: ترصيع (مجلة مدريد)، ص ١٢٩.

[٣] سالم: السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ٢٩٣-٢٩٤، وسيشار له : سالم: تاريخ؛ سالم : "قرطبة"، ص ٢٢-٢٣.

[٤] مؤلف مجهول (ت ٤هـ/١٠م) أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة ربدنير، مجريط، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، مكتبة المثنى : بغداد، ص ٢١، وسيشار له: مجهول: أخبار ؛ المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مراجعة: محمد الفاسي، مطبعة الثقافة، سلا: المغرب، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص ٥، ٢٢٦، وسيشار له : المراكشي: المعجب ؛ ابن عذاري: أحمد بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٤ج، تحقيق: ج. س. كولان والبفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت: لبنان ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص ٢٥، وسيشار له : ابن عذاري: البيان، شيخ الربوة: شمس الدين ابي عبد الله محمد الانصاري (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى: بغداد ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ص ٢٤٢ (سنة ٩٨هـ/٧١٦م)، وسيشار له : شيخ الربوة: نخبة الدهر ؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٤.

الشرقي عن مراكز الجند في القسم الغربي، وأطلقوا على القسم الشرقي المدينة العتيقة، والشرقية أو المدينة فقط، وأطلقوا على القسم الغربي المدينة العليا والمدينة الوسطى وقبة قرطبة أو القصبة[١] .

ولم يكتف المسلمون بالمحافظة على هذا التقسيم، بل طوروه في فترة متأخرة إلى خمس مدن عبر عنها الإدريسي بقوله: " وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضاً، بين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات... ومدينتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة وفيها المسجد الجامع..."[٢]. وأسماء هذه المدن هي الرصافة شمالاً وشقندة جنوبا والزاهرة شرقا والزهراء غربا ويتوسطها جميعا قرطبة المدينة الوسطى، وقد وجد لهذه المدن حراس وعرفاء[٣] ، مما يعطينا دلالة على استقلاليتها.

أما الجانب الثاني المتعلق بقرطبة فهو الأرباض التابعة لها، والربض ـ بالضم ـ تعني أساس المدينة من الداخل، والربض ـ بالفتح ـ تعني ما يتبع هذه المدينة من أحياء قريبة منها أو ضواحٍ خارج أسوارها[٤] * ؛ ذلك أن الحي والضاحية أصبحتا كلمتين مترادفتين تعطيان نفس المعنى، من حيث إنهما أرباض، لأن المدينة عندما تتسع تشمل الأحياء والضواحي ولا يصبح بينها حواجز[٥] .

---

(١) سالم: قرطبة، ج١، ص ١٨، ١٦٣.

(٢) الادريسي: القارة، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ الحميري: الروض، ص ٤٥٦؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٥٨.

(٣) مؤنس: حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، الطبعة الثانية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة مدبولي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٢٩٣، وسيشار له : مؤنس: تاريخ الجغرافية.

(٤) الحموي : شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) المشترك وضعا والمفترق صقعا، بلا ، د.ت، ص ٢٠٠، وسيشار له : الحموي: المشترك ؛ الحموي: معجم ، ج٣، ص ٢٥ ؛ البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٣ج، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت: لبنان ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج٢، ص ٦٠١، وسيشار له : البغدادي: مراصد.

* ويطلق على الربض في الاسبانية Arrabal. أنظر بروفنسال: مادة "ربض" المعارف الاسلامية، ج١٠، ص ٣٣.

(٥) مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص ٢٩٢.

وقد انتشرت الأرباض في معظم مناطق العالم الإسلامي، سواءً أكان في المشرق أم في المغرب، فمن أرباض المشرق الإسلامي في مكة: الحجون، وقعيقعان، وأجياد الكبير[١]، وفي بغداد: أبو عون، وأبو حنيفة، وأبو أيوب، ورشيد، وحرب، وحميد[٢]، وفي حلب: أصبهان والداريين[٣] وغيرها كثير بأسماء أشخاص[٤] .

أما في المغرب الإسلامي وبخاصة الأندلس، فهناك أرباض في غرناطة (ربض البيازين)[٥] والمرية (ربض الحوض)[٦] وأرباض أخرى في دانية ومرسية ولورقة[٧] وجزيرة صقيلية في البحر الأبيض المتوسط[٨] .

لقد انتشرت الأرباض انتشاراً كبيراً في قرطبة وتوزعت في اتجاهاتها كافة في القرن الرابع الهجري، وقد عبر عن ذلك أحد المؤرخين بقوله: " وعدد أرباضها المحيطة بها أحد وعشرون ربضا، كل ربض منها يزيد عرضه وطوله على الميل، وفي كل ربض منها من المساجد والأسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون إلى غيره، فأول ربض منها ربض شقنده ثم ربض منية عجب ثم ربض الريحاني، ثم الرقاقين، ثم ربض مسجد الكهف، ثم ربض بلاط مغيث، ثم ربض مسجد مسرور، ثم ربض الروضة، ثم ربض الأبوري، ثم ربض مسجد الشفاء، ثم ربض مسجد مسرور، ثم ربض الروضة، ثم ربض السجن القديم، ثم ربض باب اليهودي، ثم ربض الرصافة، ثم ربض شبلار، ثم ربض فرن بريل، ثم ربض الفرج، ثم ربض منية عبد الله، ثم ربض المغيرة، ثم ربض الزاهرة، ثم ربض المدينة، ثم ربض العدوة، وقصبة الملك بوسط هذه الأرباض"[٩] .

---

(١) مؤلف مجهول: (ت حوالي ٥٨٧هـ/١١٩١م) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد: العراق، د. ت، ص ٩، وسيشار له: مجهول: الاستبصار.

(٢) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، ١١ج، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار سويدان، بيروت: لبنان، د، ت، ج٨، ص ٤٥٩، ٤٦١؛ وسيشار له: الطبري: تاريخ؛ الحموي: المشترك، ص ٢٠٠؛ الحموي: معجم، ج٣، ص ٢٥-٢٦؛ البغدادي: مراصد، ج٢، ص ٦٠١.

(٣) الحموي: معجم، ج٣، ص ٢٥-٢٦.

(٤) البغدادي: مراصد، ج٢، ص ٦٠٢.

(٥) المقري: نفح، ج٤، ص ٥١٧، ٥٢٠، ج٦، ص ٧٧، ج٧، ص ١٤٥، ١٦١، ١٦٥.

(٦) الادريسي: القارة، ص ٢٩٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٦٣.

(٧) الادريسي: القارة، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥، ٢٨٨.

(٨) شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ١٤٠.

(٩) مجهول: وصف، ص ١٦٨-١٦٩.

وبتحليل عام للنص السابق، نخرج بالحقائق التالية:

١- يبلغ عدد أرباض قرطبة حتى القرن الرابع الهجري واحداً وعشرون ربضا.

٢- المعدل العام لمساحة كل ربض أكثر من ميل طولاً وميل عرضاً، والميل يساوي ٢ كلم٤* .

٣- تتوافر في كل ربض الخدمات العامة التي يحتاج إليها السكان، بحيث لا يضطرون إلى الخروج لأماكن أخرى من أجلها، كالمساجد والأسواق والحمامات وما شابهها.

٤- تتوزع الأرباض على مدن قرطبة الإدارية كما يلي:

أ- المدينة الجنوبية (القبلية/قُرطبّة): وتضم ربضين هما: شقندة، ومنية عجب[1] . وقد أطلق على ربض شقندة لقب ربض قرطبّة ولقب الربض القبلي ولقب الربض[2] ، نسبة لثورة الربض التي قامت به، والتي هي محور حديثنا في الفصول اللاحقة.

ب - المدينة الغربية: تضم تسعة أرباض هي: ربض حوانيت الريحان (الريحاني)، وربض الرقاقين، وربض مسجد الكهف، وربض بلاط مغيث، وربض مسجد مسرور، وربض الروضة (مسجد الروضة)، وربض الأبوري، وربض مسجد الشفاء، وربض السجن القديم[3] .

ج - المدينة الشمالية: تضم ثلاثة أرباض هي: ربض باب اليهود (اليهودي) وربض مسجد أم سلمة، وربض الرصافة[4] .

د - المدينة الشرقية: تضم سبعة أرباض هي: ربض شبلار، وربض فرن بريل، وربض الفرج (البرج)، وربض منية عبد الله، وربض منية المغيرة، وربض الزاهرة، وربض المدينة العتيقة[5] ، وهناك ربض العدوة[6] .

٥- ورد رقمان متعارضان لعدد الأرباض في النص هما: واحد وعشرون وثلاثة وعشرون، أولهما جاء كتابة صريحة وثانيهما بإحصاء عدد الأرباض في النص، وللتوفيق بين هذين الرقمين، فقد ظهر أن العدد الصحيح هو واحد وعشرون، لأنه ورد في النص اسم ربض مسجد مسرور وربض الروضة مكروراً مرتين.

---

* هنتس: فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة عن الالمانية ؛ د. كامل العسلي، الطبعة الأولى، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص ٩٥، وسيشار له : هنتس: المكاييل.

(١) مجهول: وصف ، ص ١٦٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥ "نقلا عن ابن بشكوال".

(٢) الحموي: المشترك، ص ٢٠١ ؛ بروفنسال: "الربض"، ج١، ص ٣٣.

(٣) مجهول: وصف، ص ١٦٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥-٤٦٦.

(٤) مجهول: وصف، ص ١٦٨ (لم يذكر ربض أم سلمة وربما سقط سهواً)، المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٦.

(٥) مجهول: وصف ، ص ١٦٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٦.

(٦) مجهول: وصف، ص ١٦٨ (وهذا الربض زائد عن العدد عند هذا المؤرخ).

٦- لم يرد في النص ربض أم سلمة في المدينة الشمالية وربما سقط سهواً، وورد بدلاً منه ربض العدوة في المدينة الشرقية ليتطابق عدد الأرباض عند المؤرخين.

وقد وردت في بعض الكتب التاريخية والجغرافية أسماء مكرورة لهذه الأرباض وروداً متفرقاً[(١)] وأسماء أرباض زائدة حدت بعض المؤرخين أن يذكروا أن عدد الأرباض وصل إلى ثمانية وعشرين ربضا[(٢)].

ومما يلاحظ على أسماء الأرباض الواردة في النص، أن بعضها سمي بأسماء مساجد، مثل الكهف ومسرور والشفاء، وبعضها بأسماء أحياء تجارية، مثل الريحاني والرقاقين، وثالث بأسماء أماكن جغرافية، مثل الروضة والرصافة والمدينة القديمة والعدوة، ورابع بأسماء أماكن عامة مشهورة، كالسجن القديم وباب اليهود وبلاط مغيث، وخامس بأسماء متنزهات، مثل منية عجب ومنية عبد الله، وأخيراً بأسماء أشخاص كالمغيرة وأم سلمة. وهذه دلائل عامة توضح أن تسمية كل ربض تعود لأهمية الشيء الموجود فيه أو أهمية الشخص الذي سمي باسمه.

---

(١) ابن حوقل: صورة، ص ١٠٨ ؛ ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، د.ت. ص ٤٦، ٦٧، ٢٠٠، وسيشار له : ابن حيان: المقتبس في أخبار ؛ عياض: عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ٥ج، الجزء الثالث، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المطبعة الملكية، الرباط ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج٣، ص ١٩٦، وسيشار له : عياض: ترتيب ؛ ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م) كتاب الصلة، ٣ج، الجزء الأول، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، ١٩٦٦م، ج١، ص ١٢٩ ؛ الجزء الثالث ، تحقيق: ابراهيم الابياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٣، ص ٨١٨ ؛ وسيشار له : ابن بشكوال: الصلة ؛ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج،تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ج٤، ص ٢٨٢، وسيشار له : ابن خلكان: وفيات ؛ ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الاحاطة في أخبار غرناطة، ٤ج، الجزء الأول، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي: القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج١، ص ٤٢١، وسيشار له : ابن الخطيب: الاحاطة.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٣٢ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٠، ومن هذه الأرباض: المنتجيل والزجالي ؛ ابن خاقان: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الاشبيلي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق: محمد شوابكة، الطبعة الأولى، دار عمار، مؤسسة الرسالة، سوريا : بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣٨٢، وسيشار له : ابن خاقان: مطمح ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٦٤ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ١٩٨ ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٦٦.

كما يلاحظ أن عدد أرباض المدينتين الغربية والشرقية يزيد على أرباض المدينتين الجنوبية والشمالية، وربما يعود هذا لسعة المساحة جغرافيا أو لأمور إدارية سياسية، ومهما يكن الأمر، فإنه يحق لنا أن نقول بأن قرطبة انقسمت إلى قسمين كبيرين، هما: الجهة الغربية والجهة الشرقية، وأن هذه الأرباض كانت تحتوي أحياءً صغيرة سمي بعضها بأسماء قاطنيها أو ما تشتهر به، ومنها: حومة غدير بني ثعلبة وحومة عين فرقد وحومة باب الفرج وحومة النشارين (النجارين)[١] ، هذا بالإضافة إلى أن هذه الأرباض كانت عامرة ومتصلاً بعضها ببعض، حتى إن ضوء السرج كان يكفي لقطع عشرة أميال[٢] أي ٢٠ كلم[٤].

وفيما يتعلق بالأقاليم التي تضمها قرطبة من الناحية الإدارية، فقد انحصر عددها في ثلاثة عشر[٣] أو خمسة عشر[٤] إقليماً، تفاوتت في اسمائها ومواقعها وما تميز به كل إقليم عن الآخر، وبما احتواه من عدد قرى وحصون وبروج ومزارع، والمقدسي من أقدم الذين زودونا بأسماء الأقاليم، إذ حصرها في ثلاثة عشر إقليماً وزعت على خمسة عشر ميلا، هي: أرجونة، وقسطلة، وشسودر، ومارتش، وتنبانش، وفج ابن لقيط ، وبلاط مروان، وبريانة، وحصن بلكونة، والشنيدة، ووادي عبد الله، ووادي الرمان، وقرسيس ، وجيان (أولبة)[٥] .

وقد تميزت هذه القرى بخصب أراضيها وكثرة عيونها وآبارها وطيب ثمارها، كما أن المسافة التي تبعد فيها عن قرطبة جاءت بين ثلاثة عشر إلى ستين ميلا[٦] .

أما من قال بأن عدد هذه الأقاليم خمسة عشر، فقد ذكر أسماءها وما تحوي كل منها ذكراً مفصلاً كما يلي:

---

(١) سالم: قرطبة، ج١، ص ١٨٠.

(٢) الشقندي: اسماعيل بن محمد (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م) رسالة الشقندي في فضل الأندلس، منشور ضمن كتاب رسائل ونصوص "فضائل الأندلس وأهلها"، تقديم: صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص ٥٥، وسيشار له : الشقندي: رسالة ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٥٦ ؛ ج٣، ص ٢١٦.

(٣) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣.

(٤) العذري: ترصيع، ص ١٢٤ ؛ مجهول: وصف، ص ١٧٩.

(٥) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٦) انظر التفاصيل: المصدر السابق، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

١- إقليم المدور: يضم إقليم مدور الأدنى وإقليم مدور الصدف[1] وعدد قراه تسعون قرية، وبينه وبين قرطبة ستة عشر ميلا[2].

٢- إقليم القصب: يشتمل على سبع وثمانين قرية[3] ، وثلاثين برجاً وسبعة حصون[4] .

٣- إقليم لورة (لورمر): يشتمل على أربع وستين قرية[5]، وستة عشر برجاً، وثلاثة حصون[6] .

٤- إقليم الصدف: يشتمل على ثمان وعشرين قرية[7] ، وعشرين برجاً، وثمانية حصون[8] .

٥- إقليم بني مسرة (مرة): يشتمل على سبع عشرة قرية[9] ، وستة أبراج، وثلاثة عشر حصنا[10] .

٦- إقليم منيانة: يشتمل على ست وعشرين قرية[11] ، وثلاثة عشر برجاً، وأربعة حصون[12] .

٧- إقليم كرتش: يشتمل على ستين قرية[13] وستة وعشرين برجاً، وعشرة حصون[14] .

٨- إقليم القشتل (القتل): يشتمل على ثمان وأربعين قرية[15] ، وسبعة أبراج، وثلاثة حصون[16] .

٩- إقليم الهزهاز (الهرهار):يشتمل على ثلاث وسبعين قرية[17]، وستة عشر برجاً، وثلاثة عشر حصناً[18] .

١٠- إقليم الملاحة (وابة أو واية الملاحة)، يشتمل على أربع وثمانين قرية[19]، وسبعة عشر برجاً، وستة حصون[20] .

---

(١) ابن الخراط: إختصار، ص ١٦٢ (وإقليم الصدف هو إقليم مستقل).
(٢) العذري: ترصيع، ص ١٢٤ ؛ مجهول: وصف ، ص ١٧٩ ؛ الادريسي: أنس، ص ١٤٥.
(٣) العذري: ترصيع، ص ١٢٥ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(٤) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(٥) العذري: ترصيع، ص ١٢٥ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(٦) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(٧) العذري: ترصيع، ص ١٢٥ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(٨) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(٩) العذري: ترصيع، ص ١٢٥ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٠) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١١) العذري: ترصيع، ص ١٨٠ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٢) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٣) العذري: ترصيع، ص ١٢٦ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٤) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٥) العذري: ترصيع، ص ١٢٦ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٦) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٧) العذري: ترصيع، ص ١٢٦ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٨) مجهول: وصف، ص ١٨٠.
(١٩) العذري: ترصيع، ص ١٢٧ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨١.
(٢٠) مجهول: وصف، ص ١٨١.

١١- إقليم واية (وابة) الشعراء (الشعر): يشتمل على أربع وتسعين قرية[١] ، وأربعين برجاً، وعشرين حصنا[٢] .

١٢- إقليم السهلة: يشتمل على مائة وقريتين[٣] ، وخمسة وثلاثين برجاً، وستة وعشرين حصنا[٤] .

١٣- إقليم أولية: يشتمل على ست وثمانين قرية، وعشرين برجاً وستة حصون[٥] .

١٤- إقليم الوادي: يشتمل على مائة وإحدى عشرة قرية، واثنين وثلاثين برجاً، وسبعة عشر حصنا[٦].

١٥- إقليم أبي مريم: يشتمل على مائة وثلاث عشرة قرية، وستة عشر برجاً، واثني عشر حصنا[٧] .

ومن هذه المعلومات المفصلة لأقاليم قرطبة، يتبين لنا أنه يتبع لها (١٠٨٣) قرية و (٢٩٤) برجاً و (١٤٨)حصناً*؛ ولكن هذه الأرقام لا تحدد تحديداً دقيقاً الموجود منها فعلاً، بدليل أن المصدر الرئيسي الذي أوردها قال بأنه كان بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية تابعة لها[٨]، لذا، فإن ما ذكرنا هو تقسيم إداري عام تتبعه تفصيلات إدارية كانت تتعرض للتغيير والتعديل من وقت لآخر، ويؤكد ذلك أن قرطبة كانت تتبع إقليم الكنبانية (قنبانية) حيناً[٩] ، وأن كنبانية كانت إحدى قرى قرطبة حيناً آخر[١٠] ، وأن إقليم اولية كان يتبع إقليم قنبانية في بعض الأحيان[١١] .

ولاستكمال الحديث عن قرطبة وأرباضها وأقاليمها، لا بد من الإشارة إلى ما يتعلق بها من أبواب وما يوجد بداخلها من معالم رئيسية، كنهرها الكبير والقنطرة الواقعة عليه، والطرق الرئيسة الداخلية، بالإضافة إلى قصرها ومساجدها وكنائسها ومقابرها ومتنزهاتها وبعض النصوص العامة التي عبر فيها المؤرخون عن آرائهم في قرطبة.

---

(١) العذري: ترصيع، ص ١٢٧ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.

(٢) مجهول: وصف، ص ١٨٠.

(٣) العذري: ترصيع، ص ١٢٧ ؛ مجهول: وصف، ص ١٨٠.

(٤) مجهول: وصف، ص ١٨٠.

(٥) المصدر السابق: ص ١٨٠.

(٦) المصدر نفسه: ص ١٨١.

(٧) المصدر نفسه: ص ١٨١.

* منها المدور ومراد وبالمة والحرب وبسطاسة وغافق. أنظر: شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ٢٤٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٧٠ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٥٨.

(٩) الادريسي: ذكر، ص ٢٨ ؛ الادريسي: القارة، ص ٢٥٨.

(١٠) الرشاطي: الأندلس، ص ٤٩ ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٥٣.

(١١) الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ١٢٤، وسيشار له : الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال .

أبوابها: تحدثنا عن أسوار قرطبة، لكننا لم نتناول الأبواب المرتبطة بها والبالغ عددها سبعة أبواب[1]، تتوزع على مختلف مدن قرطبة وأرباضها كما يلي:

أ- المدينة الجنوبية (القبلية، قرطبة): فيها باب واحد، سمي عدة أسماء، لها مدلولاتها كما يلي: الباب القبلي لوقوعه جنوب قرطبة[2] ، وباب القنطرة، نسبة لقنطرة قرطبة ولأنه يؤدي إليها[3] ، وباب الجسر المرتبط بالقنطرة[4] وباب الجزيرة لأنه ينفتح على الطريق المؤدية للجزيرة الخضراء[5]، وباب الصورة وباب الشكال، لوجود تمثال قديم يمثل العذراء صاحبة قرطبة[6]، وباب الوادي، لإشرافه على الوادي الكبير[7]، وباب المحجة بسبب مرور المحجة (الطريق الرئيسة) منه[8] ، وباب الجنان لوجود أراضٍ خصبة وأشجار كثيرة ونواعير مياه أمامه[9] .

ب - المدينة الغربية: فيها ثلاثة أبواب، لها أسماؤها ومدلولاتها كما يلي:

١- باب عامر القرشي، نسبة إلى عامر بن وهب بن أبي زرارة بن عمر بن هاشم بن عبد الجبار بن مناف (ت ٨هـ/٤١م)[10] .

---

(١) ابن حوقل: صورة، ص ١٠٨ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ القلقشندي: صبح، ج٥، ص ٢٢٦ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥، ذكر المقدسي أن عدد الأبواب خمسة بقوله "وللمدينة خمسة أبواب باب الحديد، باب العطارين، باب القنطرة، باب اليهود، باب عامر" ؛ المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣.

(٢) العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ الحميري: الروض، ص ٤٥٨.

(٣) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣ ؛ مجهول: أخبار، ص ١٠، ١٢ ؛ العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف ص ١٦٧ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٥١ ؛ الادريسي: القارة، ص ٣٠٣ ؛ الحميري: الروض ، ص ٤٥٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٤) العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦.

(٥) مجهول: أخبار، ص ١٢، ٢١ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٦) سالم: قرطبة ج١، ص ١٧٢ ؛ سالم: تاريخ، ص ٣٠٢.

(٧) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٨) سالم: قرطبة، ج١، ص ١٧٢.

(٩) مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ ابن حيان: المقتبس في أخبار ، ص ٢٥٨، هامش (٧٥).

(١٠) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣ ؛ مجهول: أخبار، ص ١٦٦ ؛ العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ الحميري: الروض، ص ٤٥٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥. وقيل أن الباب ينسب إلى عامر بن عمرو بن وهب بن مصعب بن أبي عزيز بن زرارة بن عمير ؛ العذري: ترصيع، ص ١٢٢. وقد أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر الثالث بفتح هذا الباب لوقوع مقبرة أبن سلمة أمامه، وظل هذا الباب موجوداً حتى سنة ١٩٠٣م، وعرف بباب اوساريو نسبة لمقبرة أم سلمة ؛ سالم: تاريخ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

٢- باب الجوز نسبة لشجرة جوز مغروسة خارجه[1] أو باب بطليوس (بطليموس) لانفتاحه على الطريق إليها[2] .

٣- باب إشبيلية لانفتاحه على طريقها[3]، أو باب العطارين لوقوعه بسوق العطارين[4].

ج - المدينة الشمالية: فيها باب واحد سمي عدة أسماء، لها مدلولاتها كما يلي:

الباب الجوفي لوقوعه بجوف قرطبة[5]، وباب ليون نسبة لشخص يهودي[6]، وباب اليهود لقربه من حي اليهود[7]، وباب الهدى نفياً لكلمة اليهود ورفضاً لها[8]، وباب طلبيرة، لأنه يفتح الطريق إليها[9] .

د- المدينة الشرقية : فيها بابان اثنان أطلقت عليهما عدة أسماء لها مدلولاتها كما يلي:

١- الباب الجديد لأنه افتتح بالعصر الإسلامي[10]، وباب سرقسطة لأنه ينفتح على الطريق المؤدية لها[11] .

٢- باب عبد الجبار، نسبة لنزول عبد الجبار بن الخطاب بن نذير مولى معاوية بن مروان وقيل مولى مروان بن الحكم قرب هذا الباب[12]، وباب طليطلة لمرور السكة العظمى

---

(١) العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ (باب الجوزة) ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٣) مجهول: أخبار، ص ١٢ ؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٣ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٤) ابن الفقيه: مختصر، ص ٨٨ ؛ المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣ ؛ مجهول: أخبار، ص ١٢ ؛ العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٣٣ ؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٣ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٥) العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧.

(٦) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٧) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣ ؛ العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ الادريسي: القارة، ص ٣٠٣ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٥٦ ، ٦٣٥.

(٨) المقري: نفح، ج١، ص ١٥٦.

(٩) المصدر السابق: ج١، ص ٤٦٥.

(١٠) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ (الحديد) ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٣٣٤؛ الحميري: الروض، ص ٤٥٨؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(١١) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(١٢) العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٧ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٢٠٣، ٤٦٥.

أو الطريق الرئيسة المؤدية لطليطلة منه[١] وباب رومية لوقوعة على السكة العظمى التي تنتهي برومة[٢].

ويتبين لنا مما سبق توزع هذه الأبواب على مدن قرطبة، وأن أسماءها تغيرت حسب ما اشتهرت به الجهة التي يقع فيها الباب باختلاف الأزمنة، بالإضافة إلى تفرع شوارع رئيسية منها أدت إلى كثرة الأحياء والدروب الصغيرة حولها.

وقد كانت هذه الأبواب حديدية الصنع[٣]، وكان لكل باب فتحة واحدة في السور، لكن، لما جاء عبد الرحمن الناصر الثالث (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/٩١٤ - ٩٦١م) جعلها اثنين محصنين، أحدهما مدخل للمدينة، والآخر مخرج لها[٤]، ووجد لكل باب حامية للدفاع عنه[٥].

نهرها العظيم: تقع قرطبة على نهر أطلقت عليه عدة أسماء منها: نهر بيطي أو توفير (توبير) زمن الرومان[٦] ونهر الوادي الكبير في عصر الولاة في الأندلس[٧]، ونهر قرطبة[٨] ونهر إشبيلية[٩] وذلك بسبب وقوعها عليه، والنهر الأعظم[١٠]، والنهر الكبير[١١].

---

(١) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص ٤٦٥.
لمزيد من المعلومات عن الأرباض في المراجع الحديثة أنظر:
سالم: قرطبة، ج١، ص ١٧٢-١٧٤؛ سالم: تاريخ، ص ٣٠٢؛ مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص ٢٨٤-٢٨٥؛ مؤنس: حسين: رحلة الأندلس/حديث الفردوس الموعود، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص ٥٧، وسيشار له: مؤنس: رحلة؛ فكري: قرطبة، ص ١٧٠؛ خلاف: محمد عبد الوهاب: قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٧٦-٧٨، وسيشار له: خلاف: قرطبة.

(٣) ابن حوقل: صورة، ص ١٠٨.

(٤) سالم: قرطبة، ج١، ص ١٧١؛ خلاف: قرطبة، ص ٧٩.

(٥) خلاف: قرطبة، ص ٧٩.

(٦) الزهري: الجغرافية، ص ٩٨.

(٧) المصدر السابق: ص ٨٦، ٩٨؛ الشقندي: رسالة، ص ٥١.

(٨) اليعقوبي: البلدان، ص ١٠٤؛ الادريسي: القارة، ص ٢٦٤، ٢٨٧؛ شيخ الربوة: نخبة، ص ٢٤٦.

(٩) الشقندي: رسالة، ص ٥٠؛ شيخ الربوة: نخبة، ص ٢٤٦؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١٢٦؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٧٦أ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٨٠.

(١٠) اليعقوبي: البلدان، ص ١٠٥؛ مجهول: وصف، ص ١٦٤؛ الشقندي: رسالة، ص ٥٠.

(١١) الادريسي: القارة، ص ٢٦٤؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٢؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٧٦أ.

وينبع نهر الوادي الكبير من فتح الديلم بجبل شقورة[1] قرب مدينة قيجاطة[2]، ويبدأ مسيرة ضعيفا ثم يقوى بما يرفده من روافد، وبعد قطعه مسافة عشرة فراسخ (٣٠ ميلا) يجتاز منطقة جبلية، فيمر في نفق تحت الجبل[3]، ثم يهبط إلى بيلج أمام مدينة أبدة، فيقع فيه النهر المسمى وادي الأرض بموضع يسمى حصن الزير[4] ، ثم يتجه إلى بياسة إلى حصن مندوحر إلى القصير إلى اشتشان[5] حتى يصل إلى قرطبة، وبعدها، يتجه إلى حصن المدور إلى حصن الجرف إلى حصن لورة إلى حصن القليعة إلى حصن قطنيانة إلى الزرادة إلى إشبيلية[6] ثم إلى قبطال إلى قبتور إلى طزبشانة إلى قادس حتى يصب في المحيط الأطلسي عند موقع يسمى بير المائدة[7]. وهناك روافد لنهر الوادي الكبير، منها نهر شنيل ونهر وادي شوش ونهر الوادي الأحمر وغيرها[8]. وقد كانت البساتين والكروم والمتنزهات تحيط به[9] .

قنطرتها: بنيت هذه القنطرة فوق نهر الوادي الكبير زمن الإمبراطور الروماني أغسطس قيصر في القرن الأول قبل الميلاد[10]، وقد استمر وجودها حلقة وصل بين المدينة العتيقة بقرطبة والربض القبلي وشقندة حتى انهارت عند الفتح الإسلامي للأندلس، فكتب الوالي السمح بن مالك الخولاني سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) إلى خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز يخبره انهيار السور والقنطرة (الجسر) ويستشيره ويستأذنه بإعادة ترميمها وتعميرها من الأموال المتوافرة لديه من الخراج، فوافق الخليفة عمر وطلب منه أن يبني القنطرة من صخر السور وأن يعيد بناء السور باللبن، وتم ذلك سنة ١٠١هـ/٧١٩م[11] على يد شخص اسمه عبد الرحمن

---

(١) مجهول: وصف، ص ١٦٥ ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٦ ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٧٩ ؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٢ ؛ ويقال بأنه ينبع من جبال أبلة؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ٢٤٦ .

(٢) الزهري: الجغرافية، ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٨ ؛ الادريسي: القارة، ص ٢٨٧.

(٤) الزهري: الجغرافية، ص ٩٨ ؛ الادريسي: القارة ، ص ٢٨٧.

(٥) الادريسي: القارة، ص ٢٨٧.

(٦) الرشاطي: الأندلس، ص ٧٦ ؛ الادريسي: القارة، ص ٢٨٨ ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٧٩ ؛ ابن الشباط: صلة، ص ١٤٢.

(٧) الادريسي: القارة، ص ٢٨٨.

(٨) سالم: قرطبة، ج١، ص ١٦.

(٩) الزهري: الجغرافية، ص ٩٨ ؛ الشقندي: رسالة، ص ٥٠ - ٥١.

(١٠) المقري: نفح، ج١، ص ٤٨٠ ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ١٩٧ ؛ سالم: تاريخ، ص ٤١٤ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٧٥ .

(١١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٣٩، ٢١١ (الرسالة الشريفة) ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٦ ؛ وانظر : مجهول: أخبار، ص ٢٤ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٥ ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٦ ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٧٩ ؛ ابن الشباط: صلة، ص ١٤٢ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٥٣ ، ٤٨٠ ، ج٢ ، ص ١٥.

ابن عبد الله الغافقي[1]، وقد بلغ طولها ثمانمائة باع* وعرضها عشرين باعاً وارتفاعها ستين ذراعاً، وعدد حناياها ثماني عشرة أما أبراجها فتسعة عشر برجاً[2] .

ومما قيل في وصف هذه القنطرة:

" وقنطرتها لا نظير لها، وعدد أقواسها تسعة عشر قوساً، بين القوس والقوس خمسون شبراً، ولها ستائر من كل جهة تستر القامة، وارتفاعها من موضع المشي إلى وجه الماء، في أيام جفوف الماء وقلته ثلاثون ذراعاً ، وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف مصنوع من الأحجار والعمد الجافية (الجاشية) من الرخام، وعلى السد ثلاثة بيوت أرحاء في كل بيت أربع مطاحن"[3] .

وقد حرص الأمراء على إجراء الصيانة والترميم لهذه القنطرة، خصوصا في الأوقات التي كانت تتعرض فيها للدمار كما حدث في السنوات ١٦١ هـ/٧٧٧م ، و ١٧٢هـ/٧٨٨م، و ١٨٢هـ/٧٩٨م، و ٢٨٢هـ/٨٩٥م، و ٢٩٦هـ/٩٠٨م، و ٣٣١هـ/٩٤٢م، و ٣٣٤هـ/٩٤٥م، و ٣٥١هـ/٩٦٢م، و ٣٦٠هـ/٩٧٠م[4] .

طرقها: السكة الكبرى أو المحجة العظمى، وهي الطريق الرئيسة في قرطبة، فهي تتوسط المدينة العتيقة وتقطعها من باب القنطرة جنوباً إلى باب الهدى شمالاً، وكانت هذه الطريق تتسع عند بدايتها من الجنوب وتتوسط قصر الإمارة والمسجد الجامع، بحيث يصبحان متقابلين، القصر غرباً والمسجد شرقاً، وقد وصل بينهما بساباط (جسر) يسلك الناس تحته إلى باب القنطرة[5] .

---

(١) شيخ الربوة: نخبة، ص ٢٤٢ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٨٠ .

* الباع = ٢م. هنتس: المكاييل، ص ٨٢ ، والذراع المستخدمة للمساحة = ٥ر ٦٦سم؛ هنتس: المكاييل ، ص ٨٩.

(٢) شيخ الربوة: نخبة، ص ٢٤٢ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٨٠ .

(٣) الحميري: الروض، ص ٤٥٨ ، وانظر: الادريسي: القارة، ص ٣٥٠ (عدد الأقواس سبعة عشر وليس تسعة عشر) ولأن الادريسي أقدم من الحميري فإن زيادة عدد الأقواس وارد. (يقال أن طولها الآن ٢٢٣م، وعرضها ٨م، وارتفاع عقودها فوق الأرجل ١٥م) ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ١٩٨ ؛ فكري: قرطبة ، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٤) سالم: قرطبة، ج١، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ الحجي: عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الأندلسي حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٧٩٨هـ/٧١١-١٤٩٢م)، الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ١٤٢-١٤٣، وسيشار له : الحجي: التاريخ.

(٥) الحميري: الروض، ص ٤٥٨ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٧٧ - ١٧٨ ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ١٦٤.

ووجد طريقان آخران رئيسان أحدهما غربي يمتد من باب عامر ويلتقي بالمحجة العظمى، وثانيهما شمالي يمتد من باب الهدى ويلتقي بالمحجة العظمى، بحيث تشكل هذه الطرق شكل صليب يشبه النظام الرئيسي في تخطيط المدن الرومانية[١] .

لقد شجع وجود هذه الطرق على وجود دروب أو حارات أو حومات، منها: درب الفضل بن كامل، ودرب ابن شراحبيل، ودرب أبي الأشهب، ودرب أبي فطيس، ودرب ابن زيدون، ورحبة أبي الأصحاب، ورحبة عازرة ، ورحبة ابن درهمين، ورحبة إبان، ورحبة خولان وغيرها[٢] .

وقد وصف ابن سعيد هذه الدروب بقوله: " بلاد الأندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة، ولكل زقاق بائت فيه، له سراج معلق، وكلب يسهر وسلاح معد، وذلك لشطارة عامتها، وكثرة شرهم، واعيائهم في أمور التلصص، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة، ويفتحوا الاغلاق الصعبة، ويقتلوا صاحب الدار خوف أن يقر عليهم، أو يطالبهم بعد ذلك"[٣] .

وقد ظهرت لكثرة الحارات محلات (حوانيت) في الأسواق بشوارع فرعية سميت بما تشتهر به من تجارة، مثل سوق القصابين، وسوق الخياطين، وسوق الحصارين، وسوق العطارين، وحوانيت السراجين، وحوانيت الريحاني، وشارع الخلالين، وشارع الوراقين...وهكذا[٤].

وقد حدد ابن حوقل الطرق التجارية التي كانت تلتقي عند قرطبة وعددها ست كما يلي:

١- قرطبة ـ إشبيلية ـ قادس ـ الجزيرة الخضراء (عند إشبيلية يتفرع طريق آخر إلى شلب).
٢- قرطبة ـ طليطلة ـ سرقسطة ـ لاردة.
٣- قرطبة ـ غرناطة ـ مرسية ـ بلنسية ـ طرطوشة ـ لاردة.
٤- قرطبة ـ استجه ـ مالقة ـ مرسية.
٥- قرطبة ـ المعدن ـ قورية ـ لمنقة (شلمنقة) ـ سمورة.
٦- قرطبة ـ استجه ـ مورور ـ شذونة- الجزيرة الخضراء [٥] .

---

(١) سالم: تاريخ، ص ٣٠٥.
(٢) سالم: قرطبة، ج١، ص ١٧٠ ؛ سالم: تاريخ، ص ٢٩٨ ، ٣٠٥ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٧٧.
(٣) المقري: نفح، ج١، ص ٢١٩.
(٤) فكري: قرطبة، ص ١٧٧ ؛ سالم: تاريخ، ص ٣٠٥.
(٥) ابن حوقل: صورة ، ص ١١٠- ١١١؛ مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

وتشكل هذه الطرق أرصفة، فالطريقان الأول والثاني هما رصيفا هرقل أو أغسطس الروماني، والطريقان الثالث والرابع هما رصيفان رئيسان يلتقيان بالرصيف الأول ويتم الخروج منهما إلى شمال إيطاليا ثم روما[١] .

قصرها الكبير: اتخذ المسلمون أول قصر في الأندلس بعد فتحها داراً رومانية استخدمها الولاة، قصراً للإمارة، لكن ، لما تولى عبد الرحمن الداخل الحكم، بنى قصراً جديداً هو قصر الرصافة سنة ١٦٨هـ/٧٤٨م، وطوره من جاءوا بعده من الأمراء والخلفاء، واتخذوه قصراً، حتى صار يطلق عليه القصر الكبير[٢] ذلك أن دور أسواره بلغت (١١٠٠) ذراع[٣] .

واحتوى القصرُ الكبير مجموعة من القصور الصغيرة منها: الكامل، والمجدد، والحير (الحائر)، والزاهر، والزاهي، والمعشوق، والمبارك، والرشيق، والتاج، والبديع، والسرور[٤] واحتوى غرفاً لسكنى الخليفة وعائلته بلغت ٤٣٠–٤٣٥ داراً[٥] وقاعات ومجالس للكتاب والوزراء والمغنيات وغير ذلك[٦] .

"وللقصر... ستة أبواب، أولها باب السدة،وباب الجنان،وباب العدل،وباب الصناعة،وباب الملك،وباب الساباط..."[٧] وتوزعت هذه الأبواب على سور القصر كما يلي:

أ- الجهة الجنوبية (القبلية) : فيها ثلاثة أبواب، هي: باب السدة وباب الجنان وباب العدل.

ب - الجهة الشمالية: فيها بابان هما: باب الصناعة، وباب الملك.

---

(١) مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٥٧ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٣–٤٦٤ ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ١٨٧–١٨٩ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٧٩ ؛ بدر : أحمد: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة)، بلا ، دمشق ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٢، ص ١٤٨ - ١٤٩، وسيشار له : بدر: تاريخ ؛ العبادي: عبد الحميد، صور وبحوث في التاريخ الاسلامي، الطبعة السابعة، دار الثقافة ، بيروت : لبنان،١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ١٩٧، وسيشار له : العبادي: صور.

(٣) مجهول : وصف، ص ١٦٨.

(٤) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٤ ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ١٩١ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٨٠ ؛ العبادي: صور، ص ١٩٧.

(٥) مجهول: وصف، ص ١٧٠.

(٦) فكري: قرطبة، ص ١٨٠ ؛ بدر: تاريخ ، ج٢، ص ١٤٨.

(٧) مجهول: وصف، ص ١٦٨.

ج - الجهة الشرقية: فيها باب الساباط الذي يخرج منه الأمراء للمسجد الجامع.

د - الجهة الغربية: لم يوجد فيها أبواب بل بساتين وكروم[١] .

ومن القصور الأخرى بالأرباض : دمشق، والشراجيب، والفارسي[٢] .

مساجدها: بعد الفتح الإسلامي للأندلس، انتشر الإسلام واللغة العربية ببقاعها كافة، فكثر المسلمون، وكان لا بد من بناء مساجد يؤدون فيها شعائرهم الدينية، ولما كان حديثنا يقتصر على قرطبة، فقد توزعت المساجد على مدنها كما يلي:

أ- المدينة الجنوبية (القبلية/قرطبة) وفيها العديد من المساجد، أهمها: المسجد الجامع الذي بدأ بناءه الأمير عبد الرحمن الداخل وطوره من بعده أمراء الأندلس هشام الرضا (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) وعبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) ومحمد ابن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)، والمنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) والخليفة عبد الرحمن الناصر الثالث، والحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) ثم المنصور بن أبي عامر (٣٧٢-٣٩٢هـ/٩٨٢-١٠٠١م)[٣]. ومن المساجد في هذه المدينة: بدر، وحكيم، والنشارين، ودرب بني فطيس، وسعيد بن عامر، والدرابيل، ومنطر، وابن أبي عيسى

---

(١) مجهول: وصف ، ص ١٦٨ ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ١٨٩ - ١٩٤.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ٦٦١ ، ٦٧١.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن المسجد الجامع، أنظر: العذري: ترصيع، ص ١٢٣ - ١٢٤؛ مجهول: وصف، ص ١٧١-١٧٩ ؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢، ص ٢٢٩-٢٣١ ؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ٢٤٢ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٢٠، ٥٤٥ - ٥٥١ ؛ ٥٥٨ - ٥٦٣ ؛ ج٣ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ؛ الغساني: محمد بن عبد الوهاب، (ت١١١٩هـ/١٧٠٧م)، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم وترجمة وتعليق: الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرنسكو، د.ت، ص ٥٧ - ٦٢ ، وسيشار له : الغساني: رحلة الوزير ؛ المكناسي: محمد بن عثمان (ت١٢١٢هـ/١٧٩٨م) الأكسير في فكاك الأسير، تحقيق وتعليق: محمد الفاسي، نشر: المركز الجامعي للبحث العلمي ، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص ٢١- ٢٣ ، وسيشار له : المكناسي: الأكسير؛ سالم: قرطبة، ج١، ١٩٥-١٩٧، ٢٦٩ - ٣٥٥، ٣٥٩-٤٠٢ ؛ خلاف: قرطبة، ص ٣٩ - ٤٦ ؛ مؤنس: رحلة، ص ٧١-٩١ ؛ العبادي: صور، ص ١٩٥ - ١٩٦ ؛ سالم: السيد عبد العزيز: "أضواء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة"، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التعليم العالي، مدريد، م١٥، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٥٥-٩٣ ؛ سالم: محمود عبد العزيز: " أثر الفن الخلافي بقرطبة في العمارة المسيحية باسبانيا وفرنسا"، مجلة المجلة، سجل الثقافة الرفيعة، القاهرة، مصر، العدد ١٤، ١٣٧٨هـ/١٩٥٧م، ص ٧٣-٧٩ ؛ مورينو : مانويل جوميث: الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع، مراجعة: جمال محمد، الدار المصرية ، د.ت. ص ١٦ - ٤٨ ؛ عنان: محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال: دراسة تاريخية اثرية، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ٢٠-٣٤، وسيشار له : عنان: الآثار.

القاضي، وغزلان السيدة، وعين طار، وأبو رباح، وعبادل، وطرفة، والمصحفي، وسعيد الخير، وأبو خالد، وصواب، وأبو وهب[١] .

ب ـ المدينة الغربية: قامت فيها المساجد التالية: السيدة، وابن طوريل ، ونفيس، والقمري، ويوسف بن باسيل، والنخيلة، والفقيه أحمد بن عفيف، وأسلم، والكهف، والشفاء (الشفا)، والروضة، والزهراء، وشريح، ومسرور ، وياسر، والريحاني، وفخر، والفقيه حاتم ابن سليمان بن يوسف، وعجب، ومتعة، وطروب، ومعمرة، وأمية[٢] .

ج ـ المدينة الشرقية: ضمت المساجد التالية: الأمير هشام، والبرج ، وأبو علاقة، وغالب، وابن جهور، والأمير فائق، وأبو عبيد، والفقيه عبد الملك بن مسعود ، والزاهرة[٣] .

د ـ المدينة الشمالية: ترى فيها المساجد التالية: أم سلمة، والضيافة، والزيتونة، والزجاجين، ومتعة[٤] .

هـ ـ وهناك مساجد أخرى غير معروف موقعها بالتحديد: السقا، وحليم، وأبو عبدة، وأبان وابن ضرغام، وابن حيوية، والقلاسين، وابن إدريس، ومكرم، والإسكندراني، وبنفسج، وطالوت، والكوابين، وأم معاوية، والليث، ومهران، وعبد الله البلنسي، ووضاح، والصيني، ويحيى اللخمي، وابن عتاب (غانم)، وأحمد بن محمد بن بشر، ورحلة الشتاء والصيف (مومرة)، والغازي، وأم هشام، وأبو الوليد ، وابن الشرح، وأم الحكم المستنصر، وفرانك، وأبو حامد، ومحمد بن عبد الملك بن يحيى، والفقيه محمد بن يوسف، والفقيه عبد

---

(١) أنظر:
ابن حزم: ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) جمهرة انساب العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت : لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٩٦، وسيشار له : ابن حزم : جمهرة ؛ ابن سهل: ابو الأصبغ عيسى ابن سهل الأندلسي (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م) الأحكام الكبرى، جزء مستخرج منه يتعلق في "وثائق في شؤون العمران في الأندلس (المساجد والدور)"، تحقيق : محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة د. محمود مكي ومصطفى كامل اسماعيل، الطبعة الأولى، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٢٥ ، وسيشار له: ابن سهل: الأحكام (المساجد والدور) ؛ خلاف: قرطبة، ص ٤٧ ـ ٤٨ ؛ فكري: قرطبة ، ص ١٨٦.

(٢) أنظر:
مجهول: أخبار، ص ٤٢ ؛ مجهول: وصف، ص ١٦٨ ؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٩٦ ، ٩٨ ؛ ابن حزم: رسائل ابن حزم (رسالة نقط العروس) ، تحقيق: د. احسان عباس، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ج٢، ص ٧٦ ، وسيشار له: ابن حزم: رسائل ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ١٠، ٢٨٠ ، ج٢، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، ٤٩٠ ، ٦٣٣، ج٣ ص ٩٣ ؛ خلاف: قرطبة، ص ٤٨-٤٩؛ فكري: قرطبة ، ص ١٨٦.

(٣) ابن سهل: الأحكام الكبرى (المساجد والدور)، ص ٢١ ، ٦٩ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٣٤، ٣٣٦ ، ج٣، ص ٩٣ ؛ خلاف: قرطبة، ص ٤٩ ـ ٥٠ ؛ فكري: قرطبة ، ص ١٨٦.

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ١٧٢ ، ٣٠٤ ؛ ج٣ ، ص ٩٥ ؛ المكناسي: الأكسير، ص ٥٠ ؛ خلاف: قرطبة، ص ٥٠ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٨٦.

الرحمن بن خلف، وخلف الله بن يوسف، وأبو عثمان، وأحمد بن وليد، وابن أبي الفوز، وابن السقا، وأبو خالد، وسعد بن خلف[١] .

ونلاحظ مما سبق، كيفية توزيع المساجد على مدن قرطبة وأرباضها، فلم يكن يخلو ربض من مسجد على الأقل[٢]، ثم إن هذه المساجد سميت بأسماء أشخاص من الذكور والإناث، سواء أكانوا أمراء أم فقهاء أم رجال دولة أو جواري، وسمي بعضها بأسماء الأحياء السكنية، وبعض المهن التي يمتهنون بها.

وقد تفاوتت أعداد المساجد الصغيرة والكبيرة في قرطبة والأقاليم التابعة لها، وربما بدأت بـ (٤٧١) مسجداً[٣] في عصر الولاة، ثم أصبحت (٤٩٠-٤٩١) مسجداً زمن الأمير عبد الرحمن الداخل[٤] ، ووصلت إلى (٣٠٠٠) مسجد زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر الثالث[٥] و (٣٨٣٧)[٦] إلى (٣٨٧٧) مسجداً زمن المنصور بن أبي عامر[٧] . وهذه الزيادة طبيعية لازدياد عدد السكان من فترة إلى أخرى.

وقد كان يوجد بقرطبة مصليان رئيسان هما:

أ- المصلى العتيق: (مصلى المصارة) الذي يقع غربي قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير، وهو فضاء واسع لم يكن مشيدا وليس له محراب ثابت حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان يستعمل لصلوات الاستسقاء ولإقامة الاحتفالات بالانتصارات

---

(١) خلاف: قرطبة، ص ٥١ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٨٦ . وهناك مسجد زندية: العذري: ترصيع، ص ١٢٢.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(٣) المصدر السابق: ج١ ، ص ٥٤١.

(٤) العذري: ترصيع، ص ١٢٤ ؛ البكري: جغرافية الأندلس، ص ١٠٤ (ذكر أن ذلك كان سنة ٤٦٠هـ وهذا خطأ إلا إذا قصد قصبة قرطبة فقط في هذا السنة).

(٥) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٣٢.

(٦) المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٠.

(٧) مجهول: وصف، ص ١٦٩، ١٧١ (زمن المرابطين والموحدين)؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٠ . وقد ذكر بعض المؤرخين أن عددها زمن المنصور كان (١٦٠٠) مسجد فقط؛ أبو الفداء: تقويم، ص ١٧٥ ؛ القلقشندي: صبح، ج٥، ص٢٢٦؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٧٦أ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٠ . ويبدو أن هذا كان بقصبة قرطبة دون مدنها وأرباضها.

واستعراض الجيوش[١] ، وقد أنشىء هذا المصلى في عصر النولاة بدليل ذكره زمن السمح بن مالك الخولاني[٢] .

ب ـ المصلى الجديد: يقع في جنوبَ قرطبة في ربض شقندة على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير، ولا يفصله عن قرطبة سوى القنطرة، التي تؤدي إليه، وقد أنشئ هذا المصلى زمن الحكم بن هشام بعد موقعة الربض[٣] التي هي محور حديثنا في الفصول اللاحقة.

كنائسها: تدل كثرة المساجد في قرطبة على كثرة عدد المسلمين، لأن الدولة الإسلامية هي المهيمنة، لكن هذا لا يعني عدم وجود طوائف أخرى، مثل أهل الذمة (النصارى واليهود) ولكن بأعداد قليلة، ونظرا لمبدأ الحرية الدينية الذي طبقه المسلمون، فقد سمحوا لأهل الذمة بممارسة طقوسهم الدينية في كنائسهم وصوامعهم، ومن أهم الكنائس في قرطبة: شنت بنجت (بثنت) وشنت اجلح (قرب حي الرقاقين)، وحي الطرازين، والقديسين الثلاثة (بطرس)، وكان يلحق بهذه الكنائس أديرة منها: دير طبنش ودير أرملاط[٤]. أما اليهود، فكان لهم أماكن عبادة خاصة بهم، هي البيعة الكبرى، يدخلون عليها من الباب الذي سمي باسمهم[٥] .

---

(١) ابن حيان: أبو مروان خلف بن حيان القرطبي (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: د. محمود علي مكي، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ص ٢٩٤، هامش (١٧٤)، وسيشار له: ابن حيان: المقتبس من أنباء ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ٢٠٦.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٢١١ (الرسالة الشريفة) ؛ ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك التوزري (ت: بعد ٥٧٥هـ/١١٧٩م) تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٣٩ ، وسيشار له: ابن الكردبوس: تاريخ.

(٣) ابن حيان: المقتبس من أنباء ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ (هامش ١٧٤) ؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ٢٠٧.

(٤) خلاف: قرطبة، ص ٧٢ـ٧٣ ؛ سالم: قرطبة ، ج١، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١، وكل كنيسة تبدأ بشنت تعني القديس أو القديسة؛ خلاف: قرطبة، ص ٧٢.

(٥) خلاف: قرطبة، ص ٧٤.

مقابرها: ارتبط وجود المسلمين ومساجدهم والنصارى وكنائسهم واليهود وصوامعهم بوجود مقابر خاصة لكل منهم، كان معظمها للمسلمين، من أشهرها: مقبرة الربض[1]، ومقبرة قريش (باب عامر)[2]، ومقبرة متعة[3] ومقبرة مؤمرة[4] ومقبرة بني العبّاس[5] ومقبرة أم

---

(١) الخشني: ابو عبد الله محمد بن حارث القيرواني (ت ٣٦١هـ/٩٧١م) أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويسا ابيلا ولويس مولينا، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ١٧٠، ٢٨٣، ٣٢٤، ٣٧٥ ، وسيشار له: الخشني: أخبار ؛ ابن الفرضي: ابو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس، ٢ ج، تصحيح ونشر: عزت العطار الحسيني، مكتبة المثنى ؛ بغداد، مكتبة الخانجي : مصر ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١، ص ٧٧، ٧٨، ١٠١، ١١٣، ١١٤ ، ١٦٧، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٩٩، ٤١٣ ؛ ج٢، ص ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٩، ٩٣، ٩٥ ، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١١٤، ١٢٠، ١٣٠، ١٦٣، ١٨٩. وسيشار له: ابن الفرضي: تاريخ العلماء، وقد وردت نفس المعلومات للمؤلف نفسه في كتاب تاريخ علماء الأندلس، نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م ؛ ابن حيان : المقتبس من أنباء ، ص ١٥٣ ؛ الحميدي: ابو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: ابراهيم الابياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت: لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٥، ص ٢٥٠ ، وسيشار له: الحميدي، جذوة ؛ ابن سهل: الأحكام (المساجد والدور)، ص ٥٤ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٢٧ ، ٤٩، ٦٦، ٧٩، ١١٢ ، ١٣٠، ١٤٤، ١٥١، ١٥٣، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٥٩، ٢٨٠، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠١، ٣١٥ ؛ ج٢، ص ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٨٢، ٤٠١، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٩١، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٣١، ٥٤٦، ٥٦٨، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٨٣، ٥٨٦، ٥٩١، ٦٢٩، ٦٣٣، ٦٦٤، ٦٧٣، ٦٩١ ؛ ج٣، ص ٨٣٤، ٨٣٧، ٨٤٧، ٨٥١، ٨٥٧، ٩٥٤، ٩٦٧؛ الضبي: بغية ، ص ٦١، ٢٣٠، ٥٤٧ ؛ ابن الابار: ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: ابراهيم الابياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني: بيروت ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ١٨ ، ٦٥، ٤٢٩، وسيشار له: ابن الابار: التكملة.

(٢) الخشني : أخبار، ص ٣٣٣ ؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج١، ص ١٧٥، ٣٩١، ٤١١ ؛ ج٢، ص ٨٣، ٩١، ٩٧، ١٠٠، ١٠٣، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٤٤ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ١١، ٢٣، ١٤١، ١٥٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٨ ؛ السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١١٦٦م) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تصحيح: امين الخانجي، وأحمد الشنقيطي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة : مصر، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص ٨٤ ـ ٨٥ ، وسيشار له: السيوطي، بغية.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٦٤ ؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج ١، ص ١٦٤، ١٨٠، ٣٦٠ ؛ ج٢، ص ٨٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٥، ١٩٣ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ١٩٤، ٢٤٧ ؛ ج٢ ، ص ٢، ٣٥٧؛ ج ٣، ص ٩١٣، ١٠٠٣.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ العلماء؛ ج١، ص ٣٧٠ ؛ ج٢، ص ٩٠، ١١٥، ١٦٠، ابن بشكوال: الصلة ؛ ج١، ص ١٧ ، ٣٠٠؛ ج٢، ص ٤٩٦.

(٥) الخشني: أخبار، ص ١٦٥، ٢١٥، ٢٣٢، ٣٢٩، ٣٩٧ ؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء ؛ ج١، ص ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٨٤، ٢٨٩ ؛ ابن سهل: الأحكام (المساجد والدور)، ص ٥٦ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ٨٠، ٨٢، ٨٣، ١٠٨، ١١٤، ١١٩، ١٤٦، ١٦٣، ٢٢٩، ٢٤٩، ٢٥٩، ٣٠٨ ؛ ج ٢، ص ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٨٩، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٢٥، ٥٦٥، ٥٧٧ ، ٥٨٩، ٦١٠، ٦٢٤، ٦٥٠، ٦٨٦، ٦٨٨ ؛ ج٣، ص ٨٤٠، ٨٥٤، ٨٧٩، ٩٣٥، ٩٨٦، ٩٩٩.

سلمة[١] ، ومقبرة الرصافة[٢]، ومقبرة كلع[٣] ومقبرة منية المغيرة[٤] . ومن مقابر النصارى مقبرة فرانك[٥] وشنت بوله[٦] ولليهود مقبرة عرفت باسمهم (مقبرة اليهود) عند باب اليهود[٧] .

ويعود أصل تسمية هذه المقابر لمناطق جغرافية كالربض والرصافة، ولأصول نسبية عائلية كمقبرة قريش وبني العباس واليهود، ولأسماء شخصيات من النساء كمقبرة متعة (جارية الحكم الربضي) ومؤمرة (جارية الأمير عبد الرحمن بن الحكم)، وأم سلمة زوجة الأمير محمد بن عبد الرحمن.

متنزهاتها: انتشرت المتنزهات والمنى بقرطبة وأرباضها بسبب ازدياد عدد السكان والعمران، ومن أشهر هذه المتنزهات والمنى: منية الرصافة شمال قرطبة، أنشأها عبد الرحمن الداخل[٨] ومنية عجب في الربض القبلي على ضفاف نهر الوادي الكبير، أنشأها الحكم بن هشام لجاريته عجب وأسماها باسمها[٩]، ومنية المغيرة شرق قرطبة نسبة للمغيرة بن الحكم بن هشام[١٠]، ومنية نصر

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٢٧٢ ؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء ؛ ج٢، ص ٨٣، ١٩٣ ؛ ابن سهل: الأحكام (المساجد والدور)، ص ٤٩؛ ابن بشكوال: الصلة ؛ ج١، ص ٤٨، ٦٩، ٧٨، ٨١، ٩٩، ١٣٦، ١٥٠، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٨، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠٤ ؛ ج٢، ص ٣٣٢، ٣٧٠، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٥٠، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٥٧، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٨١، ٦٢٦، ٦٧٢، ٦٩٤ ؛ ج٣، ص ٨٠٢، ٨٣٢، ٨٣٦، ٨٣٧، ٩٦٥، ٩٩٤ ؛ المراكشي: ابو عبد الله محمد بن محمد الاوسي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت : لبنان، ١٩٦٥م، ق.٢. ص ١٦٩، ٢٨١، ٢٨٥، وسيشار له: المراكشي: الذيل.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ؛ ج٢، ص ١٩ ؛ ج٢ ، ص ٥٦٠، ٥٦١ .

(٣) المصدر السابق : ج١، ص ٥٢ ، ١٣٨ ، ٢٢٥، ٣٠٤ ، ٣١٤ ؛ ج٢، ص ٦٧٤.

(٤) المصدر نفسه: ج٢، ص ٤٧٧.

(٥) ابن الفرضي: تاريخ العلماء؛ ج١، ص ١١٤، ١٣٤، ١٤٣، ١٧١ ؛ ابن بشكوال: الصلة ؛ ج١ ، ص ٢٣٦ ؛ ج٢، ص ٦٦٢.

(٦) العذري: ترصيع، ص ١٢٢.

(٧) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ٣٠٦.

(٨) الحموي: المشترك ص ٣٠٦ ؛ الزجالي: ابو يحيى عبيد الله بن أحمد القرطبي (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) امثال العوام في الأندلس ، ٢ج، مستخرجة من كتاب ري الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، دراسة محمد بن شريفة، بلا، د. ت، ج١، ص ٢٢٧؛ وسيشار له: الزجالي: امثال ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٦ - ٤٦٧، ٥٧٢.

(٩) الخشني: أخبار، ص ٣٨٣ ؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٦ ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٦٧ ؛ ابن الخراط: اختصار ، ص ١٦٧؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٥.

(١٠) ابن حزم: جمهرة، ص ٩٨ ؛ العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤١٧ ، ٤٧٧ ؛ المقري: نفح، ج ١، ص ٤٦٦ .

قرب الربض القبلي بناها أبو الفتح نصر أحد فتيان عبد الرحمن بن الحكم[١] ، ومنية قنطيش بالمدينة الغربية لقرطبة من إنشاء الأمير محمد بن عبد الرحمن[٢] ومنية عبد الله (الناعورة) جنوب قرطبة على ضفاف نهر الوادي الكبير[٣]، ومنية المصحفية بالمدينة الغربية لقرطبة نسبة لذي الوزارتين جعفر المصحفي زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر الثالث[٤]، ومنية الزجالي زمن الخليفة الناصر أيضا[٥]، ومن المنى الأخرى: السد، والزبير، والعامرية، والسرور، والفارس الشرقي، وأم سلمة الغربية، والفرج، وبرج الخير، والبديع، والعيون، وفحص السرادق وغيرها[٦] .

وتميزت هذه المنى بكثرة أشجارها ومزروعاتها وتوافر المياه فيها، لذا، فقد استوطنها السكان وتحولت إلى أرباض تابعة لقرطبة، ومما يؤكد ذلك تسمية بعض الأرباض بأسمائها.

وقد افتن المؤرخون في وصف مدينة قرطبة من جوانب ننتقي منها ما اتصل بما تحدثنا عنه على النحو التالي:

قال المقدسي: " قرطبة هي مصر الأندلس... هي أجل من بغداد في صحراء يطل عليها جبل ولها مدينة جوانيه وربض الجامع في المدينة... ودار السلطان في الربض قدامها واد عظيم سطوحهم قراميد والجامع من حجر وجيل وسواريه رخام حواليه مياض"[٧] .

وقال ابن حوقل: "واعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر وما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحه وأسواق ونظافة محال، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق... إنها كأحد جانبي بغداد... وقرطبة إن لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة"[٨] .

---

(١) ابن حزم: جمهرة ، ص ٩٦ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٦٧.

(٢) سالم: قرطبة، ج١، ص ٢٢٥ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٨٢.

(٣) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٦ ، ٦٤٣.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص ٤٧١، ٦٣٥.

(٥) المصدر نفسه: ج١، ص ٦٣٥.

(٦) العذري: ترصيع، ص ١٢٢ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٧٣ــ٤٧٩، ، ٥٨١ــ٥٨٥، ٦٣٨، ٦٦٩ ، لمزيد من المعلومات أنظر: القصيدة المنظومة في كتاب نفح الطيب للمقري والتي شملت معظم هذه المتنزهات والمنى؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٢-٥٤٤.

(٧) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٣.

(٨) ابن حوقل: صورة، ص ١٠٧ - ١٠٨.

وقال ابن الشباط: "قرطبة قاعدة الأندلس، وأم المداين، ومستقر الخلافة، ودار الإمارة، كان فيها الخلفاء من بني أمية، وآثارهم بها ظاهرة"[١] .

وقال المقري نقلا عن الرازي "قرطبة أم المدائن، وسرة الأندلس، وقرارة الملك في القديم والحديث، والجاهلية والاسلام، ونهرها أعظم أنهار الأندلس، وبها القنطرة التي هي إحدى غرائب الأرض في الصنعة والاحكام، والجامع الذي ليس في بلاد الأندلس والاسلام أكبر منه"[٢] .

وقال المقري نقلا عن الحجاري: " وهي من بلاد الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، والزور من الأسد، ولها الداخل الفسيح والخارج الذي يمتع البصر بامتداده فلا يزال مستريحا وهو من تردد النظر طليح"[٣] .

وأخيرا قال المقري: " وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة، وفيها كان سلاطينهم قديماً، ودورهم داخل سورها المحيط بها، وأكثر أبواب القصر السلطاني من البلد، وجنوب قرطبة على نهرها، ونهرها من أحسن الأنهار، مكتنف بديباج المروج مطرز بالأزهار، تصدح في جنباته الأطيار، وتنعر النواعير، ويبسم النوار..."[٤] .

ومما قيل في قرطبة من الشعر:

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها

ولا تعظم بلاد الفرسِ والصينِ

فما على الأرضِ قطر مثلُ قرطبةٍ

ولا مشى فوقها مثل ابن حمدينِ[٥]

---

(١) ابن الشباط: اختصار، ص ١٤١، وأنظر أيضا: مجهول: وصف، ص ١٦٤ ؛ الادريسي: القارة، س ٣٠٢ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٥٩.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦٠، وأنظر أيضا: مجهول: وصف، ص ١٦٥.

(٣) المقري: نفح، ج١، ص ٤٦١.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص ١٥٣.

(٥) مجهول: وصف ، ص ١٨١.

وقيل:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة ُ

منهن قنطرة ُ الوادي، وجامعها

هاتان ثنتان، والزهراء ثالثة ُ

والعلمُ أعظم شيءٍ، وهو رابعها[١]

- هذه نصوص عامة مختصرة تعبر عن آراء بعض المؤرخين بقرطبة، وهي تؤكـد صحـة المعلومـات التفصيلية التي ذكرناها والمتضمنة للفترة الزمنية حتى القرن الرابع الهجري.

---

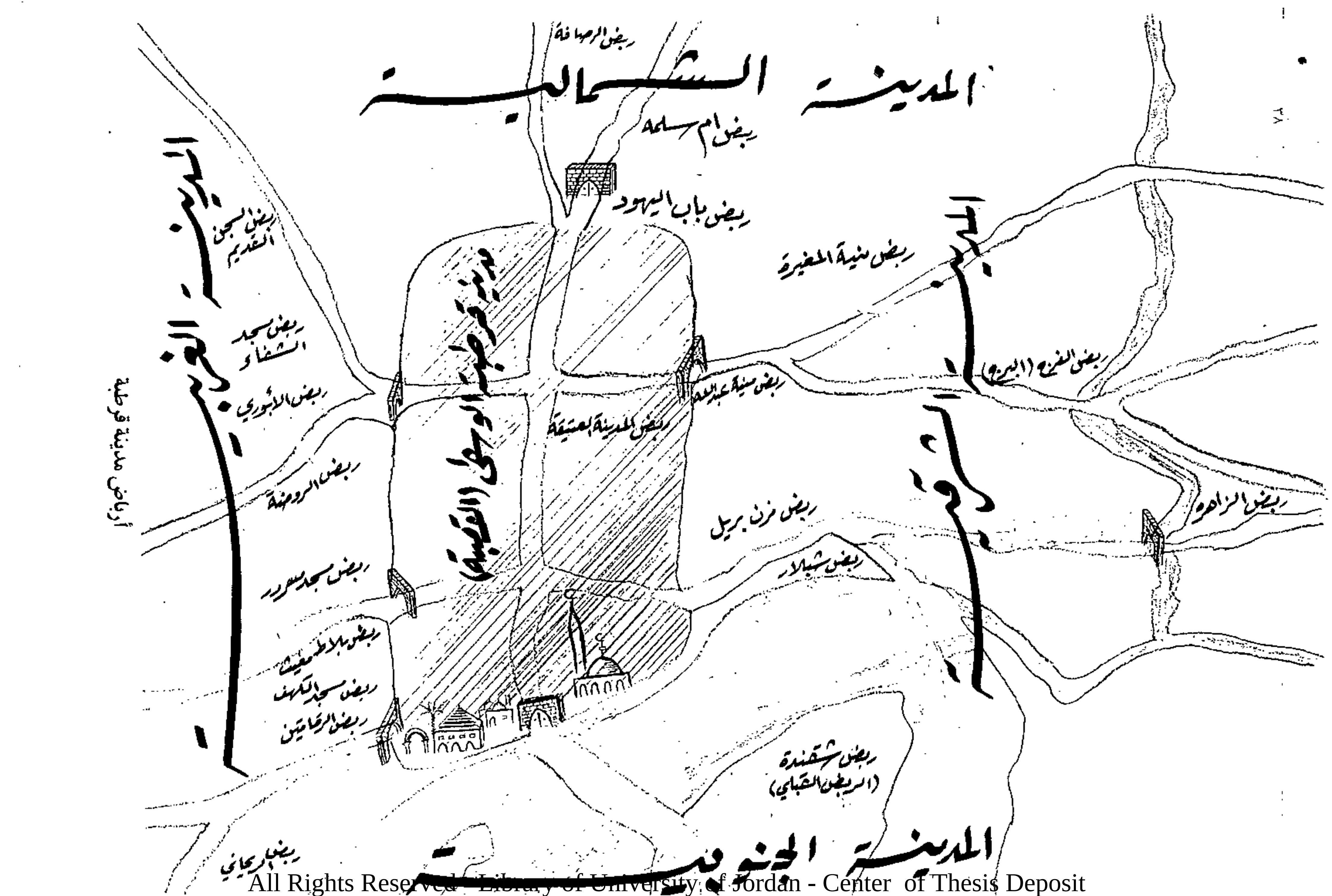
(١) المقري: نفح، ج١، ص ١٥٣.

مدن وأرباض وأبواب مدينة قرطبـــة

المـــــدن	الأربـــــــاض	الأبـــــــــواب
١- المدينة الجنوبيـــة	١- ربض شقندة (ربض قرطبة، الربض القبلي) ٢- ربض منية عجب	١- الباب القبلي (باب القنطرة، باب الجسر، باب الجزيـرة، باب الصورة، باب الشكال، باب الوادي، باب المحجـة، باب الجنان).
٢- المدينـة الغربيـــة	١- ربض حوانيت الريحان (الريحاني) ٢- ربض الرقاقين. ٣- ربض مسجد الكهف. ٤- ربض بلاط مغيث. ٥- زبض مسجد مسرور. ٦- ربض الروضة. ٧- ربض الابوري. ٨- ربض مسجد الشفاء. ٩- ربض السحن القديم.	١- باب عامر القرشي. ٢- باب الجوز (باب بطليوس أو بطليموس). ٣- باب اشبيلية (باب العطارين).
٣- المدينـة الشمالية	١- ربض باب اليهود (اليهودي) ٢- ربض مسجد أم سلمة. ٣- ربض الرصافة.	١- الباب الجوفي (باب ليون، باب اليهود، باب الهدى، باب طلبيرة).
٤- المدينة الشرقيـــة	١- ربض شبلار ٢- ربض فرن بريل ٣- ربض الفرج (البرج) ٤- ربض منية عبد الله ٥- ربض منية المغيرة ٦- ربض الزاهرة ٧- ربض المدينة العتيقة	١- الباب الجديد (باب سرقسطة) ٢- باب عبد الجبار (باب طليطلة، باب رومية)

أقاليم مدينة قرطبـــــة

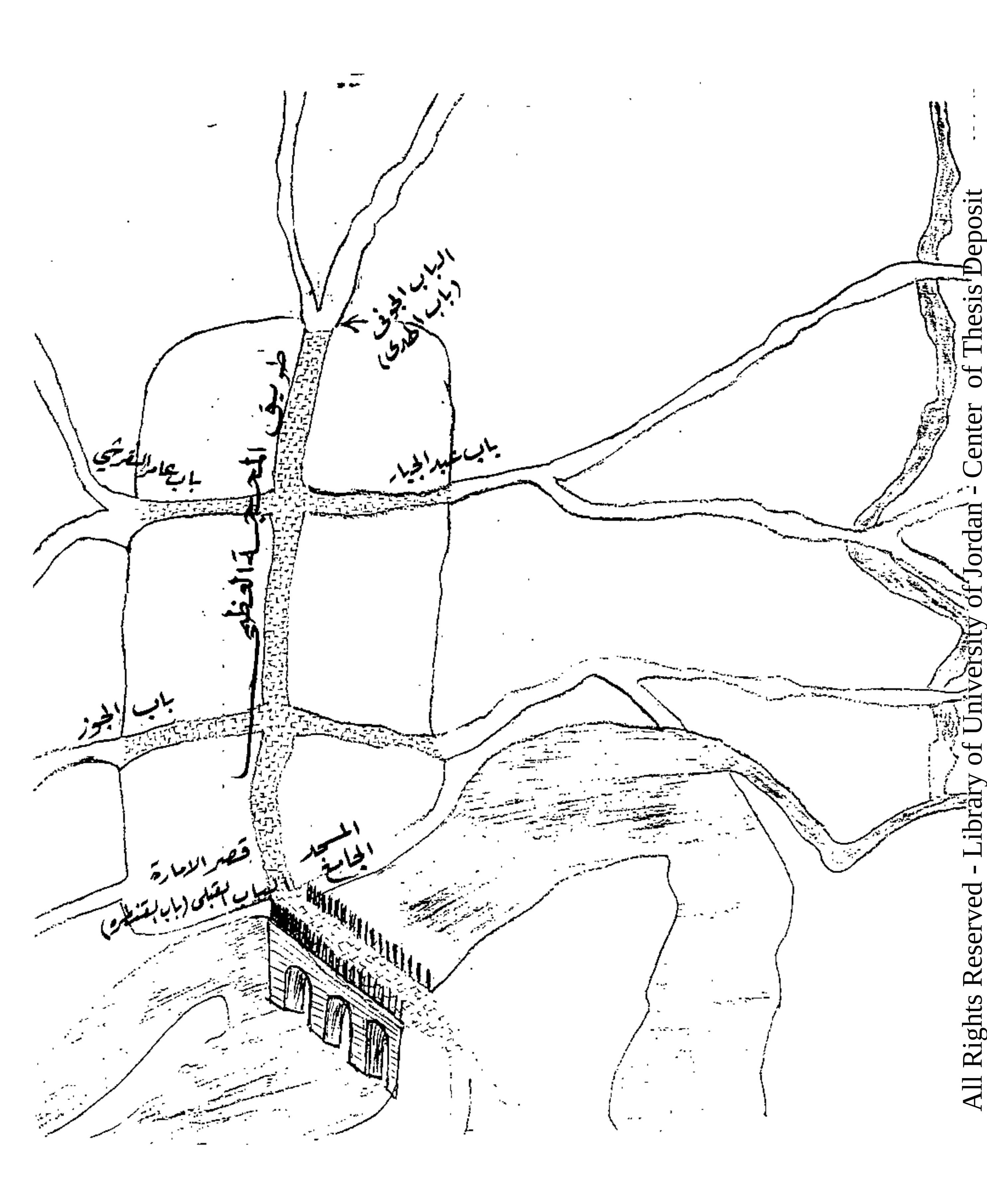
اسم الأقليـــــــم	عدد القرى التابعة له	عدد الابراج	عدد الحصون
١- المدور	٩٠	–	–
٢- القصب	٨٧	٣٠	٧
٣- لوره (لورمر)	٦٤	١٦	٣
٤- الصدف	٢٨	٢٠	٨
٥- بني مسره (مره)	١٧	٦	١٣
٦- منيانة	٢٦	١٣	٤
٧- كرتش	٦٠	٢٦	١٠
٨- القشتل (الفتل)	٤٨	٧	٣
٩- الهزهاز (الهرهار)	٧٣	١٦	١٣
١٠- الملاحة (وابة، واية الملاحة)	٨٤	١٧	٦
١١- واية الشعراء	٩٤	٤٠	٢٠
١٢- السهلة	١٠٢	٣٥	٢٦
١٣- اوليـــه	٨٦	٢٠	٦
١٤- الوادي	١١١	٣٢	١٧
١٥- ابي مريم	١١٣	١٦	١٢
المجموع	١٠٨٣	٢٩٤	١٤٨



أرباض مدينة قرطبة

المدينة الشمالية
الباب الجوفي
(باب الهدى)
باب عامر القرشي
باب عبد الجبار
مدينة قرطبة الوسطى
(القصبة)
باب الجوز
المسجد الجامع
قصر الامارة
باب اشبيلية
(باب العطارين)
الباب القبلي
(باب القنطرة)
الباب الجديد
المدينة الجنوبية

أبواب مدينة قرطبة



المحجة العظمى (السكة الكبرى)

الطرق التجارية التي تمر من مدينة قرطبة

جغرافية قرطبة البشرية:

مجتمع قرطبة البشري نموذج مصغر لمجتمع الأندلس الكبير، من حيث فئات سكانه مختلفة الجنسيات والديانات. وقد تشكل هذا المجتمع في فترتين، الأولى: قبل الفتح الإسلامي، والثانية: بعده، ففي الفترة الأولى سكن الأندلس الشعوب التالية: الإيبيريون، والجلالقة، والسلتيون، والفنيقيون، والإغريق (اليونان)، والقرطاجيون، والرومان، والفندال (الونِدال) من الجرمان، والقوط من الجرمان، والبربر[1] ، أما الفترة الثانية، فقد تشكلت من فئات تأثرت بالإسلام والعرب، لذا، فمن الصعب تصنيفها وعرضها من جانب ديني أو جانب جنسي، بل من الجانبين معا منفصلين تارة ومتصلين طوراً آخر، وهذه الفئات هي: العرب، والبربر، والموالي، والمستعربون، والمسالمة، والمولدون، واليهود، والصقالبة.

ونظراً لتأثير الفتح الإسلامي في وجود مثل هذه الفئات الجديدة، فإنه تجدر بنا ـ قبل أن نتحدث عنها حديثا تفصيلياً ـ الإشارة إلى فتح المسلمين لقرطبة على النحو الذي سنرى:

تمكن طارق بن زياد وموسى بن نصير من فتح بلاد الأندلس سنة ٩٢ ـ٩٤هـ/٧١٠ـ٧١٤م ومن ضمنها قرطبة عندما انطلق طارق وفتح سبتة، وجبل طارق، والجزيرة الخضراء، ووادي نهر برباط، وشذونة، ومورور، وقرمونة، واشبيلية، واستجة (ومنها تفرعت الحملات إلى قرطبة ومالقة وغرناطة والبيرة وتدمير)، وجيان، وطليطلة. وفتح موسى: شذونة، وقرمونة، وإشبيلية ، ولقنت، وماردة (ومنها

---

[1] ابن القوطية: تاريخ، ص ٨ (من المقدمة)؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ؛ ابن عذاري: البيان ج٢، ص ١ـ٣ ؛ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" ، ٨ج، مراجعة وتعليق: خليل شحادة، وسهيل زكار، الطبعة الأولى: دار الفكر: بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٤ ، ص ١٤٦ ؛ وسيشار له: ابن خلدون: تاريخ؛ المقري: نفح ج١، ص ١٣٣ ـ ١٣٩ ، وانظر المراجع التالية: هيكل: أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٢١ـ٢٨؛ وسيشار له: هيكل: الأدب؛ الاوسي: حكمة علي: فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٢٥، وسيشار له: الاوسي: فصول.

أرسل موسى ابنه عبد العزيز ففتح لبلة وباجة ومالقة وقرطاجنة وأوريولة) ثم التقى القائدان في طليطلة وتابعا فتوحاتهما لما تبقى من مدن الأندلس كسرقسطة وبرشلونة وغيرهما[١] .

وطارق بن زياد هو الذي أرسل حملة لفتح قرطبة بعد فتحه لاستجة، بقيادة مغيث الرومي* مع سبعمائة فارس من المسلمين ساروا حتى وصلوا شقندة على بعد ثلاثة أميال من قرطبة، ونزلوا في غيضة أرز شامخة بين شقنده وقرية طرسيل، ليخططوا كيفية اقتحام سور قرطبة[٢] ، إذ أرسل مغيث طليعة استكشافية لمعرفة مناطق الضعف في السور، ومن أي جهة يسهل اختراقه، وقد حصل على مراده من معلومات زوده بها أحد الرعاة القاطنين بقرطبة إذ أخبره أن عظماء سكان قرطبة وأكابرها قد رحلوا إلى طليلطلة و لم يبق فيها إلا أربعمائة من الحماة وبعض الأهلين الضعفاء، وهناك ثغرة في السور فوق باب القنطرة (باب الصورة)[٣] .

وانتظر مغيث حتى حلول الظلام، وسار بفرسانه في هدوء تحت رذاذ من المطر الذي جعل الحراس يغفلون حماية السور جيداً[٤] وكانت القنطرة مهدمة[٥] فعبروا النهر، واجتمعوا في ساحة

---

(١) ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م) فتوح افريقيا والأندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ٧٠-٧٩، وسيشار له: ابن عبد الحكم: فتوح افريقيا ؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ص ٢٠٥-٢٠٧، وسيشار له: ابن عبد الحكم: فتوح مصر ؛ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٣٢-٢٣٣، وسيشار له: البلاذري: فتوح ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٢٨-٣٥ ؛ مجهول: أخبار، ص ٦-١٩؛ القيرواني: أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم (ت ٤١٧هـ/١٠٢٦م) تاريخ افريقية والمغرب "قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى آخر القرن الثاني الهجري"، تحقيق وتقديم: المنجي الكعبي، الناشر: رفيق السقطي، مطبعة الوسط، تونس، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ص ٧٠-٧٨، وسيشار له: القيرواني: تاريخ؛ المراكشي: المعجب، ص ٦-٧ ؛ ابن الشباط: صلة السمط،ص ١٣٤- ١٤٠، ١٤٥-١٥١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٤-٩، ١١-١٥ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤ ، ص ١٥٠ ؛ المقري: نفح، ج١ ،ص ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧٣-٢٧٥.

* هو مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، سباه الروم بالمشرق وهو صغير، فأدبه عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وقد نشأ مغيث بدمشق وتعلم الشعر والنثر واشتهر بالفروسية وحسن الرأي ؛ المقري: نفح ، ج٣ ، ص ١٢-١٤.

(٢) مجهول: أخبار، ص ١٠؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٣ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ١٠ ؛ المقري: نفح ، ج١، ص ٢٦١.

(٣) مجهول: أخبار، ص ١٠؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٣ ؛ القزويني: آثار، ص ٥٥٢ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ١٠؛ المقري: نفح ، ج١ ، ص ٢٦١.

(٤) مجهول: أخبار، ص ١١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ١٠ ؛ المقري: نفح ، ج١ ، ص ٢٦١.

(٥) مجهول: أخبار، ص ١١ ؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ١٠.

مساحتها ثلاثون ذراعاً بين ضفة النهر اليمنى والسور باحثين عن الثغرة التي وصفها لهم الراعي، فلم يجدوها أو ما يدل عليها، فأحضروا الراعي ودلهم عليها[١] فتسلقوا السور، وفاجأوا الحامية وكسروا أقفال الأبواب ودخلوها عنوة[٢] مكبرين تكبيرة واحدة: الله أكبر[٣] ودخل مغيث بلاط قرطبة فاختطه ونسب له[٤] ووهبه له موسى من أرض الخمس[٥] .

وهرب حاكم قرطبة مع جماعة من باب إشبيلية وتحصن بكنيسة شنت اجلح[٦]، ولحقه مغيث وفرسانه وحاصروه ثلاثة أشهر وقطعوا عنه المياه[٧] ، ودعوه وحماته للإسلام أو دفع الجزية[٨] ، فرفض وهرب وقبض عليه في طلبيرة[٩]، أما حماته، فقد رفضوا دخول الإسلام أو دفع الجزية، فأسرهم المسلمون ثم قتلوهم، فسميت كنيسة الأسرى[١٠]. وقيل: حرقوا، فسميت كنيسة الحرقى[١١] .

ومهما يكن الأمر في صحة هذه الرواية في فتح قرطبة ، فإن مغيثاً هو الذي فتحها سنة ٩٣هـ/٧١١م، وساعده على ذلك خراب القنطرة وتثلم معظم أجزاء السور وليس ثغرة واحدة فقط، وقلة عدد جنود الحامية وانشغالهم في أثناء نزول المطر.

سنتحدث عن الفئات البشرية التي ساهمت في هذا الفتح واستقرت في البلاد إلى جانب السكان القدامى كما يلي:

---

(١) مجهول: أخبار، ص ١١ ؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ١٠ ؛ المقري: نفح، ج١ ، ص ٢٦١.

(٢) مجهول: أخبار، ص ١١-١٢ ؛ القزويني: آثار، ص ٥٥٢ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ١٠؛ المقري: نفح ، ج١ ، ص ٢٦١.

(٣) ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٣.

(٤) مجهول: أخبار ، ص ١٢.

(٥) ابن القوطية: تاريخ ، ص ٢٠٩ "الرسالة الشريفة" ؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٥١.

(٦) مجهول: أخبار ص ١٢ ؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٣ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ١٠ ؛ المقري: نفح ، ج١ ، ص ٢٦٢.

(٧) مجهول: أخبار، ص ١٢ ؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٤ ؛ القزويني: آثار، ص ٥٥٢ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ١٠ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٢٦٢. وأثناء حصار مغيث للكنيسة كتب إلى طارق يبشره بفتح قرطبة (المصادر نفسها).

(٨) المقري: نفح، ج١، ص ٢٦٣.

(٩) مجهول: أخبار، ص ١٣-١٤ ؛ القزويني: آثار، ص ٥٥٢ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ١٠ ، المقري: نفح، ج١، ص ٢٦٣

(١٠) مجهول: أخبار، ص ١٤ ؛ ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٤ ؛ القزويني: آثار، ص ٥٥٢ ؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢، ص ١٠.

(١١) مجهول: أخبار، ص ١٤ ؛ المقري: نفح، ج١ ، ص ٢٦٣.

العـــــرب:

رغبة في الجهاد وحباً في الاستقرار والتنعم، اندفع العرب المسلمون للمشاركة في فتح مدن الأندلس[١] وخاصة من القيسيين واليمنيين، البلديين والشاميين[٢]، وحدث ذلك من خلال دخولهم للأندلس على شكل موجات أو طوالع بالصورة التالية:

أ- الطليعة الأولى: ٩٢-٩٣هـ/٧١٠-٧١١م: (٤٠٠) مع طريف[٣] و (٣٠٠) مع طارق[٤] و (٧٠٠٠) عدد قليل منهم من العرب[٥]، و (١٠٠٠٠) مع موسى وطارق معظمهم من العرب[٦]، و (١٢٠٠٠) مع موسى من العرب والبربر[٧]، و(١٨٠٠٠) من العرب والبربر والموالي لكن معظمهم من العرب[٨] .

ب - الطليعة الثانية: سنة ٩٧هـ/٧١٥م: (٤٠٠) مع الحر بن عبد الرحمن الثقفي ومعظمهم من العرب اليمنيين[٩] .

ج - الطليعة الثالثة: سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م: (١٠٠٠٠) مع القائد بلج بن بشر، منهم ثمانية آلاف من العرب والفان من البربر[١٠] .

د - الطليعة الرابعة: سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م: (٣٠) عربيا مع أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي[١١]

هـ - الطليعة الخامسة: سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م: (١٠) رجال عرب من بني أمية مع عبد الملك بن عمر زمن الأمير عبد الرحمن الداخل[١٢]

---

(١) ابن الكردبوس: تاريخ، ص ٤٨ ؛ المقري: نفح، ج١ ، ص ٢٥٩.

(٢) الزجالي: أمثال، ج١ ، ص ٢٠٥.

(٣) ابن الشباط: صلة السمط،ص ١٦٧. ويذكر ابن الكردبوس أنهم ٣٠٠٠ من البربر؛ ابن الكردبوس: تاريخ (الاكتفاء) ، ص ٤٥.

(٤) المقري: نفح، ج١ ، ص ٢٣٣.

(٥) ابن الشباط: صلة السمط ، ص ١٦٨.

(٦) المصدر السابق: ص ١٤٥ ؛ ابن الكردبوس: تاريخ (الاكتفاء) ، ص ٤٩ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٥٠ ؛ المقري:نفح، ج١ ، ص ٢٣٣.

(٧) ابن الكردبوس: تاريخ (الاكتفاء) ، ص ٤٦.

(٨) ابن القوطية: تاريخ ، ص ١٩٨ (الرسالة الشريفة)، مجهول : أخبار، ص ١١٥.

(٩) ابن القوطية: تاريخ ، ص ١٩٨ (الرسالة الشريفة) ؛ المقري: نفح، ج٣ ، ص ١٤.

(١٠) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ٢٥ ، ٣٠ - ٣١.

(١١) ابن القوطية: تاريخ ، ص ٤٤.

(١٢) ابن الابار: ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) كتاب الحلة السيراء ، ٢ج، تحقيق: د.حسين مؤنس، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ج١، ص ٥٦ ؛ وسيشار له: ابن الابار: الحلة.

وقد أطلق المؤرخون على هؤلاء العرب الذين دخلوا الأندلس اسمين أو لقبين هما: البلديون الذي جاءوا في الطليعتين الأولى والثانية، والشاميون الذي جاءوا في الطلائع الثالثة والرابعة والخامسة، لذا، فالطليعة الأولى من الشاميين هي التي جاءت مع القائد بلج بن بشر سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م، وأساس هذه التسمية يعود للعرب الذين دخلوا الأندلس في البداية وسكنوا واستقروا فيها، عادين أنفسهم أهل البلاد وأصحابها، وأن الشاميين الذين دخلوا مع بلج ليسوا أصحاب بلاد، بل جاءوا ليقاسموهم تلك الأرض على غير رضىً منهم[1].

وبتحليل موجز لأعداد الداخلين للأندلس في الطليعة الأولى، فإن عددهم يصل إلى ٤٧٫٧٠٠، وهذا الرقم مبالغ فيه، على الرغم من أنه ضم فئات أخرى من غير العرب، ويبدو أن الرقم ١٨٠٠٠ هو العدد المنطقي النهائي لمجموع جيش موسى وطارق من المسلمين؛ لأنه تتويج للأعداد السابقة بطريقة أو بأخرى، خصوصا إذا أخذنا بعض عبارات المؤرخين التي تشير إلى أن هذا الجيش هو من العرب والبربر ، والموالي كافة، لكن معظمهم من العرب، وكلمة معظمهم تجعلنا نفترض أنهم أكثر من ثلثي الجيش، أي أكثر من ١٢٠٠٠، والأعداد الأخرى التي وردت مع بعض العبارات تعطينا دلالات على ذلك؛ فالأرقام ٤٠٠، ٣٠٠، ٧٠٠٠ معظمهم من البربر والأرقام ١٠٠٠٠ أو ١٢٠٠٠ معظمهم من العرب، فإذا جمعنا الأعداد ٤٠٠ + ٣٠٠ + ٧٠٠٠ + ١٠٠٠٠ فإن مجموعها يساوي ١٧٫٧٠٠، وإذا وضعنا ١٢٠٠٠ بدلاً من ١٠٠٠٠، فإن المجموع يصبح ١٩٫٧٠٠، أي أن العدد النهائي يتراوح بين ١٧٠٠٠ - ١٩٫٧٠٠، لذا، فإن الرقم ١٨٠٠٠ يأخذ طابع الاعتدال والقبول.

إذا، ١٢٠٠٠ من العرب في الطليعة الأولى يضاف إليهم ٤٠٠ من العرب في الطليعة الثانية يعطينا ١٢٫٤٠٠ من السكان البلديين، أما الشاميون فمجموعهم يصل إلى ٨٫٠٤٠، ومجموع البلديين والشاميين هو ٢٠٫٤٤٠ عربياً.

ونسبة الشاميين قياساً بنسبة البلديين ليست قليلة، مما جعل البلديين يطالبون بخروج الشاميين من أرض الأندلس، ولعلّ من المفيد توضيح كيفية دخولهم للأندلس ومنافستهم للبلديين في كل شيء، لما للموضوع من علاقة بتوزيع السكان على مختلف مدن الأندلس، والصراع المستمر بينهم في الفترات الزمنية اللاحقة، وما كان له من نتائج وآثار في المجتمع الإسلامي الأندلسي.

---

(١) فكري: قرطبة، ص ٢٤١ ؛ سالم : قرطبة، ج١، ص ٧٩ ؛ سالم: تاريخ، ص ١٢٠ ؛ مؤنس: حسين: فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ، ٧١١-٧٥٦م ، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جده ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، ص ٣٥٠ ، وسيشار له: مؤنس : فجر.

انطلق الجيش الشامي من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م في ثلاثين ألف رجل[١]، بقيادة كلثوم بن عياض، فإن مات فابن أخيه بلج من بشر بن قطن، فإن مات فثعلبة بن سلامة العاملي[٢]؛ وذلك بسبب تمرد البربر بزعامة ميسرة المطغري على والي افريقية عبيد الله بن الحبحاب وهزيمتهم للجيش العربي في موقعة الأشراف وسيطرتهم على طنجة سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م[٣] .

ولما وصل الجيش الشامي إلى إفريقية، اتحد مع الجيش العربي، فصاروا سبعين ألفاً، وقاتلوا البربر وانهزموا أمامهم شر هزيمة، وتحصنوا في سبتة[٤]، ونزلوا بجزيرة أم حكيم الواقعة أمام الجزيرة الخضراء[٥] طالبين من والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري (١١٤-١١٦هـ/٧٣٢-٧٣٤م) أن يسمح لهم بدخول الأندلس فرفض في البداية[٦]، لكنه ما لبث أن وافق لظهور خطر البربر، بشروط هي: مساعدة عرب الأندلس على القضاء على ثورة البربر والسماح لهم بالإقامة مدة سنة في الأندلس، وبعدها يخرجون إلى المغرب ويستقرون في مناطق آمنة من خطر البربر، ولضمان تطبيق هذه الشروط وضمان طاعة الشاميين، فإنه ينبغي عليهم تسليم عشرة شيوخ من كل قبيلة للوالي الأندلسي عبد الملك[٧] .

دخل الشاميون بقيادة بلج بن بشر إلى الأندلس، واتحدوا مع البلديين وخاضوا عدة معارك ضد البربر انتهت بانتصارهم والقضاء على ثوراتهم[٨] ، وبعد مضي السنة المتفق عليها، طلب الوالي عبد الملك من الشاميين مغادرة الأندلس فرفضوا[٩] ، وثاروا عليه وقتلوه[١٠]، وعينوا قائدهم بلجاً والياً على الأندلس بدلا منه سنة ١٢٣ هـ/٧٤٠م[١١]. ومن هنا، بدأ الصراع بين البلديين والشاميين، واضطر

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤١ (عشرون الفا من بيوتات العرب وعشرة الاف من بني أمية)؛ مجهول: أخبار، ص ٣١ (سبعة وعشرون الفا من الشاميين وثلاثة الاف من المصريين).

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٠-٤١؛ مجهول: أخبار، ص ٣١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص٣٠.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢١٧-٢١٨ ؛ القيرواني: تاريخ، ص ١١٠-١١٢ ؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص ٥٤.

(٤) مجهول: أخبار، ص ٣٤ (ويقول ابن القوطية بأن الذين قاتلوا مع بلج في هذه المعركة عشرة آلاف فقط) ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٢.

(٥) ابن القوطية: تاريخ، ص ٣٩ ؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ٣٠.

(٦) مجهول: أخبار، ص ٣٧.

(٧) المصدر السابق، ص ٣٨-٤٠ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٣٠ ، ٣٨-٣٩.

(٨) مجهول: أخبار، ص ٤٠ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ٣١ ؛ المقري: نفح ، ج٣ ، ص ٢١.

(٩) مجهول: أخبار، ص ٤٠-٤١؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ٣١ ؛ المقري: نفح ، ج٣ ، ص ٢١.

(١٠) ابن عبد الحكم: فتوح مصر،ص ٢٢٠ ؛ مجهول: أخبار، ص٤١ ؛ ابن عذاري: البيان،ج٢، ص ٣٢ ؛ ابن خلدون: تاريخ ، ج٤، ص ١٥٣.

(١١) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية، ص ١٠٠ ؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ٢٢٠ ؛ مجهول : أخبار، ص ٣٢ ؛ ابن حزم: جمهرة ، ص ٢٩٠ ؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ٣١-٣٢؛ المقري: نفح ، ج٣ ، ص ٢١-٢٢.

البلديون إلى الاتحاد مع البربر ضد الشاميين في أربعين إلى مائة ألف مقاتل[١]، وواجهوا جيش بلج البالغ عدده اثني عشر ألف مقاتل[٢] في مكان اسمه اقوه برطوره قرب قرطبة، وانهزموا أمامه على الرغم من موته في المعركة سنة ١٢٤هـ/٧٤١م[٣]. لذا، استمر الصراع زمن الوالي ثعلبة بن سلامة[٤] ، الذي وصلت به الحال في احتقار العرب البلديين أن بدل شيخاً منهم بكلب وآخر بعود[٥] ، مما أحدث الفوضى والاضطرابات، الأمر الذي جعل والي إفريقية حنظلة بن صفوان يقوم بعزل ثعلبة، ويعين أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م بدلا منه[٦].

وتمكن أبو الخطار من تخفيف حدة النزاع والعصبية بين البلديين والشاميين بعدة وسائل، منها:

١- إطلاق سراح الأسرى من جميع الأطراف: البلديين ، الشاميين، البربر[٧] .

٢- نفي الزعماء الذين تسببوا في إحداث المشكلات وإراقة الدماء، وعددهم اثنا عشر رجلاً، من أشهرهم ثعلبة بن سلامة والقرماص بن عبد العزيز الكتاني وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي، كما أمن بعضهم[٨] .

٣- تفريق الجيش الشامي على الأراضي المفتوحة في مدن الأندلس ممتثلا لرغبة البلديين والبربر الذين قالوا له: "سمعنا وأطعنا، لكن لا محل فينا لهؤلاء الشاميين فيخرجوا عنا"[٩] ، وقول البلديين للشاميين "بلدنا يضيق بنا فأخرجوا عنا"[١٠] .

وقد جاء توزيع الجيش الشامي على هذه المدن كما اتفق المؤرخون بقولهم:

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٢ ؛ مجهول: أخبار ، ص ٣٢،٣٠-٤٣ ؛ ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ٣٢ ؛ ابن خلدون: تاريخ ، ج٤ ، ص ١٥٣ ؛ المقري: نفح ، ج٣ ، ص ٢١.

(٢) ابن القوطية: تاريخ،ص٤٢ (عشرة الاف من الأمويين والشاميين)؛ مجهول: أخبار، ص٤٣ ؛ المقري: نفح، ج٣،ص ٢٢.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح افريقيه، ص ١٠١ ؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٢١ (قتل بلج سنة ١٢٥هـ) ؛ مجهول: أخبار، ص ٤٣-٤٤ ؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص ٣٠٦ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٣٢ ؛ ابن خلدون: تاريخ ، ج٤ ، ص ١٥٣ ؛ المقري: نفح ، ج٣ ، ص ٢٢.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٣ ؛ مجهول: أخبار، ص ٤٤-٤٥ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢،ص٣٢ - ٣٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤ ، ص ١٥٣ ؛ المقري: نفح ، ج٣ ، ص ٢٢.

(٥) مجهول: أخبار ، ص ٤٥.

(٦) ابن القوطية: تاريخ ، ص ٤٤.

(٧) مجهول: أخبار،ص٤٦؛ المراكشي: المعجب، ص ٨ ؛ ابن عذاري: البيان،ج٢ ،ص٣٣-٣٤ ؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٢٢.

(٨) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٥ ؛ الضبي: بغية ، ج١ ، ص ٣١٢.

(٩) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٤.

(١٠) المصدر السابق: ص ١٧، ٤٣.

"... وكثر أهل الشام عنده، ولم تحملهم قرطبة، ففرقهم في البلاد، وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها، وسماها دمشق، وانزل أهل حمص اشبيلية، وسماها حمص لشبهها بها، وأهل قنسرين جيان، وسماها قنسرين، وأهل الأردن ريه مالقه، وسماها الأردن، وأهل فلسطين شذونه ـ وهي شريش ـ وسماها فلسطين، وأهل مصر تدمير، وسماها مصر ..."[١] .

ولم يكن خروجهم بالأمر السهل، فقد كان مقابل إعطائهم ثلث أموال أهل الذمة (ثلث الخراج)، دون إنقاص من غنائم البلديين والبربر[٢] .

بذلك، صدق المؤرخون في قولهم عن أبي الخطار وما قام به:

- " فدانت الأندلس له، وخمدت الفتنة به، وفرق جموعها، وأخرج عنها من كان سببها"[٣] .
- " فحسم مواد الفتن وجمعهم على الطاعة بعد الفرقة"[٤] .
- " وجمع الناس بعد افتراقهم ، وصرفهم إلى معهود اتفاقهم، فدانت له جماعتهم"[٥] .

لذا لا نستغرب تسمية جيشه بجيش أوعسكر العافية[٦] .

وهكذا، سيطر أبو الخطار على الوضع، وحافظ على أراضي البلديين، وأقطع الجيش الشامي أراضيَ جديدة في كور خاصة، مع ثلث من الضرائب التي يدفعها أهل الذمة. لكن الأمور لم تستمر على ما هي عليه، فقد أظهر أبو الخطار ميله لليمانية[٧] وكان معظم الجيش الشامي من القيسية فثار عليه الصميل بن حاتم ويوسف الفهري سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وانتصروا عليه وأسروه[٨] وقضوا على نفوذه حتى عزل وتوفي سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م[٩]، وبعدها، عين

---

(١) المقري: نفح، ج١، ص ٢٣٧ ، وأنظر المصادر التالية: ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٥ (أهل مصر نزلوا بتدمير وباجة)؛ مجهول: أخبار، ص ٤٦ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ٣٣ ؛ ابن خلدون: تاريخ ، ج٤ ، ص ١٥٣.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٥ ؛ مجهول: أخبار ، ص ٤٦ ؛ ابن عذاري : البيان، ج٢، ص ٣٣.

(٣) الضبي: بغية ، ج ١ ، ص ٣٤٤.

(٤) المراكشي: المعجب ، ص ٨.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٣٣ ، وأنظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٢١ ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٠ ؛ مجهول: أخبار ، ص ٤٦.

(٦) مجهول: أخبار، ص ٤٦.

(٧) القيرواني: تاريخ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٣٤ ؛المقري: نفح، ج٣، ص ٢٢ ، ٢٤.

(٨) مجهول: أخبار، ص ٥٧ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ٣٥ ؛المقري: نفح، ج٣، ص ٢٤.

(٩) مجهول: أخبار، ص ٥٧ .

يوسف الفهري واليا فكان الاسم له والرسم للصميل[١]، واستمرت الخلافات بين القيسية واليمنية[٢] .

هذا، ولم يتوقف دخول العرب للأندلس وقرطبة باستقرار الشاميين، بل استمرت الهجرات العربية غير الطوالع، وسكنت في مناطق مختلفة من مدن الأندلس[٣] ، خصوصا في عصر الأمير عبد الرحمن الداخل الذي جاءت معه مجموعة من أهله وعشيرته، وشجع الباقين على الهجرة من دمشق إلى قرطبة، فهاجر كثير منهم هرباً من ظلم العباسيين[٤] وطمعاً في إيجاد حياة كريمة وللحصول على مناصب إدارية كبيرة.

وتوزع العرب على معظم مدن الأندلس[٥] ، ومنها قرطبة التي سكنتها في أثناء الفتح وبعده القبائل التالية:

قريش (فهر، وزهرة، وبنو هاشم، وبنو أمية، وبنو عبد الدار)[٦]، والأنصار (بنو عرمرم، وبنو هارون، وبنو النجار، وسلاله سعد بن عبادة وعبادة بن الصامت ، وبنو ربيع حنظلة الغسيل)[٧] ، وحمير (الأصبحيون ، وبنو يحصب)[٨] ، وقيس عيلان من العدنانية[٩]

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ٣٦.

(٢) مجهول: أخبار ، ص ٥٨ - ٦١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٣٦ وانظر: بدر: أحمد: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة (الجزء الأول) ، الطبعة الثانية، مكتبة أطلس، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٦٣-٦٧، وسيشار له: بدر: دراسات.

(٣) مصطفى: عدنان: "نظرية ريبيرا حول عروبة الأندلس" حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، قطر، العدد ١٢، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٢٠٢-٢٠٤، وسيشار له: مصطفى: نظرية ريبيرا، وقال أحد المؤرخين: "وتتابع ناس من بني أمية ومواليهم وكثروا وكانت بقرطبة بيوتات من موالي بني هاشم وبني فهر وقبائل قريش وغيرهم" ؛ مجهول: أخبار، ص ٩٥.

(٤) بدر: دراسات، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٥) أنظر: أحمد: مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، ٨١-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣١م، بلا، د.ت، (الكتاب بشكل عام) ، وسيشار له: أحمد : القبائل ؛ مؤنس: فجر، ص ٣٧١-٣٧٤ ؛ سالم: تاريخ، ص ١٢١-١٢٢؛ الخالدي: خالد يونس عبد العزيز: الاستقرار العربي الإسلامي في الأندلس في عصر الولاة، ٩٢-١٣٨هـ، رسالة ماجستير غير منشورة/الجامعة الأردنية، باشراف الأستاذ الدكتور : محمد عبده حتامله، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ٦٤-٦٥، وسيشار له: الخالدي: الاستقرار.

(٦) مجهول: أخبار، ص ٩٥ ؛ ابن حزم: جمهرة، ص ١٧٨ - ١٧٩ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٧) ابن حزم: جمهرة، ص ٣٥٤ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٢١٤ ؛ أحمد: القبائل، ص ٤٥١-٤٥٢ ؛ مصطفى: نظرية ريبيرا، ص ٢٠١.

(٨) المقري: نفح، ج١، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٩) المصدر السابق: ج١، ص ٢٩١ ؛ مصطفى: نظرية ريبيرا، ص ٢٠١.

وحضرموت[١]، ومذحج (بنو سراج)[٢]، ومراد[٣]، وخولان[٤] ، وغافق[٥]، وبلي[٦]، وسبأ[٧]، وتميم[٨]، وهمدان، ولخم، ونمير، وكلاب، وثقيف، واسد؛ والأزد، وخثعم، وسليم، وضبة، وقمعة، وجهينة، وقيس عيلان[٩] .

نزلت هذه القبائل على شكل بطون وأفخاد في أفضل مدن قرطبة، وأكثرها خصباً، وأصبحوا أعلى الفئات درجة ومنزلة، وسادة يعمل في أراضيهم الفلاحون من الفئات الأخرى، ولكثرة ما ملكوا من حصون وضياع، فقد سميت بأسماء قبائلهم، مثل حصن مراد بين إشبيلية وقرطبة وقلعة رباح بين قرطبة وطليطلة ودار بلي شمال قرطبة وغيرها[١٠] .

وقد عمل العرب بالإضافة إلى الزراعة في التجارة وتقلد الوظائف الإدارية في الدولة، خصوصا العسكرية والسياسية والقضائية كما سنرى فيما بعد، وتزايدت أعدادهم في قرطبة مع الوقت، بسبب كثرة الهجرات إليها، لكونها العاصمة، فبلغ عدد سكانها نصف مليون[١١]، وتزاوج رجال العرب بالنساء الإسبانيات وأنجبوا أولاداً منهن، ويصعب تحديد نسبة هذه الزيادة، بالرغم من محاولة مؤنس

---

(١) المقري: نفح، ج١، ص ٢٩٨ ؛ مصطفى: نظرية ريبيرا، ص ٢٠٢ ؛ الخالدي: الاستقرار، ص ٦٥.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ٢٩٥؛ سالم: تاريخ، ص ١٢١ ؛ الخالدي: الاستقرار، ص ٧٢.

(٣) المقري: نفح، ج١، ص ٢٩٥ ؛ الخالدي: الاستقرار، ص ٧٢ ، وقد سكنوا بين اشبيلية وقرطبة.

(٤) ابن حزم: جمهرة، ص ٤١٨ ؛ المقري: نفح، ج٣ ، ص ١٤ - ١٥ ؛ الخالدي: الاستقرار، ص ٧٦.

(٥) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٢، ٥١، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ أحمد: القبائل، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ ؛ الخالدي: الاستقرار، ص ٧٧، واستقروا بحصن غافق في فحص البلوط.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج٢ ، ص ٢٤ ؛ مؤنس: فجر، ص ٣٧٤ ؛ الخالدي: الاستقرار، ص ٨٠ .

(٧) ابن حزم: جمهرة، ص ٤١٨ ؛ الخالدي: الاستقرار ، ص ٨٢.

(٨) ابن حزم: جمهرة، ص ٢٢٠ ؛ الخالدي: الاستقرار ، ص ٨٤ - ٨٥.

(٩) أنظر: أحمد: القبائل، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨، ٤٣٢ - ٤٣٤، ٤٣٩-٤٤١ ؛ ٤٤٦-٤٤٧، ٤٥٦، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٦٩-٤٧٠، ٤٧٢-٤٧٣.

(١٠) مؤنس: فجر،ص ٣٧٠ ، ٤٣٤ ؛سالم: تاريخ، ص ١٢١-١٢٢؛ عاشور: سعيد عبد الفتاح: أوروبا في العصور الوسطى ، ٢ ج، الطبعة العاشرة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج١، ص ٥٣٦ ، وسيشار له: عاشور: أوروبا؛ لومبارد: موريس: الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، د. ت، ص ١١٢ ، وسيشار له: لومبارد: الجغرافية.

(١١) فكري: قرطبة ، ص ٢٤١ (وهذا الرقم مبالغ فيه، خصوصا في الفترة المبكرة التي جاءوا فيها عن طريق الطلائع).

وضع معدل الزيادة إلى عشرة ابناء لكل شخص خلال عشرين سنة، فيصبح العدد بدلاً من ثلاثين ألفاً ثلاثمائة ألف نسمة[١] .

البربـــــر:

هم سكان المغرب الأصلاء[٢]، وتسميتهم ظهرت وتطورت في ثلاثة عهود: اليونان والرومان والعرب، فاليونان والرومان أطلقوا اسم البربر على من لا يتكلم لغتهم وعلى من هم أقل منهم حضارة، أما العرب فأطلقوه على الأصوات المتجمعة غير المفهومة لهم، وعلى الجماعة أو الأمة التي تتكلم بهذه الأصوات. ولفظ البربر (لغة) تدل على الرطانة والجلبة والضوضاء والتوحش في البراري، أما في (الاصطلاح) فلا تدل على جنس معين، وإنما تدل على الأقوام المخالفة للفئة الحاكمة في الجنس واللغة والدين؛ فالمدلول العام لكلمة بربر هو نفسه مدلول كلمة عجم التي تدل عند العرب على جميع الشعوب التي لا تتكلم العربية[٣] .

واختلف الباحثون وتعددت نظرياتهم في أصل البربر، ولجأ بعضهم في تحديد هذا الأصل إلى استقراء ما روى المؤرخون بطريق الرواية، بينما لجأ بعضهم الآخر إلى علم الإنثروبولوجيا المتخصص في معرفة الأجناس من حيث الألوان والسحن واللغات والعادات وهو ما يسمى بطريق الدراية التي تعتمد على الآثار.

---

(١) مؤنس: فجر، ص ٣٦٦ (وهذا رأي مؤنس الشخصي في العدد ومعدل الزيادة).
وقد اعتمدت حكمة الأوسي في كتابها فصول في الأدب الأندلسي رأي الدكتور حسين مؤنس؛ الأوسي: فصول، ص ٢٧. ومن هذا المبدأ انطلق ريبيرا ليثبت نظرية جاء فيها أن دولة العرب في الأندلس ليست بدولة عربية بل إسبانية؛ لأن العرب تزوجوا من الإسبانيات وجاء أولادهم وتزوجوا من الإسبانيات حتى تلاشى الدم العربي في الأجيال القادمة. مصطفى : نظرية ريبيرا، ص ١٨٤. ولمزيد من المعلومات حول هذه النظرية أنظر: مصطفى: نظرية ريبيرا، ص ١٩١-٢١٢.
وقد رد عليه العرب في القول بأن الابن دائما ينسب إلى الأب وليس كل من جاءوا من الرجال تزوجوا بإسبانيات، وبعض النساء العربيات حضرن مع أزواجهن، بالإضافة إلى أن بعض الفئات الأخرى من غير العرب دخلوا الإسلام وتعربوا. مصطفى: نظرية ريبيرا، ص ٢٠٦-٢١٠؛ هيكل: الأدب، ص ٣٤ - ٣٩.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ، ج٦ ، ص ١١٦.

(٣) المومني: محمد خالد: جهود حسان بن النعمان في فتح بلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف الأستاذ الدكتور: محمد عبده حتاملة، الجامعة الأردنية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٨. ولمزيد من التفاصيل ومعرفة المصادر أنظر ص ١٦ - ١٨ ، وسيشار له: المومني: جهود.

وانحصر رأي من اعتمد طريق الرواية في أن أصل البربر يعود إلى الساميين ومنهم العرب أو إلى الحاميين[١] ، لكن على الرغم مما ورد في ذلك عند المؤرخين القدامى والمؤرخين المحدثين الذين حاولوا الخروج بنتيجة واضحة فإن الجزم غير ممكن، الأمر الذي يجعلنا نميل إلى القول بأن البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش[٢]، سكنت المغرب منذ القدم والأندلس بعد فتح المسلمين لها.

أما من اعتمد طريق الدراية، فقد حاول أن يثبت أن البربر من المجموعات القوقازية ذات السلالة البيضاء، الموجودة في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي جزيرة العرب وسوريا الداخلية والهلال الخصيب، وأنهم رحلوا للمغرب عن طريق باب المندب وبرزخ السويس ومضيق جبل طارق، وقد استدل هؤلاء بأدلة كثيرة[٣]، لكنها غير دقيقة لعدم وجود اكتشاف صريح يؤكدها.

واتفق المؤرخون على تقسيم البربر إلى قسمين كبيرين، هما: البتر والبرانس[٤] ، ويتألف كل منهما من قبائل، فيتبع البتر أربع قبائل رئيسية هي: اداسة ونفوسة وضريسة وبنولوا الأكبر[٥]، ويتبع البرانس عشر قبائل هي: صنهاجة، وكتامة، وأوربة، ومصمودة، وهكسورة، وعجيسة، وأوريغة، وازداجة، ولمطة، وجزولة[٦]، ويتبع لكلا القسمين الكبيرين قبائل أصغر منها ولهذه فروع صغيرة وهكذا[٧].

و لم تستقر ديانة البربر على الإسلام إلا عندما دخلوا الأندلس[٨] وكانوا قبل ذلك يدينون بالنصرانية واليهودية والمجوسية والوثنية[٩] ، فعبدوا الحيوانات واعتقدوا بالأرواح الشريرة[١٠].

---

(١) المومني: جهود ، ص ١٩ - ٢٣.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٦ ، ص ١٢٣.

(٣) لمزيد من المعلومات المعتمدة على المصادر: أنظر: المومني: جهود، ص ٢٤ - ٢٧.

(٤) الاصطخري: المسالك، ص ٤٤ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص ١١٧، ١٢٤ ، وأنظر: المومني: جهود، ص ٢٧ - ٣٠.

(٥) ابن خلدون: تاريخ، ج٦ ، ص ١١٨ ؛ ووردت بالعديد من المصادر بشكل متفرق: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٥؛ الاصطخري: المسالك، ص ٣٦.

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٥ ؛ الاصطخري: المسالك، ص ٣٦، ٤٤ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص ١١٧.

(٧) المومني: جهود، ص ٣٠-٣١.

(٨) ابن خلدون: تاريخ، ج٦ ، ص ١٤٤.

(٩) المومني: جهود، ص ٣٢-٣٤.

(١٠) المرجع السابق: ص ٣٤.

وشاركت القبائل البربرية العرب المسلمين في فتح الأندلس، فقد تكون جيش طارق من أربع قبائل منهم، هي: مطغرة، ومديونة، ومكناسة، وهوارة، وهذه كلها من زناتة التي تتبع البتر[١]، ودخل فيما بعد: مغيلة وملزوزة ونفزة وأوربة ومصمودة وغيرهم[١]، ومما يؤكد ذلك قول المؤرخين: "وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق، وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق"[٢].

واختلف المؤرخون في أعداد البربر الذين شاركوا المسلمين في فتح الأندلس، فقيل: إن عددهم مع طريف لم يكن (٤٠٠) بل (٣٠٠٠)[٣] ومع طارق (١٧٠٠)[٤] أو (٧٠٠٠)[٥] وقيل (١٠٠٠٠)[٦] أو (١٢٠٠٠) منهم عدد قليل من العرب[٧] يقدر بـ (١٦) شخصا فقط[٨].وفي هذا مبالغة.

وبتحليل متزن مرتبط بالأرقام التي وردت عن أعداد العرب، فإن البربر الذين دخلوا مع طريف هم أربعمائة وليسوا ثلاثة آلاف، لأنها حملة استكشافية، والذين دخلوا مع طارق كانوا ألفاً وسبعمائة في البداية، لكنهم زادوا ليصلوا إلى سبعة آلاف وربما أكثر بقليل، وهذه نسبة طبيعية في ذلك الوقت المبكر، وهي ليست قليلة مقارنة بأعداد العرب البلديين البالغة ١٢٫٤٠٠ كما ذكرنا من قبل.

---

(١) سالم: تاريخ، ص ١٢٢ ؛ مؤنس: فجر ، ص ٣٧٩.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ٢٥٩؛ ابن الكردبوس: تاريخ، ص ٤٨.

(٣) ابن الكردبوس: تاريخ (الاكتفاء)، ص ٤٥.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ٢٠٤ ؛ MAKKí: MAHMÚD: EGIPTO Y LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA, PEVISTA DEL INSTITUTO DE ESTUPLOS ISLAMICOS EN MADRID, Fask 1-2 , MADRID 1957 , p. 222 " نقلا عن العذري"، وسيشار له: MAKKI:EGIPTO.

(٥) ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٦٨، وذكر لومبارد أن منهم ٣٠٠٠ عربي. لومبارد: الجغرافية، ص ١١١.

(٦) ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٥ ؛ ابن الكردبوس: تاريخ (الاكتفاء)، ص ٤٩ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤ ، ص ١٥٠؛ المقري: نفح ، ج١ ، ص ٢٣٣ ؛ MAKKI: EGIPTO p. 223.

(٧) ابن عبد الحكم: فتوح افريقيه، ص ٧١ ؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٤؛ القيرواني: تاريخ ، ص ٧٦ ؛ ابن الشباط: صلة السمط ، ص ١٣٤.

(٨) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية ، ص ٧١ ؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ٢٠٤.

وقد زاد عدد البربر الداخلين للأندلس بعد الفتح وقوي نفوذهم وأصبحوا أكثر من العرب، بدليل قول ابن القوطية: "ومكثوا سنين لا يجمعهم وال، إلا أن البربر قدموا على أنفسهم ايوب بن حبيب اللخمي"[١] ، وقد سكن البربر إلى جانب العرب في الأماكن والأراضِ الخصبة[٢]، بدليل اتحادهم مع العرب البلديين ضد العرب الشاميين كما أسلفنا، كما سكن بعضهم في الجبال رغبة منهم[٣]. وهذا يعني أنهم نزلوا الأراضي التي يشاؤون حسب استحسانهم لها[٤] .

وسكن مدن قرطبة من القبائل البربرية: مصمودة ومغيلة وهوارة وكتامة في شقندة ومصمودة ومديونة ومكناسة ونفزة في فحص البلوط ولواته غرب فحص البلوط وبنوا القمراطي من هوارة غرب قرطبة، ومصمودة في بيانة جنوب شرق قرطبة[٥] .

وعمل البربر في الجيش، والزراعة، والرعي، والصناعة، والصيد، والتجارة، وحراسة الليل[٦]، وتقلدوا العديد من الوظائف الإدارية والدينية فيما بعد.

الموالـي:

هم المسلمون من غير العرب، كالترك والفرس والروم وغيرهم، من الذين انتموا ودخلوا في ولاء القبائل العربية في المشرق الإسلامي من أجل حمايتهم[٧]، واصبحوا مع الزمن عرباً مثلهم، ويؤكد ذلك إطلاق أحد المؤرخين عليهم لقب الأمويين[٨] عندما دخلوا الأندلس، تميزا لهم عن العرب البلديين والعرب الشاميين في ذلك الوقت المبكر.

---

(١) ابن القوطية: تاريخ ، ص ٣٨.

(٢) مؤنس: فجر، ص ٣٧٠ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ ؛ سالم: تاريخ ، ص ١٢٣.

(٣) لومبارد: الجغرافية، ص ١٠٢ ؛ مؤنس: فجر، ص ٣٨٨.

(٤) مؤنس: فجر، ص ٣٨٨ ؛ عباس: احسان ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، الطبعة السابعة، دار الثقافة، بيروت: لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ١١، وسيشار له: عباس : تاريخ.

(٥) الاصطخري: المسالك ، ص ٣٦ ؛ الخالدي: الاستقرار، ص ١٣٥ -١٣٧ ؛ أحمد : القبائل ، ص ٧٨.

(٦) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٠٧، ٢٠٩، ج٢، ص ١١٠-١١١، ٣٧٥؛ لومبارد: الجغرافية، ص ١٣-١٤ ؛ موسى: عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص ٨٥، وسيشار له: موسى: النشاط.

(٧) فروخ : عمر: العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ١٤٩ ، وسيشار له: فروخ: العرب.

(٨) ابن القوطية: تاريخ، ص ٤١.

وقد شكل الموالي الفئة الثالثة في دخول الأندلس بعد العرب والبربر، وكان دخولهم للأندلس مرافقا لهما مع جيش طارق[١] وجيش بلج[٢] ، ثم زاد عددهم زمن الأمير عبد الرحمن الداخل بسبب سقوط دولة بني أمية في المشرق[٣] .

و لم يقتصروا على المجموعات التي جاءت من المشرق، بل ضموا عدداً كبيراً من الإسبان في الأندلس الذين دخلوا في ولاء بني أمية بعد الفتح الإسلامي، مثل بني قسي في سرقسطة، وبني حدير في جيان، وبني فطيس في بطليوس، وبني مرتين في قرطبة وغرناطة، وبني مغيث في قرطبة[٤] ، وهؤلاء يتمتعون بوضع اجتماعي مميز كالعرب والبربر، بفضل دعم عبد الرحمن الداخل لهم لإخلاصهم له[٥] .

ومن الصعب تحديد رقم لأعداد هؤلاء الموالي، لكن، من المؤكد أن نسبتهم أقل من العرب والبربر عند دخولهم للأندلس، لذا، فهم لا يتجاوزون الألف بكثير اعتماداً على تحليلنا السابق لأعداد البلديين والبربر الداخلين للأندلس.

المستعربون:

هم النصارى الإسبان الذين بقوا على دينهم و لم يدخلوا الإسلام، وقد أطلق عليهم المسلمون عدة القاب منها: النصارى، والعجم، وعجم الأندلس، وعجم الذمة، والروم البلديون، والروم المعاهدة، والنصارى المعاهدون، والمعاهدون[٦] .

---

(١) ابن الشباط: صلة السمط ، ص ١٦٨.

(٢) ابن القوطية: تاريخ ، ص ٤١.

(٣) مجهول: أخبار، ص ٨٣.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ١٣٠ ؛ ابن حيان: حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، القسم الثالث، وهو مشتمل على تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموي بقرطبة، اعتنى بنشره عن النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة البدليانة باكسفرد، الأب ملشور م. انطونيه، برلس كتنر الكتبي بباريس، ١٩٣٧م، ص ١٠٨، وسيشار له: ابن حيان: المقتبس ج٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج١ ، ص ٣٥١ ؛المقري: نفح، ج١ ، ص ٤٤٢ ، ج٣، ص ١٢ ، ٤٧٤؛ مؤنس: فجر، ص ٤٠٣-٤١٠؛ عباس: تاريخ، ص ١٢-١٣.

(٥) مؤنس: فجر، ص ٤٠٨ ؛ سالم: تاريخ، ص ١٢٦ ؛ الأوسي: فصول، ص ٢٩.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج٤، ص ٤٠ ؛ الونشريسي: أحمد بن يحيى التلمساني (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م)، "أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر"، نشر: حسين مؤنس، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التربية والتعليم للاقليم المصري، الإدارة العامة للعلاقات الثقافية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، ماتياس مورنتيرو، رقم (١٤)، مدريد، العدد ١-٢، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ص ١٣٩ ، وسيشار له: الونشريسي: اسنى؛ بدر: دراسات، ص ١٠٩ - ١١٠؛ مؤنس: فجر، ص ٤٢٤-٤٢٨؛ سالم: تاريخ، ص ١٣٠ ؛ هيكل: الأدب، ص ٣٨ ؛ أحمد: القبائل، ص ١٨١.

وقد بدأ اسم المستعربين يظهر على ألسنة الناس عندما اندمج النصارى بالعرب المسلمين فتعلموا لغتهم العربية وعاشروهم، و لم يأخذ هذا الاسم مكانة في النصوص إلا بعد فترة من الزمن، عندما استعملها كتاب النصارى الذين ألفوا الكلام عن أنفسهم وإخوانهم، وعن طريق هؤلاء، انتقلت إلى كتاب النصارى الذين كانوا يكتبون باللاتينية في بلاد المسلمين، ثم أخذها أصحاب المدونات النصرانية الذين كانوا يكتبون في بلاد النصرانية الإسبانية، ثم استعملت في الوثائق النصرانية اللاتينية والإسبانية، وعم استعمالها بعد ذلك[1] .

وعاش المستعربون إلى جانب المسلمين متمتعين بحريتهم الدينية وبالأمن والطمأنينة وبالمعاملة الحسنة، فقد كانت لهم حقوق وعليهم واجبات، من أهمها دفع الجزية والخراج للمسلمين، ونظراً لهذه العلاقة الحسنة، فقد سمح المسلمون لهم بحرية التصرف في حياتهم حسب نظامهم الديني والمدني والإداري، فكان لهم قاضٍ منهم[2] ، وكنائس وأديرة يؤدون فيها طقوسهم الدينية في مدن الأندلس كافة، منها بقرطبة كنيسة بحي الطرازين وأخرى بحي الرقاقين وكنيسة القديسين الثلاثة[3] ، ووجد لهم رئيس منهم يعرف بالقومس* يعينه الأمير بالأندلس، ويسمح للمستعربين

---

(١) الونشريسي: اسنى المتاجر ، ص ١٣٩.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٥ ؛ مؤنس: فجر، ص ٤٦٢ ؛ لومبارد: الجغرافية، ص ١٠٧ ؛سالم: تاريخ، ص ١٣٠ ؛ عباس: تاريخ الأدب، ص ١٣. وقد سمى المسلمون هذا القاضي قاضي العجم، وكان يحكم بأنظمتهم وقوانينهم وإن حدث خلاف مع المسلمين، فإن الحكم يكون لقاضي المسلمين؛ النباهي: ابو الحسن علي بن عبد الله المالقي (ت ٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر : ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري: القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ص ٢١، وسيشار له: النباهي: المرقبة العليا ؛ ابن سهل: أبو الاصبع عيسى بن سهل الأندلسي (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م) الأحكام الكبرى "وثائق في أحكام أهل الذمة في الأندلس" مستخرجة من الأحكام الكبرى، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة: محمود علي مكي ومصطفى كامل اسماعيل، المطبعة العربية الحديثة: القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ١٢، ١٧ ، وسيشار له: ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"؛ مؤنس: فجر،ص ٤٤٧ ـ ٤٥٥ (يشترط أن يكون قاضي المسلمين عارفاً بأنظمة القوط) ؛ سالم: تاريخ: ص ١٣٠-١٣١.

(٣) ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"، ص ١٢ ؛ الونشريسي: أحمد بن يحي التلمساني (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عند فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، ١٣ج ، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف : محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ج٢، ص ٢٤٧ ، وسيشار له: الونشريسي: المعيار ؛ مؤنس: فجر ص ٥٢٣ ؛ سالم: تاريخ، ص ١٣١ ؛ فكري: قرطبة، ص ٢٤٦ ؛ خلاف: قرطبة، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥.
والأصل أنه لا يجوز للنصارى بناء كنائس بأرض المسلمين إلا بسماح المسلمين لهم، وأن تكون بعيدة عن أماكن سكن المسلمين؛ ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"، ص ٣٠، ٣١، ٣٨، ٧٧-٨٠ . وقد افتى فقهاء قرطبة بعدم بناء كنائس وهدم ما هو موجود؛ الونشريسي: المعيار، ج٢، ص ٢٤٦-٢٤٨.

* القومس: كلمة لاتينية هي Comes ومعناها مرافق الملك ونديمه. عبد الحليم: رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ص ٧٠، هامش (٤٢) ، وسيشار له: عبد الحليم: العلاقات.

بانتخاب مساعدين له، يشرفون على شؤونهم وحل مشكلاتهم وجمع الضرائب المترتبة عليهم وتسليمها للمسلمين(١) .

ولكي يبقى المستعربون متمتعين بالمميزات السابقة، عليهم احترام الإسلام والمسلمين، وإن حدث عكس ذلك فإنه لا عهد لهم(٢) .

المسالمة:

هم الذين اعتنقوا الإسلام من النصارى وعجم الأندلس قناعة ورغبة منهم أو طمعا في مصالح شخصية تتمثل في الخلاص من الحكم القوطي ولإعفائهم من الجزية والخراج وتقليدهم مناصب عليا، ومن هؤلاء من اندمج بالعرب ونسي أصله، ومنهم من احتفظ باسم عائلته(٣) .

وصار للمسالمة ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات، وقد وصل بعضهم لمناصب عليا بالدولة في فترة مبكرة، مثل القاضي مهدي بن مسلم زمن الوالي عقبة بن الحجاج السلولي(٤) .

---

(١) ابن القوطية:تاريخ، ص ٣٨ ؛ ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"، ص ١٢ ؛ مؤنس: فجر، ص ٤٤٧؛ بدر: دراسات ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ؛ سالم: تاريخ، ص ١٣٠ ؛ فكري: قرطبة، ص ٢٤٤-٢٤٥؛ عبد الحليم: العلاقات، ص ٧٠.

(٢) ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"، ص ٢٨، ٧٠-٧٣، وأنظر شروط عيش أهل الذمة بأرض المسلمين وما ينقض عهدهم: ابن الأزرق: ابو عبد الله محمد بن علي الأندلسي (ت ٨٩٦هـ/١٤٩٠م) بدائع السلك في طبائع الملك، ٢ج، تحقيق: علي النشار، منشورات وزارة الثقافة والفنون: العراق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص ١٧٩–١٨٣، وسيشار له: ابن الأزرق : بدائع.

(٣) ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"، ص ١٢ ؛ مؤنس: فجر، ص ٤٣٠-٤٣١؛ بدر: تاريخ، ص ١٠٩؛ سالم: تاريخ، ص ١٢٧؛ عباس: تاريخ الأدب، ص ١١ ؛ فكري: قرطبة، ص ٢٤٣.

(٤) الخشني: ابو عبد الله محمد بن حارث القيرواني (ت ٣٦١هـ/٩٧١م) قضاة قرطبة: الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص ٨-٩ (كتاب التكليف ص ٩-١٢)، وسيشار له: الخشني: قضاة.

المولدون:

هم خليط من دم العرب المسلمين ومن أهل البلاد الأصلاء، سواء أكانوا من النصارى أم غيرهم، وغالباً ما يكون الأب عربيا والأم إسبانية (نصرانية)، فيولد الابن مسلماً وينشأ على الإسلام[١].

وبدأ ظهور هؤلاء الأبناء، في وقت مبكر، عندما تزوج كبار رجال العرب المسلمين من النساء الإسبانيات وأنجبوا منهن مثل: عبد العزيز بن موسى بن نصير وعيسى بن مزاحم وزياد بن النابغة التميمي وغيرهم[٢] .

واندمج المولدون بالمجتمع العربي الإسلامي وانتموا له، لكن بعضهم احتفظوا بأسمائهم القديمة، مثل: بني الجلين وبني الجريح وبني شبرقة في إشبيلية ، وبني مردنيش في غرناطة وقرطبة وبلنسية وغيرهم[٣] .

وعمل المستعربون والمسالمة والمولدون في الزراعة[٤] والصيد والتجارة والأمن الداخلي وجباية الضرائب[٥] ، واشتهروا بالحرف الصناعية خصوصاً المولدين منهم، وذلك لتوافر المعادن في مدن قرطبة والأندلس، كالذهب، والفضة ، والحديد، والنحاس، والفولاذ، والرصاص، والقصدير، والزئبق، والرخام الأبيض والخمري، وحجر البلور، وحجر الأزود، وحجر الشاذنة، وحجر المغناطيس، وحجر الشاذنج،

---

(١) مؤنس: فجر، ص ٤٢٩ ؛ سالم: تاريخ، ص ١٢٧ـ١٢٩؛ أحمد: القبائل، ص ١٨١ ؛ فروخ: تاريخ، ص ١٥٠؛ هيكل: الأدب،ص ٧٦ ؛ العبادي: أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، د.ت. ص ٣٣٠، وسيشار له : العبادي: تاريخ؛ ارسلان: شكيب: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، د.ت، ص ١٣٤، وسيشار له: ارسلان: تاريخ؛ عبد البديع: لطفي: الإسلام في اسبانيا، الطبعة الأولى: مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص ٢٤، وسيشار له: عبد البديع: الإسلام.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢١٢ ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٣٢، ٣٧ ؛ مجهول: أخبار، ص ٢٧.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج٣، ص ٧٤ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢١٢ - ٢١٣؛ المقري: نفح ، ج١ ، ص ٢٩٦، ٤٤٢، ج٣، ص ٤٧٤ ؛ مؤنس: فجر ، ص ٤٣١ ؛ سالم: تاريخ ، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٤) لمزيد من المعلومات عن أنواع المزروعات وأماكن وجودها في الأندلس أنظر: أ. د. محمد عبده حتاملـه "ملامح حضارية في الأندلس" مقال منشور ضمن كتاب: بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم محمود غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، بلا، ١٩٨٩م، ص ١٨٤-١٩١؛ وسيشار له: حتامله: "ملامح".

(٥) سالم: تاريخ، ص ١٢٩ ؛ مؤنس: فجر، ص ٤٣٥ ؛ لومبارد: الجغرافية، ص ١٠٧.

وحجر ألتوتيا، وحجر الصادنة، وحجر الغاز (النـار)، والحجـر النجـادي، والأحجـار الكريمـة، ومعـدن الشبوب، والكبريت الأصفر والأحمر[١] .

وبـرع المولـدون في الصناعـات المعدنيـة والزجاجيـة والخشـبية بمختلـف أنواعهـا مـن الأسـلحة والزجاجيات والأدوات الأخرى التي يحتاج إليها المجتمع، وفي الصناعات الزراعية والغذائيـة لتوافـر المـواد الرئيسة من الحبوب والأشجار المثمرة والمزروعات المختلفة، وفي الصناعات التقليدية من الفخار والكاغد والجلود والتحف والخزف والمنسوجات وما يتعلق بها وما ينتج عنها[٢] .

ووجدت لهذه المنتوجات أسواق داخلية وخارجية، فسوق قرطبة الرئيسي يحيط بمسجدها علـى شكل دكاكين ثابتة وبسطات متنقلة ، وتباع فيه المنتوجات الاسـتهلاكية الرئيسـية، وهـذه الصناعـات أصبح لها مع الوقت أسواق خاصـة تسـمى باسـم الحرفـة، كالدبـاغين والخيـاطين والكتـانيين والقراقيـن (صانعي الأحذية) والخشابين والقصابين وغيرها[٣]، وكان يشرف على هذه الأسـواق ويراقـب كـل مـا يتعلق بها المحتسب[٤] .

اليهـود:

سـكن اليهـود إلى جـانب النصـارى مـن الـروم والقبـط في الأندلـس، وكـانوا مضطهدين لدرجة كبيرة وصلت إلى تنصيرهم[٥] واسترقاقهم ومصادرة أموالهم، لأنهم شعب

---

(١) ابن الفقيه: مختصر، ص ٨٧ ؛ البكري: جغرافية الأندلس، ص ١٢٤ - ١٣٠ ؛ الزهـري: الجغرافيـة، ص ٨٧ ؛ الادريسـي: القارة، ص ٣٠٧ ؛ القزويني: آثار، ص ٥٥٢ ؛ شيخ الربوة: نخبة ، ص ٢٤٢ ؛ ابو الفـداء: تقويـم ، ص ١٢٧ ؛ المقـري: نفح، ج١ ، ص ١٤٢، ١٤٣، ٢٠٠، ٢٠٤، ٤٥٥، ٥٢٠. ولمزيد مـن التفـاصيل عـن هـذه المعـادن وأماكن وجودهـا وتصنيعها أنظر: حتامله: "ملامح".

(٢) حتامله: " ملامح " ، ص ١٩١ - ١٩٢ ، ١٩٤ - ١٩٧ ؛ خلاف: قرطبة، ص ١٠٦ - ١١٠، ١٥٣ - ١٧٢ ؛ سالم: تاريخ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٣) خلاف: قرطبة، ص ١٢٧ - ١٣٧ ؛ فكري: قرطبة، ص ١٧١- ١٧٥ ، ٢٥٥- ٢٥٦.

(٤) أنظر: خلاف: قرطبة، ص ١٣٦-١٥١.

(٥) ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"، ص ١٢ ؛ سـالم: تـاريخ، ص ١٣٣ ؛ الخـالدي: الاسـتقرار، ص ٣٨ ؛ علـي: سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف البعلبكي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايـين، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ١١٢-١١٣، وسيشار له: علي : مختصر.

نجس[١]، لذلك، لم يقفوا في وجه المسلمين عندما فتحوا الأندلس، و لم يقاوموهم، فعاملهم المسلمون بتسامح، مما شجعهم على دخول الإسلام[٢] ، ومن لم يدخل الإسلام تم التعامل معه كالنصارى تماما؛ لأن الاثنين أهل ذمة يدفعون الجزية والخراج، ولهم حرية ممارسة طقوسهم الدينية وتنظيم شؤونهم المدنية والإدارية بما لا يتعارض مع أحكام الدولة الإسلامية، خصوصا أن فقهاء المسلمين حددوا بعض الآداب العامة للتعامل معهم[٣] ، وتجمع أعداد كبيرة من اليهود في قرطبة بين الرصيف وقصر الإمارة، فسمي المكان (حي اليهود)[٤]، وعملوا في الصيرفة والصياغة والتجارة[٥] .

الصقالبة:

هم الذين عرفوا بالخرس والخصيان والفتيان والرقيق والخلفاء والمجابيب،[٦]، وكان يؤتى بهم من بلاد أوروبا الشرقية والوسطى والجنوبية[٧] ، فمن شرق أوروبا يتم المرور بتشيكوسلوفاكيا الحالية وبولونيا وروسيا والقسطنطينية وألمانيا وفرنسا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطلونية حتى ثغر بجاية[٨] .

---

(١) آبل: ارمان: "اسبانية الانقسام الداخلي" من كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، تحرير: كرونباوم: جي: ني، ترجمة صدقي حمدي، مراجعة : صالح العلي، د. ت، ص ٣١١، وسيشار له: آبل: اسبانية.

(٢) ابن سهل: الأحكام "وثائق أهل الذمة"، ص ١٢ ؛ الزجالي: أمثال ، ج١ ، ص ٢١٧ ؛ لومبارد: الجغرافية، ص ١٠٨؛ مؤنس: فجر، ص ٥٢٠-٥٢٣ ؛ علي: مختصر، ص ١١٢، ١١٥ ؛ عبد البديع: الإسلام، ص ٣٣ ؛ سالم: تاريخ، ص ١٣٣؛ عاشور: أوروبا، ج١ ، ص ٥٣٨ ؛ لوبون: غوستاف: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ؛ ص ٢٧٧ ؛ وسيشار له: لوبون: حضارة.

(٣) ابن سهل: الأحكام " وثائق أهل الذمة"، ص ١٣ ؛ خلاف: قرطبة، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٤) لومبارد: الجغرافية، ص ١٠٨ ؛ مؤنس: فجر، ص ٥٢٥ ؛ خلاف: قرطبة، ص ٢٦٦ .

(٥) الزجالي: أمثال، ج١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦، ج٢، ص ١١، ١٧-١٨ ؛ لومبارد: الجغرافية، ص ١٠٩، ٢٧٠ - ٢٧٩ ؛ بدر: تاريخ ، ص ١١٠ ؛ فكري: قرطبة، ص ٢٤٦ ؛ موسى: النشاط، ص ١٠٩.

(٦) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢١٤ ، وعرفوا في الخرس لأنهم لا يعرفون العربية، والخصيان لأنه كان يتم خصيهم للخدمة في قصور الأمراء وبيوت رجال الدولة، والفتيان هم الغلمان الذين يتقلدون مناصب في المطبخ والطراز لنشاطهم، والرقيق العبيد، والخلفاء للذين يعتقون تمييزا لهم عن الموالي؛ فكري: قرطبة، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٧) بروفنسال: أ. ليفي : حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص ٧٧ ، وسيشار له: بروفنسال: حضارة؛ لومبارد: الجغرافية، ص ٢٦٠ ؛ آبل: اسبانية، ص ٣١٩ ؛ بدر: دراسات، ج٢، ص ٢٣٤؛ الشعراوي: أحمد ابراهيم: الأمويون أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩، ص ٢١٦، وسيشار له: الشعراوي: الأمويون. وأنظر: ابن حوقل: صورة، ص ١٠٦.

(٨) العبادي: أحمد مختار: الصقالبة في اسبانيا ،"لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية" وزارة المعارف العمومية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، ص ١٠، وسيشار له: العبادي: الصقالبة.

وكان الشراء والأسر هما الطريقين الرئيسيين لوصول هؤلاء الصقالبة إلى بلاد المسلمين؛ فالشراء يتم من اليهود الذين يتاجرون بهم في المناطق السالفة الذكر، وبخاصة في مدينة براغ في شرق ألمانيا ومدينة فردان باللورين في فرنسا، حيث يقوم اليهود بخصي الصقالبة وبيعهم[١]، وكذلك فعل المسلمون في مناطق الثغور المتصلة بفرنسا[٢] ، أما الأسر، فمن خلال الحروب المستمرة بين بلاد الأندلس والممالك النصرانية الشمالية[٣] .

وانحصرت عمليتا الشراء والأسر بفئة الأطفال من الجنسين، إذ يربون تربية إسلامية[٤] ، ثم يعلمون ويدربون على أعمال مختلفة، فمن يؤسروا يدربوا على كيفية الخدمة في الدولة الإسلامية في الجيش أو أعمال القصر الداخلية من خدمة وحراسة وغيرها، ومن يشتروا يدربوا على أعمال تتعلق بالخدمة المنزلية والخدمات العامة، مثل تجهيز النساء الإماء للخدمة أو للزواج والمتعة[٥] ، والرجال الخصيان لخدمة الحريم[٦]، أو للقيام ببعض الأعمال الشاقة التي تحتاج للقسوة والجلد[٧] ، وذلك من أجل سرعة تسويقهم وجني الأرباح الطائلة من ورائهم.

ووجد العبيد في بلاد الأندلس بلونين أبيض وأسود، الأبيض يؤتى به من بلاد أوروبا والممالك النصرانية الإسبانية، والأسود من بلاد السودان، وكان اتخاذهم للخدمة شارة من شارات الغنى والعزة، فقيل في المثل: " البغل المسمر، والعبد المشمر"[٨] .

---

(١) العبادي: الصقالبة، ص ٩.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ١٤٥.

(٣) عنان: محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ٣ج، العصر الأول ـ القسم الأول، الطبعة الثالثة، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص ٢٤٦، وسيشار له: عنان: دولة.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٦ ؛ العبادي: الصقالبة، ص ١١ ؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢١٦.

(٥) الزجالي: أمثال، ص ٢١٩ ؛ لومبارد: الجغرافية، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٦) لومبارد: الجغرافية، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٧) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٢١ ، ج٢، ص ٩٩ "اترك الفاس خذ المصحا (المجرفة)" أي انه ما ينتهي من عمل شاق حتى يكلف بأشق منه. وقد عملوا بالزراعة والصناعة والتجارة ؛ موسى: النشاط، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٨) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢١٨. إن ركوب البغال الفارهة ذات الصفائح المسمرة في أرجلها يصحبها العبيد للخدمة يدل على المكانة.

وكان الناس يفضلون اقتناء الأسود على الأبيض لصبره وتحمله وطاعته وإخلاصه فقيل في المثل: "طل (طول) ما تجد أسود، لا تسخر أبيض"[١] و "السود للسادة، والبيض للرمادة"[٢] .

وتزايدت أعداد الصقالبة في قرطبة تزايداً تدريجياً من : ٣٧٥٠ إلى ٦٠٨٧ ، إلى ١٠٠٠٠ إلى ١٣٠٠٠ إلى ١٣٫٧٥٠ ، ووصلت إلى أكثر من ١٥٠٠٠ زمن عبد الرحمن الناصر الثالث[٣]، فكان هناك ٦٫٧٨٦ صقلبياً يعملون في خدمة القصر وحراسة أبوابه، و ٦٫٨١٤ امرأة من النساء والجواري والطباخات يعملن في خدمة القصر[٤] . وصار لهم شأن كبير لثقة الأمراء بهم، ومحاولتهم تقليل، نفوذ العرب والبربر[٥] ، لذا، فقد قوي نفوذهم وصاروا يصادرون الأراضي ويغتصبون الناس في بيوتهم[٦] ، ووصلت الحال بهم إلى تشكيل ممالك في طرطوشة والمرية ومرسية ودانية وبلنسية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[٧] ، فأثبتوا بذلك وجودهم اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وإدارياً، وقللوا شأن العرب والبربر.

وقد اتصف العبيد بالغلظة والفظاظة والجفاء والخشونة "أجفى من خصي"[٨] ، لذا، فكانوا محل كراهية من الناس وهدفاً لنقدهم وسخريتهم[٩] .

وقد عاشت هذه الفئات المختلفة جنباً إلى جنب في بقاع الأندلس كافة، وخصوصاً قرطبة، ذلك أنها عاصمة الدولة الإسلامية ومركزها الرئيسي في الشؤون السياسية والإدارية والاقتصادية والفكرية، لكن، ما الأسس التي اعتمدت في إسكان هذه الفئات؟ وما آثار اختلاطهم ببعضهم؟ ، وما السمات العامة التي اتصفوا بها؟ وهل وجد تقسيم اجتماعي لهم؟.

---

(١) الزجالي: أمثال، ج١ ، ص ٢١٩.

(٢) المصدر السابق : ج١ ، ص ٢١٩.

(٣) بروفنسال: حضارة، ص ٧٧ ؛ لومبارد: الجغرافية، ص ٢٥٩ ، ٢٦٣ ؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٥٣٧ ؛ العبادي: الصقالبة ، ص ١١ ؛ فكري: قرطبة، ص ٢٥٠.

(٤) مجهول: وصف، ص ١٧٠ . وبلغ عدد الصقالبة بالزهراء زمن الناصر ٣٫٩٥٠.

(٥) الزجالي: أمثال ، ج١ ص ٢١٤ ؛ العبادي: الصقالبة، ص ١١-١٥.

(٦) بوتشيش: ابراهيم القادري: "تطور ملكية أراضي الجيش في الأندلس منذ الفتح العربي حتى مطلع عصر الخلافة" ، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، العدد (٣٨) ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ١٥٢ ، وسيشار له: بوتشيش: تطور.

(٧) لومبارد: الجغرافية، ص ٢٦٣ ؛ العبادي: الصقالبة، ص ١١.

(٨) الزجالي: أمثال، ج١ ، ص ٢١٥.

(٩) المصدر السابق : ج١ ، ص ٢١٤.

نبدأ بالحديث عن كيفية حصولهم على الأرض وإقامة السكن فيها، قائلين:
فتحت قرطبة عنوة، و لم تقسم الأرض على الفاتحين حسب أحكام الشريعة الإسلامية، بل كان لكل يد ما أخذت[١] ، فالغلبة والقوة هي الأساس في الاستحواذ على الأرض، ذلك أن العرب والبربر الفاتحين عدوها غنيمة[٢] ، وأقرهم موسى بن نصير على ما فعلوا، بعد أن أخرج الخمس من الأرض والسبي وكتب لهم سجلات بذلك[٣] . وأرسل موسى بهذه السجلات مع قسم من السبايا للخليفة الوليد بن عبد الملك، وأبقى بعضهم يعملون على استغلال ما تبقى من خمس الأراضي، فعرفوا بالأخماس وأبناؤهم ببني الأخمس[٤] ، وأقر الخليفة الوليد السجلات التي كتبها موسى للمقطعين، لذا، فقد رفض هؤلاء أن يشاركهم أحد في أراضيهم، خصوصا عندما جاء السمح بن مالك الخولاني بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز لتخميس ما تبقى من الأراضي، فحاول إجراء بعض التعديلات وأخذ جزء من الأراضي منهم، فرفضوا وذهبوا للخيفة عمر وأخبروه ما حدث، وعرضوا عليه السجلات التي بحوزتهم، فأقرها وأمر السمح بإقطاع جنده مما تبقى من أراضي الخمس، ففعل ذلك[٥] ، ثم خمس قرطبة وجعل خمساً منها مقبرة للمسلمين (مقبرة الربض)[٦] ، و لم يستطع إكمال التخميس بسبب وفاة الخليفة عمر[٧].
وأدى هذا الإجراء إلى تناقص أرض الخمس وتحويل هذه الأراض إلى إقطاعات توارثها الأبناء عن الآباء، وأصبح عرفاً سار الناس عليه وأقروه.

و لم تستقر أوضاع الأراضي وتوزيعها على كل الفئات بإقرار العرف لها، فقد استغل ذوو النفوذ عدم وجود قانون شرعي لها، فصادروها من أصحابها بالقوة، وسرقوا السجلات وأتلفوا بعضها، وزوروا بعضها الآخر خصوصا في القرن الثالث الهجري[٨] .

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٢٠٦ (الرسالة الشريفة)؛ أحمد: القبائل، ص ٦٤ ؛ أبو ارميلة: هشام: نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، بلا، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ١٤٤ــ١٤٥، وسيشار له: أبو ارميلة: نظم؛ بوتشيش: ابراهيم القادري: "المشكل القانوني للملكية العقارية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى مطلع القرن ٤هـ"، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب ، العدد (٣٦)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٢٤٣ ، وسيشار له: بوتشيش: "المشكل".

(٢) المقري: نفح، ج١ ، ص ٢٤٣ ؛ أبو ارميلة: نظم، ص ١٤٥ ؛ بوتشيش: "المشكل"، ص ٢٤٣ ؛ عباس: تاريخ الأدب ، ص ١٤.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٢٠٤-٢٠٦ (الرسالة الشريفة) ؛ أبو ارميلة: نظم، ص ١٤٥ ؛ بوتشيش: "المشكل"، ص ٢٤٢.

(٤) ابن القوطية:: تاريخ، ص ٢٠٤-٢٠٧ ، أبو ارميلة: نظم، ص ١٤٦ ؛ بوتشيش: "المشكل"، ص ٢٤٢.

(٥) ابن القوطية: تاريخ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ؛ مجهول: أخبار، ص ٢٣ ؛ بوتشيش: "المشكل"، ص ٢٤٨ - ٢٥١.

(٦) ابن القوطية: تاريخ، ص ٢٠٧، ٢١٠ (الرسالة الشريفة) ؛ ابن عذاري: البيان، ج ٢ ، ص ٢٦.

(٧) ابن القوطية: تاريخ، ص ٣٩.

(٨) بوتشيش: "المشكل"، ص ٢٥١-٢٥٤.

إذاً، لم يكن توزيع الأراضي بقرطبة وسكن الناس بها منظمين تنظيماً دقيقاً، بل عشوائي لا تحكمه أسس شرعية، فنزلت كل فئة بل وكل قبيلة منها في المكان الذي تريده حسب ملاءمته لها، ولم يكن هذا عامل وحده لهذه الفئات السكانية المختلفة، بل عامل فرقة واختلاف؟.

وننتقل الآن للحديث عن اختلاط هذه الفئات بعضها ببعض وما ترتب عليه من آثار، موضحين أن هناك جانبا إيجابياً مشرقاً وجانباً سلبياً مظلماً، أما الجانب المشرق، فهو ارتباط معظم الفئات خصوصا العرب والبربر والعرب والنصارى برباط التزاوج والمصاهرة وتعايشهم وانسجامهم وتأقلمهم مع بعضهم متساويين، في جو من الألفة والمحبة والأمن والطمأنينة، ثم انتشار الإسلام بفضل مبادئه السمحة وحسن تعامل المسلمين مع الجميع، وإقبال الكثيرين على الدخول فيه*.

أما الجانب المظلم، فقد تمثل في عدم وجود تجانس ديني وجنسي واجتماعي وثقافي بين جميع الفئات في البداية، مما أدى إلى ظهور حواجز بينهم، كانت تتسع وتضيق حسب الأوضاع السائدة، لكن النزاعات استمرت بين العرب والفئات الأخرى، خصوصا مع البربر والمولدين[1] وبين العرب أنفسهم من بلديين وشاميين وقيسيين وكلبيين[2]، لذا، لم تكن العناصر السكانية بقرطبة مؤتلفة بل مختلفة، فظهرت الفتن والاضطرابات. وبالرغم من ذلك كله، فقد وجد تقارب بين جميع هذه العناصر من واقع المصلحة العامة، من خلال وجود ميزان معتدل يضمن للجميع الحرية الدينية والأمان والطمأنينة

---

* وهنا يعبر أحد المؤرخين عن انتشار الإسلام بقوله: لا نستطيع الجزم بأن من دخلوا الإسلام من أهل الأندلس كان قد حسن إسلامهم كما أننا لا نستطيع أن نجزم بأن فئات كبرى في الأندلس كانت قد إنخرطت في الإسلام وظلت تحن إلى دينها القديم. وربما نعتقد أن أهل البلاد كانوا يجارون ظروف العرب وأوضاعهم ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ١٤ (من المقدمة).

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢١٧ - ٢١٨ ؛ مجهول: أخبار، ص ٣٠-٣٥ ؛ القيرواني: تاريخ، ١١٠-١١٢ ؛ آبل: اسبانية ص ٣١٤ . وهنا يعلق أحد المؤرخين المحدثين على ذلك بقوله: " على أن المهم في أمر هؤلاء البربر هو أنهم نظروا إلى العرب في الأندلس نظرة الحقد والكراهية ... إذ اعتبروا موسى بن نصير وأعوانه من العرب متطفلين تمتعوا بثمار الجهود التي بذلها طارق بن زياد ورجاله الاثنا عشر -ألفا – من البربر في فتح افريقيا ودحر القوط" ؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٥٣٦. وأكد أحد المؤرخين القدامى هذه الفكرة تأكيداً غير مباشر، عندما وضح أن الاتحاد الذي تم بين العرب البلديين والبربر ضد العرب الشاميين لا يعبر عن المشاعر الحقيقية التي يضمرها كل طرف للآخر قائلا: "... فرضيت البربر أن تنال ثأرها من أهل الشام، فإذا فرغوا كان لهم في أهل البلد رأي" ؛ مجهول: أخبار، ص ٤٣ .

(٢) أنظر كأمثلة الصفحات السابقة التي تناولت الصراع بين العرب البلديين والعرب الشاميين. وأنظر أبيات الشعر القبلية المتعصبة بين القيسيين والكلبيين ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٣ ، ٥٤.

والعيش الكريم، وهذا يشبه انتشار اللغة العربية العامية في الأندلس على حساب اللغة العربية الفصحى واللغات الأعجمية الأخرى[١] . وصدق المثل الأندلسي القائل : "أحاذ موخوذ والهارب لا يفوت"[٢] الذي يقال للمصيبة إذا حلتَ بأنها تشمل الجميع المسلم والنصراني والبربري واليهودي لا تفرق بين أحد منهم، لذا، فقد كانوا مضطرين لأن يتعايشوا مع بعضهم بحد أدنى من الاتفاق بينهم.

واتصف سكان قرطبة بعدة صفات متفاوتة تعود لاختلاف عناصرهم، فبعضها إيجابي حسن وبعضها سلبي لا يرضي الدولة وإدارتها، أما الحسن منها فهي أنهم أهل جهاد ودين[٣] وحياء وكرم[٤] وفهم وذكاء وعلم[٥] ووقار وأنفة ومجد وعزة[٦] وأصحاب همة عالية[٧]، وقد عبر ابن غالب عن ذلك وأضاف بعض الصفات الأخرى قائلا: " وأهل الأندلس عرب في الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية"[٨] .

أما السلبي منها، فهو كثرة تقلبهم على الولاة واعتراضهم على سياساتهم، وتشنيعهم وإحداث الشغب ضدهم[٩] ، وعدم الرضى بأمورهم وحالهم ووضعهم الذي

---

(١) لمزيد من المعلومات أنظر: الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٧٤-٢٨١ ؛ هيكل: الأدب، ص ٤٣ - ٤٦ ؛ الدغلي: محمد سعيد: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي ، دار اسامة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٣٥-٣٧، وسيشار له: الدغلي: الحياة ؛ محمود: نافع: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ١٠-١٢، وسيشار له: محمود: اتجاهات.

(٢) الزجالي: أمثال، ج١ ، ص ٢١٣ ؛ ج٢، ص ٧٨.

(٣) فكري: قرطبة،ص٢٥٢ – ٢٥٣، ويدل على ذلك كثرة المساجد ومشاركة أهل قرطبة في الهجوم والدفاع عن الإسلام أمام الممالك النصرانية الشمالية.

(٤) المقري: نفح ، ج١، ص ٦١٦.

(٥) ابن حزم: ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، رسالة في فضائل الأندلس، منشورة ضمن كتاب فضائل الأندلس وأهلها، نشر وتقديم: د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص ٨ ، وسيشار له: ابن حزم: رسالة ؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٥٤، ٤٦٢.

(٦) الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧ ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٨٠ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٥٤، ج٣،ص ١٥٠-١٥١.

(٧) الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧ ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٨٠ ؛ المقري: نفح ، ج٣، ص ١٥٠.

(٨) المقري: نفح، ج٣، ص ١٥٠-١٥١.

(٩) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٢٥-٢٢٦ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٥٤ ؛ ومما يؤيد ذلك قول ابن الخطيب "ما إستقر منهم طائفة ببلد من البلدان الاثاروا" ؛ ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧١٣هـ/١٣١٣م)، كتاب أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق وتعليق : ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت: لبنان، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م،ص١٦،وسيشار له:ابن الخطيب: أعمال.

يعيشون[١] ، وتطلعهم دائما للأفضل مهما كانت الطريقة، لذا فهم انتهازيون لأي فرصة تلوح لهم[٢]، ومن هنا، وصفهم أبو يحيى أخو السلطان يعقوب المنصور لما انفصل عن ولايتها، وسئل: "كيف وجدت أهل قرطبة؟" فقال: "مثل الجمل، إنّ خففت الحمل عنه صاح، وأن أثقلته صاح، ما ندري أين رضاهم فنقصده، ولا أين سخطهم فنجتنبه، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شراً من عامة العراق، وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندي ولاية، وأني ان كلفت العود إليها لقائل: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين""[٣] .

وهذه الكلمات صارت مع الوقت مثلاً شعبياً يطلق على أهل قرطبة:
" مثل الجمل إن خففت عنه الحمل صاح، وإن أثقلته صاح"[٤] .

شيء محير، لكنه طبيعي، فاختلاف العناصر السكانية كما ذكرت من قبل هو الذي أوجد هذه الصفات المتفاوتة بينهم جميعاً، ومن الصعب، بل من المستحيل إرضاؤهم كما يشاؤون، فإن رضي العربي غضب البربري وإن رضي الاثنان غضب المولدون ، وإن رضي الثلاثة ظهر آخرون معارضون من النصارى واليهود، وهكذا، صدق المثل القائل "رضى الناس غاية لا تدرك".

وبقي أهل قرطبة يتصفون بمزاجهم المتقلب لكثرة التغييرات الدينية والإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها في مجتمعهم الذي يعد عاصمة للأندلس ومقراً للحكام، فإذا ما قرب الحاكم رجال الدين المسلمين غضب عليه رجال الدين من أهل الذمة، وإذا أبعدهم غضبوا عليه وألبوا الناس ضده، لذا، علينا ألا نستغرب إذا ظهر لنا أن هناك تناقضات في المجتمع القرطبي في زمن ووقت واحد، فكيف تكون الحال في فترات زمنية متباعدة؟.

(١) الزجالي: أمثال، ج١ ، ص ٢٢٦ ؛ المقري: نفح ، ج١، ص ١٥٥ ، ٤٦٢.

(٢) المقري: نفح ، ج١، ص ١٥٥.

(٣) المقري: نفح، ج١، ص ١٥٥، ٤٦٢.

(٤) الزجالي: أمثال، ج١ ، ص ٢٢٦ ، ج٢، ص ١٥٦.

هذا، ويصعب علينا وضع تقسيم ثابت للمجتمع القرطبي* لتفاوت المبدأ الذي ننطلق منه، هل هو ديني؟، أم اجتماعي؟، أم قبلي؟، أم طبقي؟، ثم إننا لا نستطيع الجزم باعتماد واحد منها يصلح للعصور الأندلسية، لكن، إذا أجزنا لأنفسنا أن نعتمد المعيار الاجتماعي، فإن المجتمع غالباً ما يتكون من طبقتين : خاصة وعامة أو ثلاث طبقات: عليا، ووسطى، ودنيا، والذي يحدد وضع كل فئة هو الوقت الذي تعيش فيه، وما تمتعت به من ميزات، فربما يكون علم الدين والفقه دافعاً لأن يكون أصحابه من الطبقة العليا في وقت ما، وربما من الطبقة الثانية في وقت آخر وهكذا.

إن الطبقة العليا الخاصة غالباً ما تتشكل من الحكام الأمراء والأثرياء وأصحاب النفوذ من رجال الدين أو رجال الدولة، بغض النظر عن جنسياتهم، وأحيانا، تكون الجنسية هي الأساس، والطبقة الوسطى من الأثرياء أصحاب الأراضي والتجار على اختلاف جنسياتهم ودياناتهم ، أما الطبقة الدنيا فغالباً ما تكون من العامة الذين يقتاتون يوما بيوم من أصحاب المهن والحرف والأعمال البسيطة المتفاوتة، مها اختلفت جنسياتهم ودياناتهم، وهؤلاء دائماً يشكلون النسبة العظمى من سكان أي مجتمع، وهم أصحاب الشغب والانقلابات لسوء أوضاعهم على الدوام.

ومما يعزز استنتاجنا السابق ما ورد في بعض المصادر من إحصاء لعدد الدور في قرطبة بالقرن الرابع الهجري فكانت مائة وثلاثة عشر ألفاً وسبعاً وسبعين للرعية (١١٣,٠٧٧)[١] أي لعامة الشعب، وستين ألفاً وثلاثمائة للأكابر والوزراء والكتاب والأجناد (٦٠,٣٠٠)[٢] ، وبلغت جميعها في القرن الخامس الهجري مائة ألف وثلاث عشرة (١٠٠,٠١٣) يتبعها ستة آلاف وثلاثمائة (٦,٣٠٠) للخدم والأجناد في قصر الأمير[٣] ، لذا، لا نعرف أحياناً كيف نضع تقسيماً لمثل هذه الفئة، فهل نعدها من العامة؟ أم الخاصة؟ أم ماذا؟.

* حاول البعض تقسيم الفئات السكانية الأندلسية من خلال كتاب البيان المغرب لابن عذاري وخرج في أنهم يتكونون من فئة أهل العدل والشورى (القضاة، والفقهاء، ورجال الدين) وفئة الشعراء والعلماء والأدباء وفئة العامة التي تتكون من الأغنياء وهم القلة والطبقة الوسطى ثم الدنيا وهي غالبية المجتمع التي تضم المثقفين والعلماء والأدباء وأصحاب الحرف والمهن من العناصر كافة، والبرغواطيين وهي فئة دينية خاصة بعيدة عن الإسلام. رحمة الله: مليحة "الحياة الاجتماعية كما وردت في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي "المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد (٤٤)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ١١١-١١٥.

(١) مجهول: وصف، ص ١٦٩ وأنظر: ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٣٢ ؛المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٠.

(٢) مجهول: وصف، ص ١٦٩ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٠.

(٣) مجهول: وصف، ص ١٧١ ، وهناك اعداد أخرى: أنظر: المقري: نفح، ج١، ص ٥٤٠-٥٤١.

وأخيراً، فإنه لا توجد إحصائية دقيقة لأعداد سكان قرطبة في الفترة التي نتحدث عنها، لكن، ذكر بعض المؤرخين أرقاما تقديرية لأعدادهم في القرن الرابع الهجري تراوحت بين ١٠٠,٠٠٠ ألف و ١,٠٠٠,٠٠٠[١] ، وما يهمنا معرفته هنا هو أن هذه الأعداد شملت جميع العناصر القرطبية التي عملت بالزراعة والصناعة والتجارة والصيد والأعمال الإدارية الدينية والدنيوية، والأعمال العسكرية التي تمثلت في الجيش بخططه المختلفة من الأسلحة، والأبنية، والخيل، والعرض، والحشم، والسيف[٢] سواء أكان جيشاً نظامياً أم من الحشود والمرتزقة الذين استكثر منهم الأمير الحكم بن هشام كما سيتبين معنا فيما بعد.

ومن الأهمية بمكان التذكير بأن الصراعات استمرت بين فئات سكان قرطبة[٣] ، الأمر الذي جعل الأمراء الأمويين يتعاملون معهم بسياسات مختلفة الهدف منها تحقيق المصلحة التي يسعون لها دون الاهتمام بأي شيء آخر، فها هو ذا عبد الرحمن الداخل يقرب القيسيين ثم يستبعدهم بعد توافد أقاربه الأمويين عليه من المشرق، و لم يكتف بذلك، بل ضم إليه اليمانية من أجل محاربتهم، وبعد إنهاء مهمتهم استبعدهم، فملأ الحقد قلوبهم عليه كالقيسية[٤]، وكذلك، كانت حال البربر الذين كثرت ثوراتهم بسبب عدم الاهتمام بها على الإطلاق، فقد قتل أحد العرب بربرياً، لأنه قال بأن مصمودة البربرية أحسن من العرب و لم يعاقبه الداخل[٥]. وقد كانت سياسة الداخل في تقريب الأمويين تنطلق من قاعدة أنهم أتباع له وليسوا شركاء وفضله عليهم يعود بأن أسكنهم وأمنهم وأحسن إليهم[٦]، وعبر عن ذلك بقوله: " أعظم ما أنعم الله تعالى به علي بعد تمكني من هذا الأمر القدرة على ايواء من يصل إلي من أقاربي، والتوسع في الإحسان إليهم، وكبري في أعينهم وأسمائهم ونفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا منة علي فيه لأحد غيره"[٧] .

---

(١) لومبارد: الجغرافية، ص ١٩٠ ، ١٩٢ ؛ فكري: قرطبة، ص ٢٤٧ ؛ سالم: قرطبة، ج١ ص ١٧٦ ؛ سالم: تاريخ، ص ٢٩٥ ؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٥٣٩ ؛ العبادي: صور، ص ١٩٨ ؛ الطرابلسي: نوفل : صناجة الطرب في تقدمات العرب، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت: لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ١٤٦، وسيشار له: الطرابلسي: صناجة.

(٢) فكري: قرطبة ، ص ٣٠٨.

(٣) أنظر عن عصر الولاة: مجهول : أخبار ، ص ٢٢-٤٦؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٦-٣٨ ؛ المقري: نفح، ج١ ، ص ٢٣٤-٢٣٨، ج٣، ص ١٤ - ٢٦.

(٤) مجهول: أخبار، ص ٨٣-٩٥ ، ١٠٧، ١٠٩، ١١١؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٤٣، ٥٧، ٦٢-٦٣؛ أحمد: القبائل، ص ١٣٤ - ١٦٨.

(٥) مجهول: أخبار ، ص ١١٣، ١١٥.

(٦) المصدر السابق: ص ١١٧ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٥٩.

(٧) المقري: نفح ، ج٣ ، ص ٤٦.

لم ترض هذه السياسة جميع الأمويين، فثاروا عليه، لكنه هزمهم[1] ، وفتح المجال لإظهار فئة جديدة على الساحة، هم المولدون الذين كانوا مع المستعربين مضطهدين من العرب والبربر، لذا، فقد استغلوا الفرص التي أتيحت لهم زمن الحكم بن هشام للتعبير عن شعورهم، لكنهم لم يخرجوا بنتيجة، كما سيتبين لنا فيما بعد.

(١) مجهول: أخبار ، ص ١٠٩ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٥٧ ؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٤٦.
ولمزيد من التفاصيل أنظر: ابن القوطية: تاريخ، ص ٤٦-٥٨ ؛ مجهول: أخبار، ص ٤٦-١١٦؛ المراكشي: المعجب، ص ١٠-١١؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٤٧-٦٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٢٧-٣٢٩ ؛ ج٣، ص ٢٧-٥٤.

الفصل الثاني

الحكم بن هشام والأوضاع العامة في عهده

١٨٠ـ٢٠٦هـ/٧٩٦ـ٨٢١م

الفصل الثاني

الحكم بن هشام والأوضاع العامة في عهده

١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م

ارتبط اسم ثورة أهل الربض في قرطبة باسم الأمير الحكم بن هشام، لاندلاعها في عهده، ولدوره الرئيسي في القضاء عليها، لذا، يجدر بنا قبل الخوض في الحديث عن هذه الثورة الإشارة إلى حياة الحكم وطبيعة شخصيته ومميزات عهده بعامة، وأوضاع الفقهاء بخاصة، لما لها من علاقة بهذه الثورة.

ترجمة لحياته: ١٥٤-٢٠٦هـ/٧٧٠-٨٢١م.

هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الله بن مروان بن الحكم الأموي[1]

---

(١) ابن حبيب: عبد الملك بن حبيب الالبيري (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م)، كتاب التاريخ، دراسة وتحقيق: خورخي أغوادي، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ١٥٠، وسيشار له: ابن حبيب: التاريخ؛ المسعودي: علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٤٧م) التنبيه والاشراف، دار الهلال، بيروت: لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ٣٠٣، وسيشار له: المسعودي: التنبيه ؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦ ؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، بلا، د. ت، ج٣، ص ٣٦٣ ؛ وسيشار له: مجهول: العيون ؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٤٢ ؛ ابن خلكان: وفيات، ج١٣، ص ١١٧؛ ابن سعيد: علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ٣٨، وسيشار له: ابن سعيد: المغرب ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٧٩ ؛ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط (افريقية، المغرب ، الاندلس، صقيلية واقريطش ٢٧-٧١٩هـ/٦٤٧-١٣١٩م، من كتاب نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د. ت، ج٢٢، ص ٧٩، وسيشار له: النويري: تاريخ ؛ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ٢٦ج، ج١٤، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج١٤، ص ١٢٤، وسيشار له: الذهبي : تاريخ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٥ج، ج٨، ٩، تحقيق: نذير حمدان ، وكامل الخراط، بإشراف: شعيب الارنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١-١٤٠٢هـ/١٩٨١-١٩٨٢م، ج٨ ص ٢٢٥، ج٩، ص ٥٢١، وسيشار له: الذهبي: سير ؛ الكتبي: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات والذيل عليها، ٤ج، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان، د. ت. ج١ ص ٣٩٣، وسيشار له: الكتبي: فوات ؛ القلقشندي: أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الارشاد والانباء، الكويت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج١، ص ٨٦، وسيشار له: القلقشندي: مآثر ؛ ابن تغري بردى: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ج، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج٢، ص ١٨٠ ؛ وسيشار له: ابن تغري بردى: النجوم ؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩.

وامه اسمها زخرف[(١)]، ولد سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م في قرطبة[(٢)] وتلقب بعدة ألقاب منها: المرتضى[(٣)]، الربضي[(٤)]، المنتصر[(٥)]، المظفر[(٦)]، وكنيته أبو العاص[(٧)]، أو أبو العاصي[(٨)] ونقش خاتمه :

---

(١) ابن حزم: رسائل "رسالة في امهات الخلفاء"، ج٢، ص ١٢٢ ؛ ملحق (١) ج٢ ، ص ١٩٢ ؛ الحميدي: جذوة ، ق١، ص ٣٩ ؛ الضبي: بغية ، ج١، ص ٣٤ ؛ المراكشي: المعجب ص ١١ ؛ ابن سعيد: المغرب ص ٣٨ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨ ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٧٩ ؛ النويري: تاريخ، ص ٧٩؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ العلماء ، ج١، ص ١٢ ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨ ؛ وانظر: المراكشي: المعجب، ص "ج" من المقدمة.

(٣) الذهبي: تاريخ ، ج١٤، ص ١٢٤ ؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٥ ، ج٩، ص ٥٢٢ ؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٨٠.

(٤) ابن حزم: رسائل "رسالة نقط العروس"، ج٢، ص ٤٩ ؛ ملحق ١، ج٢، ص ١٩٢؛ الحميدي: جذوة، ق١، ص ٣٩؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٤٢؛ الضبي: بغية، ج١، ص ٣٤ ؛ المراكشي: المعجب، ص ١١؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٣-٤٤؛ ج٢، ص ٣٦٣ ؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٧ (ويذكر بأنه هو الذي لقب نفسه بهذا اللقب)؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨ ؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٥—٢٢٦ ؛ ج١٠، ص ٥٢٤ (من تحقيق محمد نعيم العرقسوسي وباشراف شعيب الارنؤوط، الطبعة الأولى: مؤسسة الرسالة: بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣. وقد أطلق هذا اللقب على الحكم لإيقاعه بأهل الربض وتشريدهم، كما سيتبين لنا فيما بعد.

(٥) البستاني: بطرس: كتاب دائرة المعارف، ١١ج، الطبعة الثانية، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليات، تهران، د. ت، ج٧، ص ١٢٨، وسيشار له: البستاني: المعارف؛ عنان: دولة ، ج١، ص ٢٤٧؛ علي: مختصر، ص ٣٩٦، ولقب بهذا اللقب لكثرة الانتصارات التي حققها سواء بالداخل أو الخارج.

(٦) رينو: جوزيف: الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، ترجمة: د. اسماعيل العربي، الطبعة الأولى، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١١٥ (ولقب بذلك لكثرة انتصاراته على النصارى)، وسيشار له: رينو: الفتوحات؛ باشا: ضيا: الأندلس الذاهبة، ٣ج، الجزء الأول، تعريب: عبد الرحمن ارشيدات، مراجعة: صلاح ارشيدات، وزارة الثقافة والاعلام، عمان، الاردن، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١، ص ١٠٣ (وقد لقبه بهذا اللقب أتباعه؛ لكثرة انتصاراته الداخلية والخارجية، فكان هذا نوعاً من النفاق)، وسيشار له: باشا: الأندلس.

(٧) ابن حزم: رسائل، ملحق (١)، ص ١٩٢؛ الحميدي: جذوة، ق١، ص ٣٩؛ ابن الاثير: عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٣ج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٦، ص ٣٧٧، وسيشار له: ابن الاثير: الكامل ؛ المراكشي: المعجب، ص ١١؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨؛ النويري: شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) نهاية الارب في فنون الأدب، ٢٧ج، تحقيق: أحمد كمال زكي، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ج٢٣، ص ٣٥٩، وسيشار له: النويري: نهاية؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٤؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٥، ج٩، ص ٥٢١؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٨٠؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩؛ ولقبه العامة بهذا اللقب لكثرة معاصيه.

(٨) ابن حزم: رسائل "نقط العروس"، ج٢، ص ٤٩؛ الضبي: بغية، ج١، ص ٣٤؛ ابن الابار: الحلة، ج١، ص ٤٣؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٧٩؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤؛ النويري: تاريخ، ص ٧٩، ولقبه العامة بهذا اللقب لقسوته؛ رينو: الفتوحات: ص ١٣١.

" بالله يثق الحكم وبه يعتصم"[١] .

تولى الحكم الإمارة بعد وفاة أبيه هشام مباشرة وذلك في شهر صفر/سنة ١٨٠هـ/تموز سنة ٧٩٦م[٢]، وعمره ست وعشرون سنة[٣]، واستمر أميراً ستاً وعشرين سنة أيضا[٤] وتوفي في شهر ذي

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١، البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٣٠.

(٢) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) العقد الفريد، ٧ج، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ت، ج١، ص ٤٩٠؛ وسيشار له: ابن عبد ربه: العقد؛ ابن الفرضي: تاريخ ، ص ٥؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٧؛ ابن الابار: الحلة، ج٢، ص ٤٣ (يوم الجمعة لاربع عشرة خلت من صفر)؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨ (لثمان خلون من صفر)؛ النويري: تاريخ، ص ٧٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٥٩ (يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من صفر)؛ ابن الوردي: زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، ٢ج، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت: لبنان، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ج١، ص ٣٢٤؛ وسيشار له: ابن الوردي: تتمة؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٠؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٨٠. وقد تولى بعهد من أبيه رغم وجود أخ أكبر منه اسمه عبد الملك، وكان قد سجنه أبوه ونكبه واستمر على حاله حتى توفي بعهد أخيه؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٩٥.

(٣) ابن سعيد:المغرب،ص ٣٨؛ ابن عذاري: البيان،ج٢،ص ٦٨. وهناك من يقول أن عمره كان اثنتين وعشرين سنة.أنظر: ابن حزم: رسائل، ملحق (١)، ج٢،ص ١٩٢؛ الحميدي: جذوة، ق١،ص ٣٩؛ الضبي: بغية، ج١،ص ٣٤؛ المراكشي: المعجب،ص ١١؛ ابن تغري بردي:النجوم، ج٢، ص ١٨٠. وهذا يعود لعدم المعرفة الدقيقة للسنة التي ولد فيها الحكم.

(٤) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠؛ ابن الفرضي: تاريخ ، ص ٥، تاريخ العلماء ، ج١، ص ١٢ (١٨ر١٠ر٢٦)؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨ (١٠ر١٠ر٢٦)؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨ (١١ر٢٦)؛ ابن الكردبوس: تاريخ، ص ٥٧ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤ (١٠ر٢٦) وقيل بل سبع وعشرون سنة. أنظر: ابن حبيب: التاريخ، ص ١٥٠ (١٥ر١ر٢٧)؛ المسعودي: التنبيه، ص ٣٠٣ (٢٥ر١ر٢٧)؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ : الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٧ (١ر٢٧)؛ ابن الكازروني: ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ/١٠٢٩م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، إشراف: سالم الألوسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٠٧ (٢٥ر١ر٢٧)؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٤ ؛ الكتبي: فوات ، ج١، ص ٣٩٣.

الحجة سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م[١] بعد حياة استمرت اثنتين وخمسين سنة[٢] ودفن في قصر الإمارة بقرطبة بعد أن صلى عليه ابنه الأمير عبد الرحمن[٣] الذي تولى الإمارة من بين إخوته، الذين اختلف المؤرخون في عددهم، فقيل: إنهم من الذكور ثمانية عشر[٤] أو تسعة عشر[٥] أو عشرون[٦]، منهم عبد الملك والمغيرة وأمية والأصبغ ويعقوب وأبان وبشر وهشام[٧] ومن الإناث عشرون[٨] أو ثلاثون[٩] .

واتسم الحكم بسمات خَلْقية وخُلُقية، لم يختلف المؤرخون في الخَلْقية منها من حيث شكله وجسمه، فهو رجل طويل، نحيف، شديد السمرة، أشم، لم يخضب[١٠] ، واختلفت آراؤهم حول الخُلُقية، فمنهم من كان مادحاً له ومنهم من كان قادحاً، ومنهم من جمع بين الاثنتين مضطربا في ترجيح

---

(١) ابن حبيب: التاريخ، ص ١٥٠، ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠؛ المسعودي: التنبيه، ص ٣٠٣؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٦٣ (ذي القعدة)؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج١، ص ١٢؛ ابن حزم: رسائل، ملحق ١، ج٢، ص ١٩٢؛ الحميدي: جذوة، ق١، ص ٣٩؛ الضبي: بغية، ج١، ص ٣٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج١، ص ٣٧٧؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٧؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨، ٧٧؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣١، ج٩، ص ٥٢٢؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص ٣٢٤؛ الصفدي: الوافي ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٨٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١. وذكر السيوطي خطأ بأنه توفي سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩.

(٢) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٧؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣ ، ص ٣٧٤؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص ٣٢٤؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩. وذكر بعض المؤرخين بأنه توفي وعمره خمسون سنة؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٦٣؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣. وقيل ثلاث وخمسون سنة؛ ابن سعيد: المعجب، ص ٣٨؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣١.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ، ص ٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٢.

(٤) ابن حزم: جمهرة، ص ٩٧.

(٥) ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٧٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٥؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص ٣٢٤.

(٦) ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١.

(٧) ابن حزم: جمهرة، ص ٩٦، ٩٨؛ ابن حزم: رسائل "نقط العروس"، ج٢، ص ٥٣.

(٨) المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١.

(٩) ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨.

(١٠) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٧؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٧٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١.

واحدة على الأخرى، ولتوضيح ذلك، فإن من مدحه قال بأنه كان رجلاً شجاعاً، فارساً، فحلاً، مقداماً[١]، حازماً[٢]، مهيباً، مهيمناً[٣] شهما ذا همة عالية[٤]، ذكياً صاحب دهاء[٥]، صاحب أنفة وعزة ونخوة[٦]، كريماً، جواداً، مبسوط اليد[٧]، عادلاً ينصف المظلوم من الظالم[٨]، عظيم العفو[٩] متواضعاً للحق حتى لوكان ذلك على نفسه وأبنائه وخاصته[١٠]، حسن السياسة والتدبير[١١]، مجاهداً مظفراً صاحب جولات وصولات[١٢]، وكان شاعراً، أديباً، خطيباً بليغاً فصيحاً[١٣] . وقال من قدحه وذمه انه

---

(١) ابن عبد ربه:العقد،ج٤،ص٤٩٠؛ مجهول:اخبار،ص١٢٤؛مجهول:العيون،ج٣،ص٢٩٩؛ابن الاثير:الكامل،ج٦،ص ٣٧٨؛ابن الآبار:الحلة،ج١،ص٤٣؛ ابن سعيد:المغرب،ص٣٩؛ ابن عذاري:البيان،ج٢،ص٧٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص٤٨٠؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص٣٧٥؛ الذهبي: تاريخ،ج٤،ص١٢٤؛الذهبي:سير،ج٨،ص٢٢٦،ج٩،ص٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣،ص ١١٧-١١٨؛الكتبي: فوات،ج١،ص٣٩٣؛ ابن تغري بردي: النجوم،ج٢،ص١٨٠؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩.

(٢) مجهول: أخبار، ص ١٢٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٤؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٤٧٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٥.

(٤) المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٠.

(٥) الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٤؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٦، ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣.

(٦) مجهول: اخبار، ص ١٢٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٩.

(٧) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨-٧٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩.

(٨) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠-٤٩١؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٤؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨-٧٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠.

(٩) ابن عبد ربه: العقد، ج٢، ص ٤٩٠-٤٩١؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩.

(١٠) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠-٤٩١؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٤؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨-٧٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠.

(١١) ابن سعيد:المغرب، ص ٣٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨؛ ابن الخطيب: اعمال، ص ١٤؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢.

(١٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٤؛ ابن الابار: الحلة، ج١، ص ٤٣؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩. لذلك كله عده البعض من أهل الخير والصلاح. أنظر: مجهول: أخبار، ص ١٢٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٧؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨، ٨٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١.

(١٣) مجهول:أخبار،ص١٣٤-١٣٥؛ابن الاثير:الكامل،ج٦،ص١٤٩؛ابن الآبار:الحلة،ج١،ص٤٣، ٤٩؛ابن سعيد:المغرب،ص ٣٩؛ابن عذاري:البيان،ج٢،ص٧٩-٨٠؛ابن الخطيب:أعمال،ص١٧-١٨؛ابن الخطيب:الاحاطة،ج١،ص٤٨٠-٤٨١؛ النويري:نهاية،ج٢٣،ص٣٧٤؛ الصفدي:الوافي،ج١٣،ص ١١٨؛الكتبي:فوات،ج١،ص٣٩٣؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩؛ المقري:نفح،ج١،ص ٣٤٢-٣٤٣.

كان شديداً، عنيفاً، جباراً[١] صارماً فتاكاً[٢] ، سفاكاً للدماء[٣]، طاغية ظالما[٤]، مسرفاً[٥]، فاسقاً مرتكباً للمعاصي مجاهراً بها[٦] .

أما من جمع بين المحاسن والمساوئ دون أن يرجح كفة على الأخرى قال بأنه كان: "فارساً، شجاعاً، فاتكاً، جباراً، ذا حزم ودهاء[٧] ، وقال: "كانت فيه بطالة، إلا أنه كان شجاع النفس، باسط الكف، عظيم العفو، وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه، فضلاً عن ولده وخاصته"[٨] .

وجميع الألقاب التي أطلقت على الحكم والصفات التي اتصف بها بالرغم من تضاربها وتعارضها مع بعضها لا يخلو أي منها من الصحة والصواب، لوجود أدلة وإثباتات تؤكدها الأحداث الكثيرة التي وقعت في عهده، ومنها ثورة الربض التي سيتبين لنا من دراستها وتحليلها مدى دقة هذه الألقاب والصفات.

---

(١) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٦، ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٧-١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٩؛ الذهبي: تاريخ،ج١٤، ص ١٢٤؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٦؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٨٠.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٧؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٦؛ ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٢.

(٤) ابن حزم: رسائل، ملحق١، ج٢، ص ١٩٢؛ الحميدي: جذوة، ق١، ص ٣٩؛ الضبي: بغية، ص ١٤، الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٤؛ المراكشي: المعجب، ص ١١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٦.

(٥) ابن حزم: رسائل، ملحق١، ج٢، ص ١٩٢؛ الحميدي: جذوة، ق١، ص ٣٩؛ الضبي: بغية، ص ١٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٤؛ المراكشي: المعجب، ص ١١.

(٦) ابن القوطية: تاريخ ، ص٧٧؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير، ج٨ ، ص ٢٢٦؛ ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٢.

(٧) الذهبي: تاريخ، ج١، ص ١٢٤؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٧-١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣.

(٨) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٩؛ وانظر: ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠-٤٩١؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤.

مميزات عهده: ١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م:

تميزت الفترة الزمنية التي حكم فيها الأمير الحكم بلاد الأندلس، بالعديد من الإيجابيات والسلبيات، شأنه شأن غيره من الأمراء والحكام، ومن أهم هذه المميزات:

أولا: تنظيم شؤون الدولة الإدارية بتعيين موظفين للإشراف على شؤونها الداخلية كافة، من وزارة وكتابة وحجابة وخزانة، وقضاء وفتيا وأصحاب سوق وشرطة وأختام وركاب، ومن الذين تقلدوا الوزارة: إسحاق بن المنذر، والعباس بن عبد الله، وعبد الكريم بن عبد الواحد، وفطيس ابن سليمان، وسعيد بن حسان[١]، وجهور بن يوسف بن بخت[٢]. والكتابة: فطيس بن سليمان، وخطاب بن زيد، وحجاج بن العقيلي (المغيلي)[٣]، ومحمد بن أمية بن يزيد، ومحمد ابن عبد الله بن محمد بن أمية بن يزيد[٤]. والحجابة: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[٥]، وعبد العزيز بن عبده، وعبيد الله بن عبد الله[٦]، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين القرطبي[٧]. والخزانة: سفيان بن عبد ربه[٨].

أما القضاة والفقهاء فسنتحدث عنهم فيما بعد، وأما السوق فقد تقلدها: قرعوس بن العباس بن عبيد بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي[٩]، ومحمد بن خالد بن مرتنيل[١٠].

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠. وانظر: ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٦٨؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤.

(٢) ابن الآبار: الحلة، ج٢، ص ٣٧٥؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢٧١-٢٧٢، هامش (١٢١).

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠. وانظر: ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤.

(٤) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢٧٧، هامش (١٢٨)؛ ابن الآبار: الحلة، ج٢، ص ٣٧٣.

(٥) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ١٣٥؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٨؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠.

(٦) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٦٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤.

(٧) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٨٨، "وكان يتعاقب مع الحجاب وجلة الوزراء والقواد في أيام الحكم بن هشام"؛ وانظر: ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٣٢٨، هامش (٢٨٨) وتوفي في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م.

(٨) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٦٥. وهو بربري من مصمودة، تولى الحجابة بعد عبد الكريم بن عبد الواحد، وتميز بأنه صاحب كفاية وعفة وأمانة، وهو أول من استخزن بالأندلس مع مرتيل المعروف بابن عفان، ذلك أن الخزانة ظهرت أيام الأمير الحكم؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٦٥، ٢٦٤-٢٦٥، هامش (١٠١).

(٩) الخشني: أخبار، ص ٣١٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١،ص ٣٧٢-٣٧٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٢-٤١٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٥-٣٢٦؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٩٥؛ الذهبي: تاريخ، ج٥، ص٣٥٥. وقيل أن الذي تولاها هو أبوه العباس بن عبيد بن منصور؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٣٧٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٣؛ عياض: ترتيب، ج١، ص ٣٢٥.

(١٠) الخشني: أخبار، ص ١١١-١١٢، وقد ولي الصلاة والشرطة والسوق، وتوفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م.

والشرطة الكبرى والصغرى تقلدها: جودي بن أسباط بن إدريس السعدي[١] ، ومحمد بن كليب بن ثعلبة، وسعيد بن عياض[٢] ، وحارث بن أبي سعد[٣] . أما صاحب الأختام، فكان عبد العزيز بن أبي عبدة[٤] شقيق عبد الغافر الذي قيل بأنه عين وزيراً وقائداً للشرطة زمن الأمير هشام وصاحباً للأختام زمن الأمير الحكم[٥]، وجهور بن عبيد الله أبي الحزم[٦] ، وصاحب الركاب هو مفرج الفنتوري[٧]. وقد كان هناك مؤدبون لأبناء الحكم، منهم محمد ابن عبد الله[٨] والغازي بن قيس[٩] ، وسوار بن طارق[١٠] ، كما أن من يتقلد منصباً ما قد يتقلد غيره، أو يجمع بين أكثر من منصب في آن واحد.

ثانيا: تنظيم شؤون الدولة العسكرية والاهتمام بالغزو والجهاد في سبيل الله، بإعداد الجيوش والإشراف عليها، وإدخال عناصر جديدة لحمايته وحراسته وزيادة هيبته وأبهة حكمه، فبالإضافة إلى الجيش النظامي الذي حدد لهم رواتبهم وأرزاقهم وعطاياهم[١١] ، والحشود المتطوعة الذين كانوا يتجمعون عند الحاجة[١٢]، اهتم الحكم بإدخال الجند المرتزقة من المماليك الذين أطلق عليهم "الخرس" لعجميتهم وعجمة ألسنتهم، وقد وصل عددهم إلى خمسة آلاف،

---

(١) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٧٦.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٧٩-٨٠؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٠٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٢٤.

(٤) ابن الآبار: الحلة، ج٢، ص ٣٠.

(٥) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢٧٣-٢٧٤، هامش (١٢٣).

(٦) ابن الآبار: الحلة، ج٢، ص ٣٠.

(٧) الضبي: بغية ، ص ٢١١؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٢٥٨، واطلق عليه لقب الفنتوري نسبة لمكان سكنه في عين فنت اوربه.

(٨) الزبيدي: ابو بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، د. ت. ص ٢٧٠، وسيشار له: الزبيدي: طبقات؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج٢، ص ٥-٦، ٨؛ السيوطي: بغية، ص ٦٣.

(٩) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٥.

(١٠) المصدر السابق: ص ٢٥٧، وهكذا حقق الحكم تشكيل حاشيته من جميع الجوانب محققا قول الطرطوشي: "منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل"؛ الطرطوشي: محمد بن محمد بن الوليد (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، سراج الملوك، الطبعة الأولى، المكتبة المحمودية، مصر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ص ٢٥٨-٢٥٩، وسيشار له: الطرطوشي: سراج.

(١١) فكري: قرطبة، ص ٣٠٨؛ Amam Uddin: S. M.: A-A political History of Muslim Spain, Najmn Sons, Dacca, Pakistan, P. 91؛ وسيشار له: Amam: A Political.

(١٢) فكري: قرطبة، ص ٣٠٨، ٣١٠.

انقسموا إلى قسمين: ثلاثة آلاف من الفرسان وألفان من الرجالة[١] . وكانوا يعملون على خدمته وحمايته وتنفيذ ما يكلفهم من مهمات، فقد زود الفرسان بأسلحة وخيول وضعت على باب قصره لتساعدهم على أداء مهماتهم[٢] ، وبلغ عددها ألفين[٣] . كما قال أحد المؤرخين: "وكان له ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر...القصر يجمعها داران على كل دار عشرة عرفاء تحت يد كل عريف مائة فرس"[٤] . وكانت هذه الخيول جاهزة للانطلاق في أي لحظة لحل المشكلات الطارئة.

أما الرجالة فكانوا عيوناً له على الناس، يزودونه بكل المعلومات التي يطلبها منهم[٥]، لذا، فقد استفحل ملك الأمير وظهرت فخامته لأول مرة في الأندلس، وباشر هو بنفسه الأمور[٦] تماماً كالحكم المركزي في أيامنا، وبذلك، وطد الملك لأبنائه الذين جاءوا من بعده[٧] .

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج٦، ص ١٤٩، ٣٧٨؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٠، ١٦٣؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢. وقد عبر المؤرخون عند ذلك بقولهم: "وهو أول من جند بالأندلس الأجناد والمرتزقين، وجمع الاسلحة والعدد، واستكثر من الحشم والحواشي، وارتبط الخيول على بابه، وتشبه بالجبابرة في أحواله، واتخذ المماليك وجعلهم في المرتزقة، فبلغت عدتهم خمسة آلاف مملوك، وكانوا يسمون الخرس لعجمة السنتهم". ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٧-٣٧٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣.

ويذكر امام الدين أن عددهم بلغ ستة آلاف وليس خمسة آلاف. ولا ندري أي المصادر اعتمد في ذكر هذا الرقم Amam Uddin: "Cordovan Muslim rule in Iqritish (Crete) (827-961 A.C), Jornal of Pakistan Historical Society ; Vol/VIII 1960, P . 297 ; Amman: A Political, p 87-88 ; وسيشار له :"Amam: "Corpovan ؛ هذا وقد تحدثنا سابقا عن أصل هؤلاء المماليك وكيفية دخولهم الأندلس، أي قبل فترة الأمير الحكم، لذا، فإن الحكم ورث بعضهم عن أبيه وجده.

(٢) مجهول: أخبار، ص ١٢٩؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩، ٣٧٨؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج٣، ص ٣٩٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٠، ١٦٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٨٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩، ٣٤١.

(٣) مجهول: أخبار، ص ١٢٩؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٩؛ الصفدي: الوافي، ج٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢ ، ص ١٨٠، ويقال بأن عددها ألف فقط؛ ابن عبد ربه : العقد، ج٤، ص ٤٩٢؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٩.

(٤) مجهول: أخبار، ص ١٢٩.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٢؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٢.

(٦) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩، ٣٧٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩، ٣٤٢.

(٧) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٢.

واهتم الحكم بالغزو والجهاد في سبيل الله، خصوصاً ضد نصارى الشمال الإسباني، فأرسل لهم عدة حملات للهجوم والدفاع عن حدود الدولة الإسلامية الأندلسية في السنوات: ١٨٠هـ/٧٩٦م نحو بلاد البشكنس (قلهرة ونافار)[١] ، و ١٨٥هـ/٨٠١م للدفاع عن برشلونة[٢]، و ١٨٧هـ/٨٠٢م للدفاع عن تطيلة[٣]، و ١٩١هـ/٨٠٦م للدفاع عن طرطوشة[٤]، و ١٩٢-١٩٣هـ/٨٠٧-٨٠٨م لمهاجمة جليقية والدفاع عن طرطوشة[٥]، و ١٩٤هـ/٨٠٩م لإغاثة المسلمين في وادي الحجارة[٦]، و ١٩٦هـ/٨١١م لمهاجمة بعض الثغور والحصون البيزنطية[٧]، و ٢٠٠هـ/٨١٥م لمهاجمة وادي ارون[٨].

وبالرغم من أن النجاح كان حليف معظم هذه الحملات، فإن الفشل قد أصاب بعضها خصوصاً سنة ١٨٥هـ/٨٠١م، عندما سقطت برشلونة على يد لويس بن شارلمان أمير اكوتين[٩]، ولم يستطع الحكم استرجاعها مع محاولاته العديدة لذلك، الأمر الذي جعله يعقد

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩-١٥٠؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٥٩.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٧؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٣.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٨.

(٥) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٠.

(٦) وهي التي أنقذ فيها الحكم وادي الحجارة من الأعداء استغاثة لإحدى النساء التي صرخت قائلة: " وآغوثاه بك يا حكم! قد ضيعتنا وأسلمتنا واشتغلت عنا، حتى استأسد العدو علينا"، فلبى نداءها وأنقذ المسلمين وانتصر على الأعداء، حتى قالت: "والله لقد شفى الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهوف، فأغاثه الله وأعز نصره". انظر التفاصيل بعبارات وصيغ مختلفة مع بعض الشعر في ذلك؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص٢٣٦-٢٣٧؛ ابن عذاري: البيان، ج٢،ص ٧٣؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٢؛ النويري: نهاية، ج ٢٣،ص ٣٦٩-٣٧٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٣.

(٧) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٣؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٩؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٠.

(٨) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣١٧-٣١٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٥؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٠.

(٩) ابن الاثير:الكامل،ج٦،ص١٤٩؛ ابن عذاري:البيان، ج٢،ص ٧٣؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٢-٣٦٣؛ ابن خلدون: تاريخ،ج٤،ص١٦١؛ المقري: نفح،ج١، ص٣٣٩. وانظر التفاصيل عن كيفية سقوطها من المراجع التالية: ارسلان: تاريخ، ص ١٣٢، ١٣٧؛ رينو: الفتوحات،ص١١٩-١٢٠؛ عنان: دولة ،ج١،ص ٢٣٢-٢٣٣؛ محمود: منى حسن: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ٩٢-٢٠٦هـ/٧١٤-٨١٥م، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م،ص١٩٦-١٩٧؛ وسيشار له:محمود: المسلمون؛ الشيخ: محمد محمد مرسي:دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى آواخر القرن العاشر الميلادي، ١٣٨-٣٦٦هـ/٧٥٥-٩٧٦م، مؤسسة الثقافة العامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص١٦٩-١٧٠؛ وسيشار له: الشيخ: دولة؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٥٩؛ عبد الحليم: العلاقات، ص ١٥٦.

صلحاً مع شارلمان لم يستمر طويلاً[١] ، ثم سقطت تطيلة سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م واستردها الحكم في نفس السنة[٢] .

ثالثا: الاهتمام بالعلوم والآداب بفروعها المختلفة، فقد كان شاعراً، أديباً، خطيباً، بليغاً، فصيحاً، ولا أدل من ذلك مما وصلنا من شعره العسكري والعاطفي، فمما قاله معتزاً بقوته في القضاء على الثورات:

غناء صليلِ البيضِ أشهى إلى الأذنِ
من اللحن في الأوتار واللهو والردنِ
إذا اختلفت زرقُ الأسنة والقنا
أريك نجوماً يطلعنَ من الطعن
بها يهتدي الساري وينكشف الدجى
وتستشعرُ الدنيا لباساً من الأمن
شققت غمارُ الموت تخطئ مهجتي
سهام ردى قبلي أصابت ذوي الجبن[٣]

وقوله عندما أغاث المسلمين والمرأة التي استنجدت به في وادي الحجارة سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م:

ألم تر يا عباس أني أجبتها
على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فأدركت أوطاراً وبردت غلة
ونفست مكروباً وأغنيت معسرا[٤]

---

(١) محمود: المسلمون، ص ١٩٨؛ الشيخ: دولة، ص ١٧٣؛ عبد الحليم: العلاقات، ص ١٣٩، ١٥٦. وقد حاول بعض المؤرخين أن يثبت أن هناك ظروفاً دفعت الحكم للصلح مع شارلمان، من أهمها سوء الأوضاع الداخلية في بلاده، واستثمار شارلمان لها في مساعدة أهل ماردة. أنظر: رينو: الفتوحات، ص ١٣٣، ثم ما قام به الخليفة هارون الرشيد من عقد صلح مع شارلمان، بالرغم من أن هذا لم يثبت علمياً، ولكن الذي حدث هو تبادل هدايا من باب المصلحة بين الطرفين لتيسير شؤون الحج والتجارة؛ ارسلان: تاريخ، ص ١٣٢ـ١٣٣؛ رينو: الفتوحات، ص ١٢٠ـ١٢٢؛ الشيخ: دولة ، ص ١٦٧؛ مؤنس: حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار مطابع المستقبل، مصر، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ٢٧٥؛ وسيشار له: مؤنس: معالم.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٧؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٣.

(٣) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٩، وللأبيات تتمة.

(٤) المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٤.

أما العاطفي، فقد قال لجواريه الخمس اللواتي أعرضن وامتنعن عنه مرة واحدة:

قضب من البان ماست فوق كثبـــان
ولين عني وقد أزمعن هجرانـــي
ناشدتهن بحقي فاعتزمن على الهجران
لمـــا خـــلا منهـــن هيمانـــي
ملكنني ملك من ذلت عزيمتـــــــه
للحـــب ذل أسير موثق عانـــــي
من لي بمغتصبات الروح من بدنـــي
غصبنني في الهوى عزي وسلطاني[١]

وقال بعد أن وصلنه:

نلت كل الوصال بعد البعـــــــاد
فكأنني ملكت كل العبــــــاد
وتناهى السرور، إذ نلـــت ما لـــم
يغن عنه تكاشف الأجســـاد[٢]

ومما قال فيهن أيضاً:

ظل من فرط حبـــه مملوكـــــاً
ولقد كان قبل ذلك مليكـــا
إن بكى أو شكا الهوى زيد ظلماً
وبعاداً يدني حماماً وشيكـــا[٣]

(١) مجهول: أخبار، ص ١٣٤؛ ابن عذاري: البيان،ج٢، ص ٧٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨١؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٩؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨١؛ السيوطي: بغية، ص ٢٣٩.

(٣) مجهول: أخبار، ص ١٣٤-١٣٥؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٨٠؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٧-١٨، وللأبيات تتمة.

أما الشعراء الذين اشتهروا في عهده، فمنهم الشاعر الأديب الحكيم يحيى بن الحكم البكري الملقب بالغزال لجماله وتأنقه، وقد عاصر خمسة أمراء من الأندلس هم عبد الرحمن الداخل ١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م، وهشام بن عبد الرحمن ١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م، والحكم بن هشام ١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م، وعبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م، ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكم ٢٣٨-٢٧٨هـ/٨٥٢-٨٦٦م، فقد عاش أربعاً وتسعين سنة[١] إذ ولد سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م وتوفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م[٢]، ومما يرد عنه أنه مدح الأمير الحكم قائلا:

كأن الملوك الغلب عندك خضعاً
خواضع طير يتقي الصقر لبد

تقلب فيهم مقلة حكمية
فتنخفض أقواماً وقوماً تسود[٣]

وأنه ترأس أحد الوفود لملك الروم سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م وبلاد المجوس سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م[٤].

ومنهم الشاعر الأديب العالم الفقيه أبو العلاء عباس بن ناصح الجزيري البربري[٥]، الذي رحل مع أبيه إلى مصر والحجاز والعراق[٦] ولما عاد ولاه الأمير الحكم قضاء

---

(١) الضبي: بغية ، ص ٥٠٠-٥٠١؛ بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٧٣؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٢٥٤-٢٦٢. وانظر المراجع التالية: الاوسي: فصول، ص ٩٦-١٠٩؛ هيكل: الأدب، ص ١٥٣-١٦٦؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٢٠-٢٢١؛ عباس: تاريخ الأدب، ص ١٥٧، ١٦١-١٦٣؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٤٩؛ عنان: محمد عبد الله: تراجم اسلامية شرقية وأندلسية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٥٨-١٦٢، وسيشار له: عنان: تراجم؛ شلبي: عمر راجح عارف: عبد الرحمن الثاني (الأوسط)، سياسته الداخلية والخارجية في الأندلس، ٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، بإشراف الأستاذ الدكتور: محمد عبده حتامله، ص ١٤١-١٤٧، وسيشار له: شلبي: عبد الرحمن.

(٢) الضبي: بغية ، ص ٥٠١.

(٣) عنان: دولة، ج١، ص ٢٥٠؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٢١.

(٤) الضبي: بغية، ص ٥٠٠؛ بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٧٣-٦٧٤؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٢٥٨.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٢٤٨، ٢٨٤؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٦٢؛ ابن الفرضي: تاريخ ، ص ٢٩٦؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٤٠؛ الكتاني: محمد بن الحسن بن الحسين (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، وسيشار له: الكتاني: التشبيهات، ج٣، ص ٣١١؛ عياض: ترتيب، ج٤، مطبعة فضالة، المحمدية، الرباط، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٢٦٨.

(٦) الخشني:أخبار،ص٢٤٨؛ ابن الفرضي:تاريخ،ص٢٩٦؛ تاريخ العلماء،ج١،ص٣٤١؛ الكتاني:التشبيهات،ج٣،ص ٣١١.

بلدة شذونة والجزيرة الخضراء[١]، وظل عليها حتى توفي سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م[٢]، فجاء ابنه عبد الوهاب بدلاً منه[٣]. وكان من أسباب تعيين الحكم له على القضاء إعجابه بفصاحته من جهة، ولكثرة مدحه له من جهة ثانية[٤]. وقرب شخصيته منه، فقد كان يحب الحياة ومباهجها، مع أنه رجل دين وقاضٍ[٥] .

ومن الشعراء أيضاً حسانة التميمية بنت الشاعر أبي المخشي عاصم بن زيد الذي قطع لسانه وقيل: سمل عينيه الأمير هشام بن عبد الرحمن لاعتقاده بأنه تعرض لـه بالإساءة[٦] . وقد كتبت حسانه للأمير الحكم تشكو حالها بعد وفاة أبيها قائلة:

إني إليك أبا العاصي موجعـــة ... أبا المخشي سقته الواكف الديـــم

قد كنت أرتع في نعماهُ عاكفـــةً ... فاليوم آوي إلى نعماك يا حكـــم

أنت الإمام الذي انقاد الأنام لـــه ... وملكته مقاليد النهى الأمـــــم

لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفاً ... أوي إليه ولا يعدو لي القـــــدم

لا زلت بالعزة القعساء مرتديـــا ... حتى تذل إليك العرب والعجـــم[٧]

فاستحسن الحكم شعرها وأرسل لوالي إلبيرة جابر بـن لبيـد يأمره بإجراء راتـب لهـا، ففعل[٨] ، ولكن، بعد وفاة الحكم تنكر لها و لم يتابع وصيـة الحكـم فذهبـت تشـكوه إلى الأمير عبد الرحمن، وقالت شعراً كانت نتيجته عزل جابر وإعادة صرف راتب لها[٩] .

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٢٨٥؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٦٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ٢٩٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٤١؛ الكتاني: التشبيهات، ج٣، ص ٣١١.

(٢) الاوسي: فصول، ص ٩٢؛ نافع: اتجاهات الشعر، ص ٦٠.

(٣) الزبيدي: طبقات، ص ٢٦٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ٢٩٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٤١؛ الكتاني: التشبيهات، ج٣، ص ٣١١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٢٦٩.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٢٨٥؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ٢٩٧؛ تاريخ العلماء، ص ٣٤١؛ الكتاني: التشبيهات، ج٣، ص ٣١١.

(٥) محمود: اتجاهات، ص ٦٣.

(٦) بالنثيا: آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، الطبعة الأولى، دار النهضة المصرية، القاهرة، د. ت. ص ٣، وسيشار له: بالنثيا: تاريخ؛ هيكل: الأدب، ص ٩٨-٩٩؛ الاوسي: فصول، ص ٨٩-٩١.

(٧) المقري: نفح، ج٤، ص ١٦٧.

(٨) المصدر السابق: ج٤، ص ١٦٧-١٦٨.

(٩) المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦٨؛ المكناسي: الأكسير، ص ٢٠-٢١.

وظهر في عهد الحكم من المغنيين علون وزرقون[١] ، ثم أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب لسواد لونه وفصاحة لسانه، والذي أرسل الحكم منصوراً اليهودي لاستقباله ودخل قرطبة في نهاية عهد الحكم وأحدث الكثير من التغييرات الموسيقية والغنائية فيها[٢]. ومن العلماء والأدباء أيضا عباس بن فرناس البربري الذي برع في الأدب والشعر والفلسفة والتنجيم والفلك والكيمياء والفنون والموسيقى وصنع الأدوات والزجاج من الحجارة والاختراعات الأخرى التي جعلته يطير في الهواء[٣]. وهناك جودي بن عثمان (ت ١٩٨هـ/٨١٣م)[٤]، وعبد الواحد بن سلام الأحدب (ت ٢٠٩هـ/٨٢٤م)[٥] ومحمد بن عبد الله وبكر الكناني وعبد الرحمن بن الشمر بن نمير[٦] وغيرهم من علماء الدين الذين سنتحدث عنهم فيما بعد.

وقد عبر المؤرخون عن تقدم العلوم في قرطبة والأندلس بقولهم:

- " ولما كانت قرطبة محل الإمارة ومستقر الخلافة، كثر بها العلم والعلماء، واستقر بها النبلاء والفضلاء، وصارت دار الهجرة للعلم، ومكان رحلة لأولي الفهم"[٧].
- "فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متنائي الأقطار فسيح المجال"[٨].
- "وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، واشد الناس إعتناء بخزائن الكتب وتنافس في اقتناء النفيس منها"[٩] .

---

(١) المقري: نفح، ج٣، ص ١٣٠.

(٢) أنظر: ابن القوطية: تاريخ، ص ٨٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص ٥٤٠؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٢٤-١٣٣؛ بالنثيا: تاريخ، ص ٥٣؛ عباس: تاريخ الأدب، ص ٥٥؛ الاوسي: فصول، ص ٥١-٥٢.

(٣) الزبيدي: طبقات، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ الكتاني: التشبيهات، ج٣، ص ٣٠١؛ عنان: تراجم، ص ٢٦٦-٢٧٠؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٤٩؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢١٩-٢٢٠؛ الاوسي: فصول، ص ١١٣-١١٥.

(٤) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٥٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ٢٨٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٣٤.

(٦) الزبيدي: طبقات، ص ٢٦١، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٧٠؛ الكتاني: التشبيهات، ج٣، ص ٣٠٠، وعن اسماء العلماء في الأندلس بشكل عام ومنجزاتهم العلمية انظر: ابن حزم: رسائل، ص ٩-٢١؛ الشقندي: رسائل، ص ٢٩ وما بعدها؛ ابن سعيد: فضائل الأندلس، ص ٢٢-٢٨.

(٧) ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٢.

(٨) المقري: نفح، ج٣، ص ١٦٣.

(٩) المصدر السابق: ج١، ص ٤٦٢-٤٦٣، لذا، فقد صدق أبو الوليد بن رشد عندما قال بأنه إذا مات عالم بإشبيلية حملت كتبه لتباع في قرطبة؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٥٥، ٤٦٣.

رابعا: انتشار الفتن والثورات الداخلية انتشاراً لافتاً للنظر، جعل المؤرخ بروفنسال يقول: "إن الهدوء الذي يكاد يكون كاملاً والذي نعمت فيه إسبانيا الإسلامية داخل حدودها خلال حكم هشام الأول انتهى مباشرة بعد تولي ابنه الحكم السلطة"(١) ، وهذا يعود لكثرة الفئات البشرية وعدم تجانسها مع بعضها وإختلاف دياناتها وعدم تنازل فئة لأخرى لعلو هممهم وشموخهم، الأمر الذي أدى إلى تضارب مصالحهم والصراع المستمر بينهم، وعدم رضاهم عن سياسة الحاكم والدولة، وإعلان العصيان، مستغلين في ذلك طبيعة مواقعهم الحصينة ومساعدة ملك النصارى لهم في الوقت الذي كانوا يطلبون فيه المساعدة منه، هذا بالإضافة إلى أسباب خاصة تتعلق بكل ثورة على حدة كما يلي:

أ- ثورة عبد الله وسليمان عمي الحكم على ابن أخيهما الحكم عندما تولى الإمارة لعدم رضاهما بذلك، معتقدين أنها من حقهم، لذا، فقد أعلن عبد الله عصيانه فور عودته من المغرب الأوسط ووصوله إلى سرقسطة، حيث دعا الناس للوقوف إلى جانبه ضد الحكم، لكنه لم يحظ بتأييدهم، فاتجه مع ابنيه عبيد الله وعبد الملك إلى شارلمان ملك الفرنجة سنة ١٨١هـ/٧٩٧م لطلب المساعدة دون جدوى، فعاد لسرقسطة، واستولى على وشقة وخرج منها إلى بلنسية مستمراً في عصيانه، حتى تمكن الأمير الحكم من إرضائه سنة ١٨٦-١٨٧هـ/٨٠٢-٨٠٣م(٢)، وأمنه وخصص له راتباً شهرياً وأقطعه بلنسية ، وأكرم ابنيه وزوج أخته عبيد الله(٣) . أما سليمان، فإنه لما عاد من المغرب الأقصى ونزل بالأندلس، جمع الناس حوله وسار بهم لمهاجمة قرطبة عاصمة الإمارة غير

---

(١) Provencal: E. Levi: Histoire De L'espaGne Musulmane, tome premier laconouete Et L'e mirat hispano- Umaiyade (710-912) Paris, E. D. G. P. Maisonnevve, Leiden, E. D. E. J. Brill, 1950 . P. 151 ، وسيشار له: Provencal : Histoire.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٠؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٣؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص ٣٠٨؛ وللتفاصيل والتحليل انظر المراجع التالية: Provencal: Histoire, P. 152-153 ؛ رينو: الفتوحات، ص ١١٥؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٢٨-٢٣٠؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٢٩-٢٣٠؛ سالم: تاريخ، ص ٢٢٠-٢٢١؛ بيضون: ابراهيم: الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، ٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ وسيشار له: بيضون : تاريخ.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٧٢؛ ابن الآبار: الحلة، ج٢، ص ٣٦٣؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٠-٧١؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٣؛ Provencal: Histoire, P. 153-154 ، والذي حمل كتاب الأمان هو الفقيه يحيى بن يحيى الليثي؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٧٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٣ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

مرة دون جدوى[١]، لذا، فقد استمر عصيانه في استجة وماردة، وحدثت غير موقعة بينه وبين جند الأمير الحكم، كانت نتيجتها انتصار جند الأمير من خلال القائد اصبغ ابن والسوس الذي لاحقه وقبض عليه وقتله في ماردة[٢] ، أما أولاده، فقد أمنهم الحكم كما فعل بابني عمه عبد الله من قبل[٣].

ب - ثورة المولدين في طليطلة (وقعة الحفرة) سنة ١٨١هـ/٧٩٧م وسببها عدم رضى الأهلين عن سياسة الأمراء الأمويين بسبب عزة نفوسهم وعدم صبرهم على الظلم، لذا، فقد رفضوا إطاعة أمراء بني أمية، واستخفوا بالولاة الذين كانوا يعينون على بلدهم طليطلة وعزلوهم[٤] وساعدهم على ذلك كثرة أموالهم وحصانة بلدهم، لأنها العاصمة أيام القوط، هذا بالإضافة إلى تنوع الأجناس البشرية واتفاقها ضد الأسرة الأموية الحاكمة[٥] .

وانطلقت الثورة بزعامة عبيدة بن حميد سنة ١٨١هـ/٧٩٧م[٦]، فأرسل الحكم لقتاله عمروس بن يوسف[٧] أحد مولدي مدينة وشقة قائلا له : " أنت وحدك

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٦١-١٦٢؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٠؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج٤، ص ٢٧٥؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٢. ولمزيد من التفاصيل انظر المراجع: عنان: دولة، ج١، ص ٢٢٩؛ بدر: دراسات، ص ١١٧؛ سالم: تاريخ، ص ٢٢٠؛ الصوفي: خالد: تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة؛ عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر ١٣٨-٣٥٠هـ/٧٥٥-٩٦٠م، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب ، ليبيا، د. ت، ص ١٣٣، وسيشار له: الصوفي: تاريخ.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩، ١٦٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج٢، ص ٣٦٣؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٠؛ ابن الكازروني: مختصر، ص ١٠٧؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج٤، ص ٢٧٥؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٢؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص ٣٠٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٨؛ Provencal: Histoire, P. 153 ؛ سالم: تاريخ، ص ٢٢٠-٢٢١؛ بيضون: تاريخ، ص ٢٣٢؛ بدر: دراسات، ص ١١٧ ؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٣٠؛ الصوفي: تاريخ، ص ٢٠٩؛ العبادي: في التاريخ، ص ٣٢٩.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٦٩.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٨؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٢.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٥٥؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥. ويذكر ابن الاثير أن الحكم أراد أن ينتقم منهم لإساءتهم له عندما عينه ابوه والياً عليهم سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٣٣.

(٦) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٥٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١ (اسمه: عبيده بن عمير).

(٧) ابن القوطية:تاريخ،ص٦٨؛ابن الاثير:الكامل،ج٦،ص١٩٩؛النويري:نهاية،ج٢٣،ص٣٦٥؛الذهبي:سير،ج٨، ص٢٨٠.

الذي تستطيع مساعدتي لقصاص المتمردين في هذه المدينة التي لا تقبل حاكماً إلا من جنسها"[١] .

فاستمال عمروس بعض الفئات السكانية في طليطلة، كبني مخشي[٢] لمساعدته على أداء مهمته في القضاء على عبيدة مقابل مكافآت وعدهم إياها، فنفذوا له ما أراد، وقطعوا رأس عبيدة وأرسلوه له، الأمر الذي جعل بعض البربر يقاتلون هذه الجماعة ويقطعون رؤوسهم، فما كان من عمروس إلا أن جمع الرؤوس وأرسلها للحكم[٣] ، سعيداً بإنجازه وذكائه، فقد قضى على قائد الثورة وتخلص من وعوده لبني مخشي.

وقد كافأ الحكم عمروس بأن عينه والياً على طليطلة مع رفض أهلها دخوله للمدينة في البداية[٤] ، موضحاً لأهلها في رسالة كتبها لهم: " إنني قد اخترت لكم فلاناً، وهو منكم، لتطمئن قلوبكم إليه، وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا ومواليننا، ولتعرفوا جميل رأينا فيكم"[٥].

واستطاع عمروس كسب ثقة الأهلين في طليطلة بإيهامهم أنه ضد الحكم وبني أمية في الأندلس، وكانت هذه سياسة مصطنعة اقترحها عليه الحكم نفسه[٦]، ثم وضح لهم أنه يتوجب عليه وعليهم تقوية وضعهم وتحسين علاقاتهم مع الحكم وحاشيته وبناء قصر خاص بهم وسط المدينة وتحصينه لتحقيق هذه الغاية قائلا: " إني رأيت هذا الشر الحادث بينكم وبين عمال السلطان، إنما هو بمداخلة الحشم لكم ولبنيكم ونسائكم، فكنت أرى أن أبني قصبة في جانب من المدينة، يسكنها الحشم، فيكونوا بمعزل عنكم وتسلموا من شرهم"[٧] فوافقوا، وبنى القصر

---

(١) **Dozy: Reinhart: Histoire Des Musulmans Dies PaGna (711-1110) 2 Edition, Brill S.A, Leyde- Hollande 1932 , P. 291**، ويشار له: **Dozy: Histoire**.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٥٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦١.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٥٨؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١-١٦٢.

(٤) ابن عذاري: البيان،ج٢، ص ٦٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٩٩؛ وانظر: ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٦ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٢؛ Dozy: Histoire, P. 292 ؛ ارسلان: تاريخ، ص ١٣٥.

(٦) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٦.

(٧) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٠؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٦.

وسكنه عمروس مع جنده[1]، وأرسل للحكم يخبره ما حدث ويدعوه لزيارة المدينة للسيطرة عليها من خلال خطة تلخصت في إرسال جيش بقيادة عبد الرحمن بن الأمير الحكم سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، لنجدة والي الثغر الأعلى ضد النصارى الذين اعتدوا عليه، فدخل الجيش طليطلة دون أن يتعرض له أحد، لكن، لم يتابع مسيره، فقد وصل الخبر بأن اعتداءات النصارى قد توقفت[2]، وهنا، اقترح عمروس على وجوه أهل طليطلة أن يخرجوا لاستقبال ابن الأمير وجنده ودعوتهم للقصر وإكرامهم وإعداد وليمة لذلك، وفي اليوم الثاني، دعي جميع أشراف طليطلة للوليمة، ونظراً لكثرة الأعداد، فقد نظم الدخول من باب والخروج من باب آخر، وحفر بين البابين خندق لحفظ جثث من يقتلون عند دخولهم من أشراف طليطلة، وهذا ما حدث[3]، ولم يتم اكتشاف الخدعة إلا عندما أعلن أحدهم أنه لم ير أحداً يخرج من الباب الثاني[4] وأن رائحة الدم بدأت ترتفع على حدقول ابن الخطيب"، هذا والله بخار الدماء، لا بخار الماء"[5] .

وبهذه الوقعة المسماة بالخندق أو الحفرة قضي على ما يزيد على خمسة آلاف[6] أو

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٩؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٦؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٢؛ Provencal: Histoire, P. 158 ؛ Dozy: Histoire, P. 292 ؛ ارسلان: تاريخ، ص ١٣٥.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٩ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٠ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٦؛ Provencal: Histoire, P. 158 ; Dozy: Histoire, P. 292 ؛ ارسلان: تاريخ، ص ١٣٥.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٠؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٠-٢٠١؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٠؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤-١٥؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٦-٣٦٧؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣١؛ ابن خلدون: تاريخ،ج٤،ص١٦٢. وانظر المراجع: Provencal: Histoire, P. 158 ; Dozy: Histoire, P. 293؛ ارسلان: تاريخ، ص ١٣٤؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٩؛ بدر: دراسات، ص ١٣٥؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٣٦؛ الصوفي: تاريخ، ص ١٤٨-١٥٠؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٣٦؛ بيضون: تاريخ، ص ٢٣٥؛ النصولي: انيس زكريا: الدولة الأموية في قرطبة، المطبعة العصرية، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م؛ ج١، ص ٦٥، وسيشار له: النصولي: الدولة؛ حتي: فيليب وآخرون؛ تاريخ العرب، ٢ ج، الطبعة الرابعة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج٢، ص ٦١٠-٦١١؛ وسيشار له: حتي: تاريخ.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧١؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١؛ النويري: نهاية، ج ٢٣، ص ٣٦٧.

(٥) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥، وانظر: ابن القوطية: تاريخ، ص ٧١. ويذكر بروفنسال أن الجثث كانت تلقى بالحقول ؛ Provencal: Histoire, P. 158 ؛ ثم أن الذي حال دون سماع الصراخ والأصوات الموسيقي والطبول؛ العبادي: في تاريخ، ص ٣٣١.

(٦) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥ ؛ Provencal: Histoire, P. 158 ؛ Dozy: Histoire, P. 293 .

خمسة آلاف وثلاثمائة[١] من أعيان طليطلة، لذا، لم تقم لأهلها قائمة لعدم وجود أحد قادر على الانتقام بعد قتل المتنفذين[٢]، وبعد أن هاجمهم الأمير الحكم سنة ١٩٩هـ/٨١٤م ليلاً ودمر ديارهم وحرق زرعهم، وشردهم للصحراء بعض الوقت[٣]، "فذلت رقابهم بعدها، وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم"[٤] .

ج - ثورة بهلول بن مرزوق في سرقسطة سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، حيث تمكن من السيطرة عليها[٥] بعد فشل جند الأمير في منعه من ذلك في المرة الأولى، ونجاحهم في المرة الثانية، حيث استعادوا سرقسطة، و لم يتمكنوا من بهلول الذي هرب إلى أراجوان فترة من الوقت، ثم عاد سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م وسيطر على وشقة، مما أغضب الأمير الحكم وجعله يرسل لقتاله يوسف بن عمروس الذي تمكن من الانتصار عليه وقتله سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م[٦] .

د - ثورة أصبغ بن عبد الله بن وأنسوس في ماردة سنة ١٩٠-١٩١هـ/٨٠٥-٨٠٦م[٧] الذي تمكن من السيطرة عليها، بعد أن أثار أحدهم الفتنة بينه وبين الأمير الحكم، فسار الحكم لقتاله، لكنه اضطر للرجوع إلى قرطبة بسبب ثورة أهل الربض الثانية[٨]، وبعدها عاد إليه، واختلفت الآراء في كيفية القضاء على ثورته: سلماً (صلحاً)[٩]؟ أم حرباً[١٠]؟، ومهما يكن الأمر، فقد انتهت الثورة سنة ١٩٧هـ/٨١٢م[١١] حيث إنه بعد وفاة أصبغ سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م[١٢]، استمر عصيان أهل ماردة[١٣] .

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٠ ؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥. وقيل بل سبعمائة فقط؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٥٨ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٧٠ ؛ ovencal: Histoire, P. 158 ؛ Dozy: Histoire, P. 293.

(٢) Dozy: Histoire, P. 293.

(٣) ابن سعيد: المغرب، ص ٤١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٤-٧٥.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١ ؛ وانظر: ابن القوطية: تاريخ، ص ١٧١.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٥٨؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٠ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٦٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦١.

(٦) Provencal: Histoire: P. 155-156 ؛ الصوفي: تاريخ، ص ١٥١-١٥٢.

(٧) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١، ابن الكازروني: مختصر، ص ١٠٧؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٧.

(٨) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١ ؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ١٦٠ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣ ، ص ٣٦٧ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣. وانظر: Provencal: Histoire, P. 159؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٣٤؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٣١ ؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٩.

(٩) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٢ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٨.

(١٠) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٣٦ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣ ، ص ٣٦٩.

(١١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣.

(١٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٢ ؛ Provencal: Histoire, P. 159.

(١٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٣٦؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤١ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣ ، ص ٣٦٩.

هـ ـ ثورات متفرقة: منها ثورة جابر بن لبيد في جيان التي أرسل الحكم للقضاء عليها جماعة من المماليك في عشرة عرفاء، مع كل عريف مائة فارس، تمكنوا من هزيمته بسرعة[1]. وثورة حزم ابن وهب في باجة ولشبونة سنة ١٩١هـ/٨٠٦م، التي قضي عليها سلماً، حيث حاصرَ هشام ابن الحكم حزم وأتباعه وضيق عليهم، فطلبوا الأمان فأمنهم[2]. وثورة البربري في مو ور سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م التي قضى عليها الحكم بشدة، وأرسل لها مماليكه من الفرسان الخرس قائلا لقائدهم: "سر من ساعتك إلى هذا الخارجي فأتني برأسه، وإلا فرأسك عوضه، وأنا قاعد مكاني هذا حتى تعود[3] ففعل وعاد والحكم جالس مدة أربعة أيام لم يقم إلا للوضوء والصلاة[4].

وهكذا، يتضح لنا ذكاء الحكم ودهاؤه وحسن سياسته وتدبيره في القضاء على الثورات، مستخدماً سياسة الحزم والشدة والصرامة والعنف، ولهذا، ما يسوغه، فهناك أعداء على حدود بلاده، انشغل عنهم، فأضاع جزءاً من أملاك الدولة العربية الإسلامية الأندلسية، وكما قال بروفنسال:

" عندما يندلع الحريق في البيت، فإننا لن نشغل بالنا بما يحدثه الجيران من دمار لسياج البيت"[5].

خامسا: الاهتمام بشؤون القضاء لكونه ركناً أساسياً من أركان استقرار الدولة، فالأمير الحكم هو الذي "كان يسلط قضاته وحكامه على نفسه، فضلاً عن ولده وخدمه"[6]، ولتوضيح منصب القضاء في الأندلس نقول إن الأمير الأندلسي هو الذي يختار القاضي[7] وفق شروط يجب أن تتوافر فيه أهمها: التقوى، والورع، والفضل ، والصدق، والأمانة، والنزاهة، والمروءة، والهمة، والوقار،

---

(١) مجهول: أخبار، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٩؛ Provencal: Histoire, P. 160؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٩.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣١٨-٣١٩؛ وانظر: مجهول: أخبار، ص ١٣١-١٣٢.

(٤) مجهول: أخبار، ص ١٣١-١٣٢؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣١٨-٣١٩.

(٥) Provencal: Histoire, P. 151.

(٦) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٤ ؛ وانظر: ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠-٤٩١؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٤ ؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨-٧٩ .

(٧) الخشني: قضاة، ص (زـح) من المقدمة؛ ابو الفضل: محمد أحمد: "قضاة الجماعة في الأندلس في عصر الإمارة الأموية ١٣٨-٣٠٠هـ/٧٥٦-٩٢٩م"، مجلة كلية الآداب، جامعة الامارات العربية المتحدة، العدد (٥)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ١٧٤-١٧٥، وسيشار له: ابو الفضل: "قضاة"؛ ابو ارميلة: نظام الحكم، ص ١٨٠.

وعزة النفس، والشجاعة، والاستقامة، والعلم، والعدل[١]، والوالي عقبة بن الحجاج السلولي هو أول من عين قاضيا في الأندلس اسمه المهدي بن مسلم، وكتب له كتاب تكليف تضمن نصائح بتقوى الله وطاعته والعمل بكتابه وسنة نبيه وضرورة إقامة الدين ومراعاة شؤون المسلمين، وحل الخصومات بينهم بأمانة، واختيار مجموعة تساعده على أداء مهمته ومشاورتها فيما يستعصي عليه، والتمهل بإصدار الأحكام[٢] .

ومهمات القاضي الرئيسية تتبعها تفصيلات تتعلق بإقامة الدين ومراعاة شؤون المسلمين والإشراف على الصلوات بأنواعها وولاية من لا ولي له والنظر بأوقاف المسلمين وإقامة الحدود على مستحقيها[٣].

تمتع القاضي الأندلسي باستقلال في إصدار أحكامه، وكان موضع اهتمام الأمراء "...ويكبرون من يولونه خطة القضاء، ويختارون للخطة أهليها، ويوفونهم حقوقهم فيها، فكان للقضاء فيها المنزلة العالية، والرتبة السامية، مع كون الخلفاء منقادين لأحكامهم"[٤] .

واطلق على صاحب القضاء الرئيسي في قرطبة عدة ألقاب منها: قاضي الجند، وقاضي الجماعة، وقاضي القضاة[٥]، وعلى من يساعدونه في المدن والكور الكبرى لقب قاضيا، والقرى والمدن الصغرى لقب مسدد الخاصة[٦] .

وتفاوت قبول منصب القضاء من شخص لآخر ومن فترة زمنية لأخرى، فقد قبله البعض برضاه وبعضهم تردد واستعفى، وبعضهم رفضه مطلقاً، ولا أدل على ذلك من قول الخشني: "فقبل كثير منهم القضاء، رغبة في شرف العاجلة ورجاء لمعونة الله عليه واتكالاً على

---

(١) الخشني: قضاة، ص (ح)؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٥٣، ٥٩، ٧٧، ٨٨؛ الونشريسي: المعيار، ج١٠، ص ٧٦-٧٧؛ ابو الفضل: "قضاة"، ص ١٧٦-١٧٧؛ فكري: قرطبة، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٢) الخشني: قضاة، ص ٨-١١.

(٣) ابو الفضل: "قضاة"، ص ١٧٥-١٧٦؛ ابو ارميلة: نظام الحكم، ص ١٨٦-١٨٧.

(٤) ابن الشباط: صلة السمط، ص ١٤٢؛ وانظر: الرشاطي: الأندلس، ص ٧٦-٧٧؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٧٩-١٨٠.

(٥) الخشني: قضاة، ص ١٤ ؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٨٤ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٢١٨؛ ابو الفضل: "قضاة"، ص ١٥٧-١٥٨.

(٦) النباهي: تاريخ قضاه، ص ٩ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٢١٨.

سعة عفوه فيه، ونظر آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة، وحذار من الله فيما قد يكون منهم وعلى أيديهم... رجال دعوا إلى القضاء فلم يجيبوا وندبوا إليه فلم ينتدبوا رهبة من أنفسهم من منتظر العاقبة"[١]. ولكثرة فئة الرافضين لتقلد منصب القضاء، طالب بعض العلماء بإنزال عقوبة السجن أو الضرب بالسوط لمن يرفض أو يهرب من تسلم القضاء إذا لم يوجد غيره يستوجب القضاء[٢] . لذا، فإنه يحسن بنا توضيح هذه المعلومات النظرية بصورة عملية خلال فترة الأمير الحكم بن هشام الذي تقلد في عهده كل من قضاة الجماعة:

أ- مصعب بن عمران بن شفي بن كعب بن كعبر بن زيد بن عمرو بن أمرئ القيس بن زيد الهمذاني، عربي، شامي الأصل، دخل الأندلس مع العرب الشاميين، وسكن قرية باذو في جيان، ثم رحل إلى قرية غليار في إقليم المدور الأدنى[٣].

رفض تقلد منصب القضاء عندما عرضه عليه لأول مرة الأمير عبد الرحمن الداخل[٤] ، ثم تقلده بعد تردد زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن[٥] بعد تحاور بينهما كانت نتيجته قول الأمير له: "لئن لم تعمل على القضاء لأسطون بك سطوة تزيل اسم الحلم عني"[٦].

واستمرت ولاية مصعب على القضاء بعد وفاة الأمير هشام، ذلك أن ابنه الأمير الحكم أقره على منصبه[٧]، وأعطاه كل الصلاحيات للقيام بعمله، وكان يؤيده ويشجعه حتى لو قضى وتصرف بغير ما يرغب ويحب[٨]، وبقي على هذه الحال حتى توفي.

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٢.

(٢) النباهي: تاريخ قضاة، ص ١٣.

(٣) الخشني: قضاة، ص ٢٤ ؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٣٣ ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٤ ؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٧.

(٤) الخشني: قضاة، ص ٣، ٢٥؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٥ (وذلك بسبب اخلاق الأمير).

(٥) الخشني: قضاة، ص ٢٥ ؛ ابن القوطية: تاريخ، ج٢، ص ٦٦-٦٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٣٣ ؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٥.

(٦) النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٥ ، وانظر: ابن القوطية، تاريخ، ص ٦٦-٦٧.

(٧) ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٤ ؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٣٣ ؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٦.

(٨) الخشني: قضاة، ص ٢٥ ؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٦.

وتميز القاضي مصعب بحسن السيرة، فقد كان خيراً، صالحاً، فاضلاً، عادلاً، لا تأخذه في الله لومة لائم[(١)] ، وكان يشاور من العلماء: صعصعة بن سلام ، وعبد الرحمن بن موسى، وعبد الملك بن الحسن، والغازي بن قيس وغيرهم[(٢)].

ب - محمد بن سعيد بن بشير بن شراحبيل المعافري، من عرب مصر ومن جند باجة[(٣)]، تعلم في قرطبة، وعمل كاتباً للعباس بن عبد الله المرزوي عامل الأمير هشام على باجة[(٤)]، ثم رحل للمشرق لمظلمة أصابته[(٥)] فتعلم بالمدينة، وسمع من مالك بن أنس[(٦)]، ثم ازداد علماً في مصر، وبعدها عاد إلى باجة[(٧)]، وعمل كاتباً للقاضي مصعب بن عمران[(٨)] وبقي كذلك حتى استلم القضاء بعده بإجماع من حاشية الأمير الحكم[(٩)] وبتزكية من مالك بن عبد الله القرشي [(١٠)] والعباس بن عبد الملك[(١١)] .

وكان محمد بباجة عندما استدعاه الأمير الحكم ليوليه القضاء، ولم يكن يعرف سبب استدعاء الأمير له، وظن أنه سينصفه من المظلمة التي أصابته سابقا[(١٢)]، لكن، في طريق مجيئه، نزل عند صديق له في المدورة فأخبره أن الأمير سيعينه قاضياً، لأن القاض مصعباً بن عمران قد توفي، فاستشار محمد صديقه فأشار عليه بالموافقة، بعد أن دار بينهما النقاش التالي: قال الرجل

---

(١) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩١؛ الخشني: قضاة، ص ٣، ٢٥ ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٥-٦٦؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٣٣؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٧ . ويؤكد ذلك حكمه ضد العباس بن عبد الله المرواني في قضية أرض لصالح أيتام، مع طلب الأمير الحكم منه الحكم بها لصالح العباس غير مرة، وتعليق الأمير على ذلك بقوله للعباس: "ما أشقاه من لطمه قلم القاضي"، أو قوله "إنك ضعيف فانته عما لا تطيقه". انظر: الخشني: قضاة، ص ٢٥-٢٦؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٦-٤٧.

(٢) النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٧.

(٣) الخشني: قضاة، ص ٢٨ ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٥، ٣٢٧؛ الضبي: بغية، ج١، ص ٨٨ ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤ ؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٧؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٨.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧ ؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٧.

(٥) الخشني: قضاة، ص ٢٨ ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧.

(٦) الخشني: قضاة، ص ٢٨ ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٧؛ الضبي: بغية، ج١، ص ٨٨.

(٧) الخشني: قضاة، ص ٢٨ ؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧.

(٨) الخشني: قضاة، ص ٢٥، ٢٨؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧؛ عياض: ترتيب، ج٣ ، ص ٣٢٧.

(٩) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٩.

(١٠) مجهول: أخبار، ص ١٢٦.

(١١) الخشني: قضاة، ص ٢٨.

(١٢) المصدر السابق: ص ٢٨؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٩.

لمحمد: اصدقني في ثلاثة اسألك عنها: كيف حبك للأكل الطيب، واللباس اللين، وركوب الفارة؟ فأجابه محمد: والله ما أبالي ما رددت به جوعتي وسترت به عورتي، وحملت به رحلي، فقال لـه الرجل: هـذه واحدة، ثم سأله: كيف للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب وخدمة الفتيان وغير ذلك من الشهوات؟، فأجابه محمد: هذه حال والله ما استشرفت نفسي قط إليها ولا خطرت ببالي ولا اكترثت لفقدها. فقال له الرجل هذه ثانية ثم سأله: كيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك؟، وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل؟ فأجابه محمد: والله لا أبالي في الحق من مدحني أو من ذمني، وما أسر بالولاية ولا أستوحش للعزل[١].

وخرج محمد من عند صديقه وهو يعلم سبب استدعاء الأمير له، ومقرراً في نفسه قبول منصب القضاء، ولما وصل للحكم ولاه القضاء والصلاة[٢]، فتقلدها بشروط هي: نفاذ الحكم على كل الناس من الأمير إلى حارس السوق، وإذا ظهر له العجز من نفسه أعفي، وأن يكون رزقه من الفيء[٣].

ولي محمد القضاء مرتين فقد عزل في المرة الأولى بسبب عدم قدرته على إصدار حكم على أحد الخاصة، ثم عاد مع أنه حلف ألا يلي القضاء أبداً بطلاق زوجته ثلاثاً وعتق رقيقة، وإنفاق ما يملك على المساكين، فلما عاد، طلق زوجته وأعتق رقيقه وتصدق بأمواله، فعوضه الأمير بجارية ورقيق وأموال[٤].

وتميز القاضي محمد بأنه كان:ورعاً، زاهداً، فاضلاً، خيراً،متواضعاً بلباسه، عادلاً[٥]،حسن الفطنة والإدراك والفراسة[٦]، شديد الشكيمة،ماضي العزيمة[٧]،صلباً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم[٨]، ومما يؤكد ذلك بعض الأحداث التي وقعت في أثناء تقلده للقضاء، نذكر منها: حكمه على

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٢٨-٢٩؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧-٧٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٩-٣٣٠؛ الضبي: بغية، ج١، ص ٦٢-٦٣، ٨٨-٨٩؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٥؛ المقري: نفح، ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) الخشني: قضاة، ص ٢٨-٢٩؛ الرشاطي: الأندلس، ص ٧٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٠؛ الضبي: بغية، ص ٦٣؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٥؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٤.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣١؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٥؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٧-٤٨.

(٤) الخشني: قضاة، ص ٣٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٠-٣٣١؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٦.

(٥) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩١-٤٩٢؛ الخشني: قضاة، ص ٢٩-٣٠، ٣٢، مجهول: أخبار، ص ١٢٧؛ مجهول: العيون،ج٣،ص٢٩٩؛ الرشاطي:الأندلس،ص ٧٨؛ عياض:ترتيب، ج٣، ص ٣٣٥-٣٣٦، ٣٣٨-٣٣٩؛ ابن سعيد: المغرب،ص١٤٥؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٩؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٨-٤٩؛ المقري: نفح،ج٢، ص ١٤٥.

(٦) الخشني: قضاة، ص ٣٥؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٨، ٣٣١.

(٧) الخشني: قضاة، ص ٢٩؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٨؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٨.

(٨) الخشني:قضاة،ص ٣٤؛ عياض:ترتيب، ج٣، ص ٣٢٨، ٣٣٠؛ الضبي: بغية،ص٦٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٥.

الأمير الحكم بإرجاع بعض الأراضي الواقعة على قنطرة نهر الوادي الكبير لأصحابها، وإنصياع الأمير لذلك قائلا: رحم الله محمد بن بشير، فقد أحسن فيما فعل بنا، كان في أيدينا شيء مشتبه فصححه لنا، وصار حلالاً طيباً، فطاب لنا ملكه، وطاب لأعقابنا[1] . وحكمه أيضا على الأمير الحكم بإعادة جارية إلى صاحبها كان قد اغتصبها والي جيان وأهداها له، فأعادها الحكم وقيل بل دفع ثمنها لمولاها[2]. ورده لشهادة مكتوبة للأمير الحكم في قضية أرض تعود لصالح عمه سعيد الخير[3] ، وعدم غضب الحكم - رغم غضب عمه - حيث قال: يا عم! القاضي، والله رجل صالح، لا تأخذه في الله لومة لائم، فعل ما يجب عليه ويلزمه، وسد عليه باباً كان يصعب عليه الدخول منه، فأحسن الله جزاءه[4] . ثم قال: "...ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله"[5] . ثم حكمه على الوزير حمدون بن فطيس دون سماع شهادة الشهود، رغم قول أهل العلم أن ذلك لا يجوز، مبرراً حكمه هذا قائلا للأمير الحكم الذي سأله عن فعلته هذه:

" ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه، لأنه إن لم يجد سبيلاً إلى تجريحهم لم يتحرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم، فيدعون الشهادة هم ومن ائتسى بهم، وتضيع أموال الناس"[6] ، وأخيرا إقامته الحد في قطع يد شخص زور وثائق[7] وهكذا، يصدق رأي الحكم في محمد " كنت قد قلدت محمد بن بشير القضاء بين المسلمين فكانت نفسي عليه طيبة، وقلبي به واثقاً، وكنت مستريحاً من أخبار الناس وظلاماتهم لما علمت من عدله وثقته"[8] وقوله:

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٢٩-٣٠؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٧؛ الضبي: بغية، ص ٦٣؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٨؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٥.

(٢) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩١؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٥-١٢٦؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٩ ، ١٤٦.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٨-٣٣٩؛ الضبي: بغية ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٥؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٨-٥٠؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٧-١٤٨. وقد رد القاضي هذه الشهادة لأنه لم يكن يقبل الشهادة كتابة في غير الأحباس؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٩؛ النباهي: تاريخ قضاة، ج٣، ص ٤٩-٥٠.

(٤) المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٨.

(٥) النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٩.

(٦) المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٥؛ وانظر: الخشني: قضاة، ص ٣٠؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٧؛ الضبي: بغية، ص ٦٣؛ الونشريسي، أحمد بن يحيى التلمساني (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م)، كتاب الولايات، ترجمة ونشر: هنري برونو وجود فروة دمونبين، المطبعة الجديدة، رباط الفتح ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ص ٤.

(٧) النباهي: تاريخ قضاة، ص ٤٨؛ الونشريسي: المعيار، ج٢، ص ٤١٤.

(٨) الخشني: قضاة، ص ٣٧-٣٨؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٩؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٩.

" وقد كنت جعلته بيني وبين الله في أحكام الناس، فاستندت منه إلى ثقة، إذ كانت نفسي مستريحة إلى عدله..."[١] . ورأي المؤرخين "فكان أقصد الناس إلى حق، وآخذهم - واحكمهم - بعدل، وابعدهم من هوى، وأنفذهم بحكم"[٢] .

وكان القاضي محمد يشاور عبد الملك بن الحسن والغازي بن قيس، والحارث بن أبي سعيد، وإسماعيل بن بشر التجيبي، ومحمداً بن سعيد السبائي وغيرهم[٣] .

وتوفي سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[٤] ، والأمير الحكم يدعو الله ويبتهل إليه ليلاً أن يوفقه بقاضٍ مثله عوضاً عنه[٥] . وقد استجاب الله لدعائه ووفقه في تعيين بعض القضاة الذين أغفلت المصادر ذكرهم وإعطاءهم حقهم من المعلومات، فاكتفى القليل منها بالتلميح لهم بين السطور بنوع من الاختصار وعدم الوضوح، وصرحوا قائلين بأن من جاء بعده هو ابنه سعيد[٦] . وإن كان هذا بحاجة إلى تفسير، فتفسيره هو مشاركة هؤلاء القضاة في ثورات الربض ضد الأمير الحكم بدون أدنى شك، وكما أنهى الحكم وجودهم، فقد أغفلت الكتب أسماءهم، ومن هؤلاء القضاة صعصعة بن سلام، وعبد الرحمن بن موسى الهواري، وأحمد بن زياد بن عبد الرحمن.

ج - صعصعة بن سلام: كنيته أبو عبد الله، وهو أول من أدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس وقضى به[٧] ، وقد كانت الفتيا تدور عليه أيام الأمير عبد الرحمن الداخل وابنه هشام[٨] ،

---

(١) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٩.

(٢) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩١؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٢.

(٤) الرشاطي: الأندلس، ص ٧٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٩؛ الضبي: بغية ص ٦٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٩٠؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٦؛ النباهي : تاريخ قضاة، ص ٥١؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٤٨-١٤٩.

(٥) الخشني: قضاة، ص ٣٧-٣٨؛ ابن القوطية: تاريخ ص ٧٩؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٩.

(٦) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٩.

(٧) الحميدي: جذوه، ج٦، ص ٣٧٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤١٨.

(٨) الوزاد: محمد "الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، العدد (٤-٥)، ١٤٠١-١٤٠٢هـ/١٩٨٠-١٩٨١م، ص ١٥٤، وسيشار له: الوزاد: "الاتجاهات".

وتقلد القضاء زمن الحكم[١] ، وتوفي سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م على الأرجح، وليس سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م[٢] .

د - عبد الرحمن بن موسى الهواري: تولى القضاء بعد وفاة القاضي صعصعة بن سلام[٣] ، وكان عالماً فقيهاً في القراءات والتفسير[٤] ، رحل للمشرق وسمع من مالك بن أنس وسفيان بن عيينة والأصمعي وغيرهم[٥] ، ولما عاد للأندلس سكن مورور ثم استجة[٦] ، وكان يفتي قبل توليه منصب القضاء وبعده، وإذا تصدر للفتيا في قرطبة فإن عيسى بن دينار، ويحيى بن يحيى الليثي وسعيد بن حسان لا يفتون فيها حتى يرحل عنها توقيراً واحتراماً له[٧] .

هـ - أحمد بن زياد بن عبد الرحمن: تولى القضاء و لم يعمر طويلاً، فقد توفي سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م[٨] ، مع أن أباه توفي في هذه الفترة تقريبا - كما سنذكر -.

و - سعيد بن محمد بن بشير: تولى القضاء بعد وفاة أبيه سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[٩] بقناعة شخصية من الأمير الحكم، الذي قال :"هذا رجل صالح فولوه القضاء"[١٠] ، وكان سعيد عالماً، فاضلاً، خيراً، عاقلاً، عادلاً، وقد توفي سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م[١١] .

---

(١) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٣.

(٢) الحميدي: جذوه، ج٦، ص ٣٧٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤١٨. وهو من أهل الحديث: ابن حبيب: التاريخ، ص ١٧٨. وقد ذكره الخشني بأنه دخل الأندلس مع الفقيه الغازي بن قيس؛ الخشني: أخبار، ص ٢٩١؛ وذكر ابن سعيد أنه توفي سنة ٢٠٢هـ/٨٠٧م؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٣.

(٤) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٣-٢٥٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٣.

(٥) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٣.

(٦) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٣.

(٧) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٣؛ عياض، ترتيب، ج٣، ص ٣٤٣.

(٨) الضبي: بغية، ص ١٧٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٢٢٥.

(٩) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٩.

(١٠) الخشني: قضاة، ص ٣٩، وذلك بسبب تستره على أمانة كانت لربيع القومس الذي أصدر الحكم فيها بياناً يقول فيه: " من كان لربيع عنده وديعة ولم يظهرها بعد ثلاث، سفك دمه ونهب ماله"، ولم يظهرها سعيد قائلا للحكم: "إنها أمانة ترد للبر والفاجر"، فلم يعاقبه الحكم؛ الخشني: قضاة، ص ٣٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٩-١٢٠.

(١١) الخشني: قضاة، ص ٣٨-٤٠؛ ابن القوطية: تاريخ ص ٦٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ١٦٠؛ تاريخ العلماء، ج١ ، ص ١٩٢؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٩؛ ج٤، ص ١١٩ - ١٢٠.

ز - الفرج بن كنانة بن نزار بن غسان (عتباك) بن مالك الكناني الشذوني[١] نسبة إلى شذونة[٢] التي انطلق منها لطلب العلم في المشرق[٣] ، وعاد للاستقرار بها عندما استدعاه الحكم لتولي القضاء بقرطبة[٤] سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[٥] ، بعد تقليد سعيد بن محمد وعزله فيها، ثم إعادة تعيينه مرة ثانية زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٦] .

واستمر الفرج في تسلم منصب القضاء والصلاة[٧] حتى سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م حيث استعفى منه فأعفي[٨] .

وكان الفرج مجاهداً، فارساً، شجاعا[٩] ، خيراً، فاضلاً، ذا وقار وسمت يعظم بهما في العيون والقلوب[١٠] ، وكان يتصرف للأمير في بعض الولايات[١١] ، فهو الذي حل الخلافات بين الناس في سرقسطة وأصلح بينهم، وثمن له الحكم ذلك، بتأييده له في حسن سياسته وصواب رأيه[١٢] .

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٢٩٥؛ الخشني: محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ/٩٧١م)، طبقات الفقهاء والمحدثين في الأندلس، مخطوط رقم ١٤٦٥، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان:الأردن، ص ٨٥أ، وسيشار له: الخشني: طبقات؛ الخشني: قضاة، ص ٤٠؛ ابن الفرضي: تاريخ ، ص ٣٤٩؛ تاريخ العلماء،ج١، ص ٣٤٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٤؛ الضبي: بغية، ص ٤٤٤؛ بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٨٥.

(٢) الخشني: قضاة، ص ٤٠؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٤؛ الضبي: بغية، ص ٤٤٤.

(٣) الخشني: قضاة، ص ٤٠؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ٣٤٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٩١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٤؛ الضبي: بغية، ص ٤٤؛ بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٨٥؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٥٣.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٤١؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٦؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٥٣.

(٥) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٥.

(٦) ابن القوطية: تاريخ، ص ٨٠.

(٧) النباهي: تاريخ قضاة، ص ٥٤.

(٨) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٥.

(٩) المصدر السابق: ج٤، ص ١٤٥؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٥٤. وانظر: الخشني: طبقات، ص ٨٥أ؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ٣٤٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٩١.

(١٠) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٦.

(١١) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٥؛ النباهي: تاريخ قضاة، ص ٥٤.

(١٢) الخشني: قضاة، ص ٤٢؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٥.

ح - قطن بن جزء بن اللجلاج بن سعد بن سعيد بن محمد بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي، من أهل جيان، ولي القضاء[١] سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[٢] .

ط - بشر بن قطن: ولي القضاء[٣] آخر سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م حتى سنة ٢٠١هـ/٨١٦م[٤] .

ي - عبيد الله بن موسى بن إبراهيم بن مسلم بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن عمار الغافقي، من عرب الشام الذين سكنوا الجزيرة الخضراء وقرطبة[٥] ، ولي القضاء[٦] سنة ٢٠١هـ/٨١٦م حتى توفي سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م[٧] . وكان قد طلب الاستعفاء من القضاء، فلم يعفه الحكم[٨] .

ك - حامد بن محمد بن سعيد بن إسماعيل بن حامد بن عبد اللطيف الرعيني، من أهل شذونة[٩] ، ولي القضاء[١٠] سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م حتى سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م[١١] .

هذا عن قضاة الجماعة في قرطبة زمن الحكم، وكيفية تقلدهم وانتهاء عملهم في هذا المنصب عن رضىً أو دون رضىً منهم، أما القضاة الآخرون الذين توزعوا على مدن الأندلس الكبيرة، فمنهم: فضل بن عميرة بن راشد بن عبد الله بن سعيد بن شريك بن عبد الله بن مسلم بن نوفل الكناني، الملقب بأبي العالية أو العافية،وهو من الذين رحلوا للمشرق وسمعوا من علمائها،وقد تولى قضاء تدمير حتى توفي سنة ١٩٧هـ/٨١٢م[١٢]. فعين الحكم ابنه عبد الرحمن الملقب بأبي المطرف والذي رحل

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٤٤ "ولم أجد له عند رواة الأخبار خبر أقيده عنه".

(٢) ابو الفضل: "قضاة"، ص ١٦٣.

(٣) الخشني: قضاة، ص ٤٤.

(٤) أبو الفضل: "قضاة"، ص ١٦٤.

(٥) الخشني: قضاة، ص ٤٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٥٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٩٢.

(٦) الخشني: قضاة، ص ٤٤ "ولم تحفظ الرواة خبراً يوصع بهذا الكتاب عنه".

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٠٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٩٢؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٦.

(٨) ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٦، ورد الحكم عليه قائلاً "إذا كان الأمير يجور والقاضي يجور فأين يجد الناس الراحة".

(٩) الخشني: قضاة، ص ٤٤.

(١٠) المصدر السابق: ص ٤٤، "ولم يحفظ أهل العلم شيئا يحكونه عنه".

(١١) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٠٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٢٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٦.

(١٢) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٥٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٩٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٣؛ الضبي: بغية ، ص ٤٤٤.

أيضا للمشرق وسمع من علمائها، وتوفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م[1]. ثم عيسى بن دينار على قضاء طليطلة[2] ومن بعده عبد الخالق بن عبد الجبار بن قيس الذي بقي حتى عزل سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م[3]، وجاء بعده شبطون بن عبد الله الأنصاري الذي توفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[4] ثم عباس بن ناصح الجزيري على قضاء شذونة والجزيرة الخضراء[5].

ومن الذين رفضوا تقلد منصب القضاء زمن الحكم: الفقيه الغازي بن قيس (ت ١٩٩هـ/٨١٤م)[6] والفقيه عباس بن رفاعة بن الحارث المذحجي الذي هرب للمغرب الأقصى خوفاً من أن يجبره على تقلد المنصب[7].

وأخيراً، فإن قضاة الأندلس وقضاة مصر كانوا على إتصال مستمر ببعضهم، لذا، يجدر بنا ذكر أسماء هؤلاء القضاة وسنوات حكمهم في فترة ولاية الحكم كما يلي: محمد بن مسروق الكندي: ١٧٧-١٨٤هـ/٧٩٣-٨٠٠م، وإسحاق بن الفرات التجيبي: ١٨٤-١٨٥هـ/٨٠٠-٨٠١م، وعبد الرحمن ابن عبد الله بن المجبر: ١٨٥-١٩٤هـ/٨٠١-٨٠٩م، وهاشم بن أبي بكر البكري: ١٩٤-١٩٦هـ/٨٠٩-٨١١م، وإبراهيم بن البكاء: ١٩٧هـ/٨١٢م، ولهيعة بن عيسى الحضرمي: ١٩٧-١٩٨هـ/٨١٢-٨١٣م، والفضل بن غانم: ١٩٨هـ/٨١٣م، ولهيعة بن عيسى ١٩٩-٢٠٤هـ/٨١٤-٨١٩م، وإبراهيم بن إسحاق القاري ٢٠٤هـ/٨١٩م، وابراهيم بن الجراح: ٢٠٤-٢١١هـ/٨١٩-٨٢٦م[8].

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ، ص ٢٥٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٠١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٧٩-٤٨٠.

(٢) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٦.

(٣) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٣٢٨، هامش (٢٨٩).

(٤) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤١٠.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٢٨٥؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٦٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٩٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٤١.

(٦) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٤.

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ص ٢٩٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٤١.

(٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ وكيع: محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م)؛ أخبار القضاة، ٣ج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٣، ص ٢٣٨-٢٣٩، وسيشار له: وكيع : أخبار.

وإنما أردت من التفصيل في الحديث عن القضاة في قرطبة زمن الأمير الحكم إعطاء فكرة عامة عنهم، لمعرفة دور من كان منهم على القضاء أو كان حياً أثناء اندلاع ثورات الربض محور حديثنا في الصفحات القادمة.

الفقهاء في عهد الحكم:

الفقهاء هم العارفون بالأحكام الشرعية التفصيلية التي تخدم الانسان وتحل مشكلاته مهما اختلف الزمان والمكان[١]، ولأن موضوع حديثنا ينحصر في القرنين الثاني والثالث الهجريين في قرطبة عاصمة الأندلس، فإننا سنبين مفهوم الفقه عندهم، وعلى أي المذاهب اعتمدوا في أحكامهم الشرعية. أطلق اسم الفقيه بالأندلس على من يعرف بالأحكام الشرعية تارة، وعلى الانسان المثقف طوراً آخر، وكذلك على الأمير أو الحاكم لمكانته في المجتمع، ويدل على ذلك قول المقري:
" وللفقيه رونق ووجاهة... وسمة الفقه عندهم جليلة حتى أن الملثمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه... وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنه عندهم أرفع السمات"[٢].

واعتمد الأندلسيون على المذهب المالكي[٣]، بعد أن كانوا على مذهب أهل الحديث بعامة، ثم المذهب الأوزاعي[٤]، الذي انتشر حتى نهاية عصر الأمير عبد الرحمن الداخل، ثم بدأ يتراجع في عصر ابنه الأمير هشام، حيث غلب عليه المذهب المالكي وحل بدلاً منه.

---

(١) الكبيسي: خليل ابراهيم: دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ١٤ ، وسيشار له: الكبيسي: دور الفقهاء.

(٢) المقري: نفح، ج١، ص ٢٢١.

(٣) نسبة للإمام مالك بن أنس أحد أئمة المذاهب الأربعة المشهورة
انظر المعلومات المتعلقة في : اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وطلبه للعلم، وشيوخه وتلاميذه، ووفاته، وآثاره، وأصول مذهبه (القرآن، السنة، الإجماع، القياس، عمل أهل المدينة)؛ نجم : سليمان حسين حسن: المذهب المالكي وأثره في الحياة الأندلسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، باشراف الأستاذ الدكتور: محمد عبده حتامله، ص ٢٤-٦٢؛ وسيشار له: نجم: المذهب المالكي.

(٤) نسبة للإمام عمرو بن محمد بن عمر الأوزاعي. انظر المعلومات المتعلقة في ترجمة حياته، وشيوخه وتلاميذه وانتشار مذهبه والعمل به؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٢٠-٢٣ ؛ نجم: المذهب المالكي، ص ٧٤-٨٦.

واختلف المؤرخون في اسم الفقيه الذي أدخل المذهب المالكي للأندلس، وفي أي سنة كان ذلك، فقال بعضهم بأنه الغازي بن قيس في نهاية عصر الأمير الداخل[١]. وقال آخرون بأنه زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون زمن الأمير هشام[٢]، ولنوفق بينهما نقول: إن الأول أدخل جزءاً من موطأ الإمام مالك، والثاني أكمله[٣] ، أو أن الغازي أدخل الموطأ للأندلس دون تطبيق عملي، وأن زياداً بدأ تطبيقه[٤]، ومهما يكن الأمر، فقد اجتمعت عدة أسباب ساعدت على دخول المذهب المالكي للأندلس وقبوله برضىً من الأمير والشعب، يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- رغبة أمراء الأندلس في الاستقلال عن الدولة العباسية سياسياً وإدارياً وحتى دينياً في عدم اتباع المذهب الحنفي المنتشر عندهم، واتخاذ المذهب المالكي بدلاً منه[٥] ليكون مذهباً وحيداً في المنطقة[٦] ، يعمل على بث روح الوحدة والوئام بين الأندلسيين، ويبعدهم عن نار الفتن والاضطرابات التي تؤثر فيهم داخلياً لتنوع الفئات البشرية، وخارجياً لالتصاق حدودهم بحدود دار الكفر.

ب - اهتمام الأمير هشام بنشر المذهب المالكي في بلاده وحث الناس على اتباعه بعد أن سمع رأي الإمام مالك به عندما سئل عنه، فأجاب: " وددت أن الله زين موسمنا به"[٧] أو " نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم"[٨]. لذا، فقد جعل المذهب المالكي هو المذهب الرسمي في الأندلس في شؤون القضاء والفتيا[٩] ، وقرب إليه الفقهاء المالكية ووقرهم

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٥٨؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٤؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣٢؛ ابن فرحون: برهان الدين ابراهيم بن علي المالكي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ/١٩١١م، ج١، ص ٢١٩، وسيشار له: ابن فرحون: الديباج؛ العياشي: ابو سالم سيل عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ٢ج، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، مخطوط مصور على ورق فوتستات، ج٢، ص ٢٠٣، وسيشار له: العياشي: رحلة.

(٢) الخشني: أخبار، ص ٩٥؛ الخشني: قضاة، ص ٢٧، ٥٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٧؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ١٧٧؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥؛ العياشي: رحلة، ج٢، ص ٢٠٣.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٥، وممن رحلوا للمدينة وتفقهوا زمن هشام يحي بن مضر وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وقرعوس بن العباس؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

(٤) الونشريسي: المعيار، ج٦، ص ٣٥٦؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٢٣٠.

(٥) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٧؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٣٤-٣٦؛ نجم: المذهب المالكي، ص ٩٩-١٠٠.

(٦) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٧.

(٧) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٥؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٠.

(٨) المقري: نفح، ج٣، ص ٢٣٠. وقيل أن مالك سأل زياد شبطون فوصفه له فقال مالك "ليت الله زين موسمنا بمثل هذا"؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٥.

(٩) الونشريسي: المعيار، ج٦، ص ٣٥٦؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٢٣٠؛ بالنثيا: تاريخ، ص ٤١٨؛ نجم: المذهب، ص٩٨.

واحترمهم[١]. وأصبح فقيهاً يتمتع بصفات إيجابية افتن المؤرخون في ذكرها، منها أنه كان: ديناً، ورعاً، فاضلاً، خيراً، كريماً، متواضعاً، عاقلاً، يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويجمع الزكاة، ويتصدق بالصدقات الكثيرة[٢]. ووصل الحال إلى صدق من قال: "وأهل قرطبة أشد الناس محافظة علي العمل، بأصح الأقوال المالكية، حتى إنهم لا يولون حاكماً إلا بشرط ألا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم ـ مالكي ـ"[٣].

ج ـ مدح فقهاء الأندلس وعلمائها، كيحيى بن يحيى الليثي وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وزياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس وغيرهم للإمام مالك ولمذهبه عندما زاروا المدينة والتقوا به وسمعوا منه، فأعجبوا بفضله وسعة علمه[٤]، وعملوا على بث مذهبه في الأندلس من خلال تقربهم للأمير هشام وتقلدهم للمناصب العليا وقوة نفوذهم واحترام الناس لهم[٥]. ومما زاد في حماستهم هذه حب الإمام مالك لهم وتقريبهم إليه وإطلاق ألقاب حسنة عليهم، مثل "عاقل الأندلس" ليحيى الليثي و "حكيم الأندلس" لسعيد[٦]. وهنا التقت مصلحة الفقهاء والأمراء في بث المذهب.

د ـ قرب المذهب المالكي لأهل الحديث أو السنة والجماعة اللتين كانتا سائدتين في الأندلس، بالإضافة إلى المذهب الأوزاعي، من قبل، وكثرة أتباعهما الذين كانوا في الأصل فاتحين من أهل المدينة، وكانوا يختلفون إليها ويسمعون من الإمام مالك فيها[٧]. كما أنهم كما قال ابن خلدون أهل

---

(١) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٥-٦٦؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٢-٤٣؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٥٨؛ المقري: نفح، ج١، ص ٢٣٦؛ ج٢، ص ١١؛ Dozy: Histoire, P. 285 ؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٢٠-٢٢٦؛ بدر: دراسات، ص ١١٣؛ سالم: تاريخ، ص ٢١٨-٢١٩؛ بيضون: الدولة، ص ٢٢٩-٢٣٢؛ العبادي: في تاريخ، ص ١١٧-١١٩؛ علي: مختصر، ص ٣٩٤-٣٩٦.

(٢) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٥؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٠-١٢١؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٩٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٣؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٨؛ المراكشي: المعجب، ص ١١؛ ابن عذاري. البيان، ج٢، ص ٦٦؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٥٨؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٥.

(٣) الشقندي: رسالة، ص ٥٤؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٢١٦، وابن القاسم هو عبد الرحمن بن القاسم، الفقيه المالكي المشهور بمصر، صحب مالكا عشرين سنة، وكانت وفاته سنة ١٩١هـ/٨٠٦م؛ نجم: المذهب المالكي، ص ٨٨.

(٤) المقري: نفح، ج٣، ص ٢٣٠؛ بالنثيا: تاريخ، ص ٤١٧ ؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٤١؛ عباس: تاريخ، ص ٢٨-٢٩؛ هيكل: الأدب، ص ٨٠؛ نجم: المذهب المالكي، ص ٩٧، ١٠١؛ النصولي: الدولة، ص ٦٢.

(٥) المقري: نفح، ج٢، ص ٩؛ نجم: المذهب المالكي، ص ٩٩؛ بدر: دراسات، ص ١٧١.

(٦) ابن الشباط: صلة، ص ١٤٨؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٩

(٧) العبادي: في تاريخ، ص ١٢١-١٢٢.

بداوة يشبهون الحجازيين فأعجبهم المذهب[1] لتناسبه مع بيئتهم وحياتهم، خصوصاً أن طبيعة المذهب الأوزاعي كانت عسكرية، وهذه المرحلة انتهت، وبدأت مرحلة جديدة تهتم بتنظيم الحياة العامة، وهذا يتفق مع توجهات المذهب المالكي الذي يعتمد على العقل والنقل[2] في تسيير شؤون الدولة.

واستمر اهتمام أمراء الأندلس بالمذهب المالكي بعد وفاة الأمير هشام، فها هو ابنه الحكم يقرر اعتماد المذهب المالكي في كل شؤون الدولة الدينية والإدارية والاقتصادية، فانتشر المذهب في قرطبة ثم في الأندلس ثم في بلاد المغرب بعامة[3]. ولكن، هل كان اهتمام الحكم بأتباع المذهب كما كان اهتمامه به؟. هذا ما سنجيب عنه بشيء من التفصيل في الصفحات اللاحقة.

ولقد أصبح المذهب المالكي في الأندلس جزءاً لا يتجزأ من الكيان السياسي للدولة والديني للشعب، فبقي مستمراً في عهد الإمارة ثم عهد الخلافة ثم زمن الطوائف والمرابطين[4] حتى عهد الموحدين الذين حاولوا القضاء على المذهب المالكي وإعادة العمل بالقرآن والسنة، لكثرة الاختلافات الفقهية المذهبية بين الأندلسيين[5]؛ فقد صار لأهل قرطبة فقه خاص يجرون عليه وينكره غيرهم من قضاة المشرق والمغرب، وهذا الفقه القرطبي يسمى تسمية خاصة تدل على أنه مستقى من جاري العرف وأعمال الناس بحكم العادة، فكان يسمى "عمل قرطبة"[6]. ثم إن هذا الفقه المرتبط بالقضاء قد تأثر ببيئة الأندلس وبيئة أهل قرطبة المحلية، فقد جرى القضاة على العادات القديمة عادين أن ما يصدرون من أحكام عمل خاص يلتزمونه، ولو اشترط الأمير عليهم مذهباً يلتزمونه، وقد عبر عن ذلك المقري بقوله: " يا لله وللمسلمين، ذهبت قرطبة وأهلها، ولم يبرح من الناس جهلها، وما ذاك إلا لأن الشيطان يسعى في محو الحق فينسيه، والباطل

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص ٨٠٥-٨٠٦. الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٤٥-٤٩.

(٢) الونشريسي: المعيار، ج٢، ص ٤٥١؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٤٩-٥٠؛ نجم: المذهب المالكي، ص ١٠٨.

(٣) المقري: نفح، ج٣، ص ٢٣٠؛ بروفنسال: حضارة، ص ٤٣ ، بروفنسال: أ. ليفي : الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، منشورات معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الإسلامية، دار الطباعة المغربية، مطبعة كريماديس، تطوان، ١٣٧١هـ/١٩٥١م، ص ١٦ ، وسيشار له: بروفنسال: الشرق.

(٤) الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٦٦-٦٧؛ نجم: المذهب المالكي: ص ١١٤-١٣٠؛ هذا رغم أن عبد الرحمن بن الحكم قد تضايق منهم فترة من الزمن وسماهم سلسلة السوء؛ الخشني: قضاة، ص ٥٤.

(٥) نجم: المذهب المالكي ، ص ١٣٥-١٣٨.

(٦) المقري: نفح، ج١، ص ٥٥٦.

لا زال يلقنه ويلقيه الا ترى خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتفضيل والكهانة والنجوم والخط والتشاؤم وما أشبه ذلك... وكذا التنابز بالألقاب وغيره مما نهي عنه وحذر منه، كيف لم تزل من أهلها، وانتقلت مع غيرهم مع تيسير أمرها، حتى كأنهم لا يرفعون بالدين رأساً، بل يجعلون العادات القديمة أساً، وكذلك محبة الشعر والتلحين والنسب، وما انخرط من هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب، والشرع فينا منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة لا نحفظه إلا قولا"[١].

ومع ذلك، لم يتمكن الموحدون من القضاء على المذهب المالكي، لأنه استحكم في قلوب الناس وعقولهم، فقد مضى عليه ردح طويل من الزمن ترسخت جذوره، وصار من الصعب اجتثاثها، فصدق من قال: إن احترام أتباع المذهب هو من احترام المذهب نفسه، وتمثل ذلك في قول الشقندي:

" وقد سمعنا من تعظيم أهلها للشريعة، ومنافستهم في السؤدد بعلمها، وأن ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها، ويرفعون أقدارهم، ويصدرون عن آرائهم، وأنهم كانوا لا يقدمون وزيراً ولا مشاوراً ما لم يكن عالماً... وأنهم كانوا لا يقدمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، وتعقد له مجالس المذاكرة، ويكون ذا مال في غالب الحال خوفاً من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين... ثم إنه إذا كان له من الغنى ما يكفه عن أموال الناس، ومن الدين ما يصده عن محارم الله تعالى، ومن العلم ما لا يجهل به التصرف في الشريعة، أباحوا له الفتوى والشهادة، وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء"[٢]. لذا، فقد وجد ثلاثة آلاف مقلس في القرى التابعة لقرطبة[٣] كانوا فقهاء أصحاب فتيا في الأحكام الشرعية، فهم لا يتقلدون هذا المنصب إلا بعد حفظ موطأ مالك أو عشرة آلاف حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم من مدونة الإمام مالك[٤].

هذا عن الفقه والفقهاء من أتباع المذهب المالكي في الأندلس، أما دورهم في الحياة العامة، فقد كانوا من الناحيتين السياسية والإدارية مساندين للسلطة القائمة غالباً، فيقدمون النصح والمشورة والمساعدة للأمراء، ويؤدون المهمات الرسمية والخاصة التي تطلب منهم، ويحثون الناس على الجهاد ويتباركون به، ويتقدمون للحكام التهاني والتبريكات في المناسبات الدينية والخاصة[٥]، ويفعلون كل ذلك؛ لأن السلطة تحترمهم وتقدرهم وتقلدهم معظم المناصب الإدارية والدينية الكبرى، كالولاية على

---

(١) المقري: نفح، ج١، ص ٥٥٧. وأيد مؤنس هذه الحال بقوله إن القانون جزء من الحياة العامة، يتأثر بالعرف والعادة، حتى في مجال القضاء، ، وإن كان الفقهاء لا يرضون بذلك؛ مؤنس: فجر، ص ٤٥٧.

(٢) الشقندي: رسالة، ص ٥٣-٥٤؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) مجهول: وصف، ص ١٧٠؛ المراكشي: المعجب، ص ٢٣٠.

(٤) مجهول: وصف، ص ١٧٠-١٧١؛ المقري: نفح، ج١، ص ٤٥٨.

(٥) انظر التفاصيل: الكبيسي: دور الفقهاء، ص ١٠٥-١٢٢.

المدن الأندلسية والوزارة والكتابة والجيش والشرطة والسوق (الحسبة) والقضاء والفتيا وغيرها[١]. ومما يزيد في احترام الأمراء لهم احترام الفقهاء لأنفسهم ومكانتهم الاجتماعية بين الناس واستفادتهم منهم علماً، وعملاً، وضرورة كسب الصبغة الشرعية لحكمهم، بالإضافة إلى أنه إيمان وتقوى منهم[٢].

هذه هي الحال إذا كانت العلاقة حسنة بين الطرفين: السلطة والفقهاء، أما إذا لم تكن كذلك، فإن الفقهاء يعارضون السلطة وينتقدونها ولا يعطونها الصبغة الشرعية، ويرفضون التعاون معها وتنفيذ رغباتها، ويحرضون الناس عليها، وبالمقابل، تحارب السلطة الفقهاء وتبعدهم عن المناصب التي يتقلدونها، ولا يقربونهم منها، ويضيقون الخناق عليهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

إن الوضع الأقل احتمالاً لعلاقة السلطة مع الفقهاء المتمثل في عدم التعاون هو موضوع حديثنا التفصيلي زمن الأمير الحكم بن هشام، ذلك أنهم ثاروا عليه فقمعهم وشردهم ثم عاد الوفاق فأحسن لهم وأكرمهم، وقبل الخوض في هذا وذاك، لا بد لنا من معرفة نبذة عن الفقهاء حسب سنوات وفاة كل منهم، زمن هذا الأمير، وما تمتعوا به من علم ومعرفة ومكانة في المجتمع كما يلي:

١- يحيى بن مضر القيسي: أبو زكرياء أو أبو بكر، من أهل قرطبة[٣]، رحل للمشرق، ولقي مالكاً بن أنس، وتبادل السماع والرواية معه[٤]، ومع عبد الله بن وهب[٥]، ثم سمع من سفيان بن عيينة[٦] وسفيان الثوري[٧]، وبعدها، عاد لقرطبة فقيهاً عالماً صاحب شأن كبير، وقد رشح لاستلام منصب القضاء[٨]، لكن ذلك لم يتم، بل حدث

---

(١) انظر التفاصيل: الكبيسي: دور الفقهاء، ص ١٥٣-١٩٦.

(٢) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٢٩؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٩١-١٠٤.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٤٥٨.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٣٤٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦؛ الضبي: بغية، ص ٥٦؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٠؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٤٥٨؛ المقري. نفح، ج١، ص ٣٤٤.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٣٤٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٤٥٩.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٤.

(٧) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦؛ الضبي: بغية، ص ٥٠٦؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٠؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٤٥٨.

(٨) الخشني: أخبار، ص ٣٤٧؛ الخشني: قضاة، ص ٣٦؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦.

العكس، فقد ثار يحيى على الأمير الحكم في ثورة الربض، ولقي حتفه فيها سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م[1].

٢- الغازي بن قيس: أبو محمد، من أهل قرطبة[2]، رحل للمشرق، ولقي مالكاً بن أنس، وسمع منه وروى عنه وهو أول من أدخل الموطأ للأندلس[3]، كما سمع قراءة نافع بن أبي نعيم وأتقنها وأدخلها للأندلس[4] وروى عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذيب وعبد الملك بن جريج وثور ابن زيد، ومحمد وسلمة ابني وردان، ومحمد بن عجلان والإمام الأوزاعي[5]. وروى عنه ابنه عبد الله وعبد الملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل وعثمان بن أيوب[6]، وتمتع الغازي بمكانة اجتماعية ذات شأن كبير في الأندلس، فقد استأدبه أمراء الأندلس الثلاثة الأوائل لأبنائهم[7]، وكان الأمير عبد الرحمن بن الحكم يجله ويعظمه ويصله[8]. وعرض عليه القضاء فأبى[9].

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦-١٢٧؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٤٥٩ . ويقول البعض أنه توفي قبل ثورة الربض؛ الخشني: أخبار، ص ٣٤٨ أو بعدها سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م؛ الضبي: بغية، ص ٥٠٦؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٠.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٤؛الضبي: بغية، ص ٣٤٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٧٥؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣١؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ٢١٩

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٩٢؛ الخشني: طبقات، ص ٩٠؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ عياض: ترتيب، ج٢، ص ٢١٤؛ ج٣، ص ١١٤؛ ؛ الضبي: بغية، ص ٤٣٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٧٥؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣١؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ٢١٩

(٤) الخشني: أخبار، ص ٢٩١؛ الخشني: طبقات، ص ٩٠؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج ١، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٤، الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣١.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٢٩١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٤؛ الضبي: بغية، ص ٤٣٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٧٥؛ الذهبي: تاريخ ج١٣، ص ٣٣١؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ٢١٩.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٤؛ الضبي: بغية، ص ٤٣٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٧٥؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣١؛ ابن فرحون، الديباج، ج١، ص ٢١٩.

(٧) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٥.

(٨) المصدر السابق: ص ٢٥٤.

(٩) المصدر نفسه: ص ٢٥٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٤.

واتصف الغازي بأنه كان: عاقلاً، عالماً، عابداً، صالحاً، فاضلاً، خيراً، نبيلاً، ثقة، مأموناً، أديباً، مجاب الدعوة[١]. وقد توفي سنة ١٩٩هـ/٨١٤م[٢].

٣- سعيد بن أبي هند: أصله من طليطلة[٣] لكنه استقر في قرطبة[٤]، ورحل للمدينة وسمع وروى عن مالك بن أنس[٥] الذي لقبه بحكيم الأندلس[٦]، فألبسه بذلك ثوباً جميلاً[٧] التصق به كعقله ونبله وفضله وتقشفه[٨].

ولي سعيد قضاء طليطلة[٩]، واختلف في سنة وفاته، فقيل: إنه توفي زمن الأمير عبد الرحمن الداخل[١٠]، وقيل: زمن ابنه هشام[١١]، وقيل: بل زمن حفيده الحكم سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[١٢].

٤- عبد الرحمن بن دينار: أصله من طليطلة[١٣]، فقد ولد فيها سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م[١٤]، واستقر بقرطبة، وكني أبا زيد وأبا أمية[١٥].

---

(١) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٥؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٢) الزبيدي: طبقات، ص ٢٥٦؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٤٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٧؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣٢.

(٣) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٢٧٧-٢٧٨، ٤٠٣، ٥٨٧. وقيل أن اسمه عبد الوهاب.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٣١٥.

(٥) المصدر السابق: ص ٣١٥؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٣؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٠٣.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٣١٥؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٣؛ الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٠٣.

(٧) وهذا وصف الأمير هشام له؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٣-١٢٤.

(٨) الخشني: أخبار، ص ٣١٥؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٤.

(٩) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٤.

(١٠) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٠٣.

(١١) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٤.

(١٢) المصدر السابق: ج٣، ص ١٢٤.

(١٣) المصدر نفسه: ج٤، ص ١٠٥.

(١٤) الخشني: أخبار، ص ٢٣٩؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٥٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٩٩.

(١٥) الخشني: أخبار، ص ٢٣٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٥.

رحل للمدينة، وأدخل العديد من الكتب للأندلس أخذها عنه أخوه الفقيه عيسى بن دينار[١]، وقد كان عبد الرحمن عالماً، فقيهاً، حافظاً، مشاوراً، زاهداً[٢]، حتى توفي سنة ٢٠١هـ/٨١٦م[٣].

٥- زيد بن الحباب بن الريان: أبو الحسين التميمي العكلي، رحل وسمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري ومالك بن مغول وروى عنهم، وروي عنه حيث كان ثقة، وقد توفي سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م[٤].

٦- زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة المعروف بشبطون[٥]، يكنى أبا عبد الله[٦]، رحل للمشرق ١٧٣هـ/٧٨٩م، والتقى بالإمام مالك بن أنس، وسمع منه وروى عنه، وهو أول من أدخل مذهبه وموطأه للأندلس زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن[٧] وأول من أدخل فقه الحلال والحرام وسنة تحويل الأردية في صلاة الاستسقاء[٨]، وقد روى عن معاوية بن صالح الحمصي الذي زوجه ابنته[٩]، والليث بن سعد وسفيان بن عيينه ويحيى بن أيوب وموسى بن علي وعمر بن قيس وغيرهم كثير[١٠]، وروى عنه مجموعة أهمهم الفقيه يحيى بن يحيى الليثي قبل رحيله للمدينة[١١].

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٢٣٩؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٥٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٩٩.

(٢) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٥.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٣٩؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٥٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٩٩.

(٤) الضبي: بغية، ص ٢٩٥.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٩٥؛ الخشني: قضاة، ص ١٨؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٣٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٦؛ الضبي: بغية، ص ٢٩٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٧٢؛ الذهبي: تاريخ، ج٣، ص ١٧٧.

(٦) المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

(٧) الخشني: أخبار، ص ٩٥؛ الخشني: قضاة، ص ٢٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٥٤؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٨٢؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٤٢٣؛ عياض: ترتيب، ج٢، ص ٢١٨، ج٣، ص ١١٦-١١٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٧٢؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ١١٧؛ الصفدي: الوافي، ج١٥، ص ١٦-١٧؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥؛ العياشي: رحلة، ج٢، ص ٢٠٣.

(٨) الخشني: أخبار، ص ٩٥؛ الخشني: قضاة، ص ٢٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٧٢.

(٩) الخشني: أخبار، ص ٩٥؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٥٤؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٨٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٦؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ١٧٧؛ الصفدي: الوافي، ج١٥، ص ١٧.

(١٠) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٦؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ١٧٧؛ الصفدي: الوافي، ج١٥، ص ١٧.

(١١) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٥٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٨٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٦؛ الضبي: بغية، ص ٢٩٤؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٦.

وأراد الأمير هشام تعيينه على قضاء قرطبة فرفض، وهرب خشية إجباره، فأمنه الأمير فعاد[١]، وكان موضع احترام وتقدير وإكرام مِن الأمير[٢]، فهو العالم الفقيه الورع الزاهد الناسك الذي لا يهمه المال والجاه[٣]، بل رضى الله، وهو الذي لم يستمر بالحديث مع الأمير الحكم عندما سمع صوت الأذان قائلاً: "أيها الأمير، لولا أن داعي الله عز وجل يدعوني لشيعت الأمير إلى قصره"[٤]. وكان يسمع منه ويستشيره كأبيه من قبله[٥].

وتوفي زياد في قرطبة[٦] واختلف في تحديد سنة وفاته فقيل: ١٩٣هـ/٨٠٨م[٧]، وقيل: ١٩٤هـ/٨٠٩م[٨]، وقيل: ١٩٩هـ/٨١٤م[٩]، وقيل: ٢٠٤هـ/٨١٩م[١٠]، والسنة الأخيرة هي الأرجح[١١].

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٣، ٩٧؛ الخشني: طبقات، ص ٥٨أ؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٥٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٨٣؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٣٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٨؛ الضبي: بغية، ص ٢٩٤؛ الصفدي: الوافي، ج١٥، ص ١٧؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

(٢) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١١٩؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ١٨٨، وكان هشام يقول "ليت الناس كلهم كزياد"؛ الخشني: أخبار، ص ٩٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٥٥؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥. وقوله: "اللهم أعني على طاعتك بمثل هذا أو اشباهه"؛ الخشني: أخبار، ص ٩٦؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٠.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٩٥-٩٦؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٣٨؛ عياض: ترتيب، ج١، ص ١٢٠؛ الذهبي: تاريخ، ج٣، ص ١٧٧؛ الصفدي: الوافي، ج١٥، ص ١٧.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٩٧؛ الخشني: طبقات، ص ٥٨ب؛ عياض: ترتيب؛ ج٣، ص ١١٩-١٢٠.

(٥) المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٩٧.

(٧) المصدر السابق: ص ٩٨؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٣٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٢؛ الضبي: بغية، ص ٢٩٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٧٢؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ١٧٨؛ الصفدي: الوافي، ج١٥، ص ١٧؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

(٨) الخشني. أخبار، ص ٩٨؛ الخشني: طبقات، ص ٦٠أ؛ الحميدي. جذوة، ج٦، ص ٣٣٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٢؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

(٩) الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٣٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٢؛ الضبي: بغية، ص ٢٩٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٧٢؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ١٧٨؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

(١٠) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٥٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٨٣؛ الضبي: بغية، ص ٢٩٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٧٢؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

(١١) المقري: نفح، ج٢، ص ٤٥.

٧- طالوت بن عبد الجبار بن محمد بن أيوب المعافري: من أهل قرطبة، منزله قريب من المسجد الجامع[١]، رحل لمصر والمدينة، ولقي مالكاً بن أنس، وسمع منه وروى عنه، ثم عاد لقرطبة وصار له شأن كبير، رغم مشاركته الفاعلة في ثورة الربض ضد الأمير الحكم بن هشام[٢].

٨- محمد بن سعيد بن عبد الله السبائي: من أهل قرطبة[٣]، رحل للمدينة ولقي الإمام مالكاً بن أنس وروى الموطأ عنه[٤]، ولما عاد، كان قريباً من الأمير الحكم حيث عمل عنده فقيهاً مشاوراً، وكاتباً وسفيراً[٥]، لذا، لم يشارك أهل الربض في الثورة ضده، وأعلن ذلك علانية أمامهم[٦]، وروى محمد عن جماعة وروي عنه[٧]، وكان القاضي محمد بن بشير يشاوره[٨]، فهو الشيخ العالم الفقيه الورع[٩]، وقد توفي سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م[١٠].

٩- حسين بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي: من أهل قرطبة الذين رحلوا للمشرق والتقوا بأصحاب مالك عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن وهب ومطرف ابن عبد الله وعبد الله بن نافع[١١]. وعاد لقرطبة، وتوفي فيها سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م[١٢]. وكان من جيل الفقيه عيسى بن دينار[١٣].

---

(١) ابن القوطية: تاريخ ص ٧٥؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٥؛ المراكشي: المعجب، ص ١٢؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٣٩.

(٣) وهو نفسه محمد بن يحيى الذي عرف بفطيس بن أم غازية؛ الخشني: أخبار، ص ١١٢؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج٢، ص ٢؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٥.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٢؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٤؛ عياض: ترتيب، ج٢، ص ١٩٦؛ ج٣، ص ٣٤٥

(٥) الخشني: أخبار، ص ١١٢-١١٣.

(٦) المصدر السابق: ص ١١٣.

(٧) المصدر نفسه: ص ١١٣.

(٨) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٥.

(٩) الخشني: أخبار، ص ١١٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٦.

(١٠) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٥؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٥.

(١١) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١١٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٣٣؛ الحميدي: جذوة، ج٥، ص ٢٩٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٠.

(١٢) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٢؛ الحميدي: جذوة، ج٥، ص ٢٩٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢١.

(١٣) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٠.

١٠- عيسى بن دينار بن واقد الغافقي: ويكنى أبا محمد[(١)] وأبا عبد الله[(٢)]، أصله من طليطلة، سكن وتعلم في قرطبة[(٣)]، ثم رحل لمصر وتفقه على أيدي أصحاب مالك، حيث التقى بعبد الرحمن ابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن عبد الحكم[(٤)]، و لم يلتق بالإمام مالك، لأنه وصل بعد وفاته سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م[(٥)]، وكانت لعيسى مكانة كبيرة عند أصحاب مالك، خصوصاً ابن القاسم الذي كان يحترمه ويجله[(٦)]، فهو الذي مدح فقهه وورعه[(٧)]، ونصح له في أثناء عودته للأندلس بأن يستقر بإحدى مدنها الكبيرة حتى لا يضيع علمه ويستفيد منه الناس[(٨)].

وعاد عيسى للأندلس، وبدأ بث فقهه بين الناس، فكثر أتباعه، الأمر الذي أدى إلى سجنه ثم العفو عنه عندما عرف الأمير اسمه ومكانته[(٩)]. لذا، لا نستغرب اللقب الذي أطلق عليه وهو "فقيه الأندلس"[(١٠)]، فقد دارت الفتيا عليه في أيامه و لم يتقدمه فيها أحد[(١١)]، حتى الفقيه يحيى بن يحيى[(١٢)]، الذي لاحظ ميل الناس له بوجوده قائلاً له:"والله يا عيسى ما ألقى

---

(١) الخشني: أخبار،ص٢٧٠؛ ابن الفرضي: تاريخ،ج١،ص٣٣١؛ تاريخ العلماء،ج١،ص٣٧٤؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء،ص٢١٣؛ عياض: ترتيب،ج٤،ص١٠٥؛ابن سعيد: المغرب،ص ٢٤؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥،ص ٣٣٤.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٣١؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٧٤.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٧٠؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٣؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٥.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٢٧٠؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١،ص ٣٣١؛ تاريخ العلماء،ج١،ص ٣٧٤؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٧١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩؛ الضبي: بغية ، ص ٤٠٢ ؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٢٥؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ٣٣٤؛ ابن فرحون: الديباج،ج١، ص ١٧٩.

(٥) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٨.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٢٧٠؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٧؛ الضبي : بغية، ص ٤٠٢؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٢٥؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ٣٣٤؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ١٧٨.

(٧) الخشني: أخبار،ص٢٧٠؛ عياض: ترتيب،ج٤،ص ١٠٧. لذا، فقد كان يثق به ويترك له مجال الاجتهاد بما يراه مناسباً، وقد حدث أنه لما عاد عيسى للأندلس عدل ابن القاسم بعض الأحاديث،فأرسل له عيسى كي يخبره ما عدل، فكان جوابه له:"فاعرض ما كتبت عني على عقلك وعلمك،فما رأيت منه صواباً فامضه وما أنكرته فدعه"؛ الخشني: أخبار،ص٢٧١.

(٨) الخشني: أخبار، ص ٢٧٠.

(٩) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٧.

(١٠) الخشني:أخبار،ص٢٧٠-٢٧١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١،ص٣٣١؛ تاريخ العلماء، ج١، ص٣٧٤.

(١١) ابن الفرضي: تاريخ،ج١،ص٣٣١؛ تاريخ العلماء،ج١،ص٣٧٤؛ عياض: ترتيب،ج٢، ص ١٠٦ ؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ٣٧٤؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ١٧٨.

(١٢) ابن الفرضي: تاريخ،ج١،ص٣٣١؛ تاريخ العلماء،ج١،ص٣٧٤؛ الذهبي: تاريخ،ج١٥، ص ٣٣٤ ؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ١٧٨.

الله جل وعز لك هذه المحبة في قلوب الناس إلا وقد أحبك الله جل ذكره"[١] .

ولي عيسى قضاء طليطلة والشورى بقرطبة زمن الأمير الحكم[٢]، ولكن، مع ذلك، لم ينج من مشاركته في ثورة الربض ضده[٣] ، فقد كان عيسى فقيهاً، عالماً، عابداً، ورعاً، صالحاً، فاضلاً، كثير العمل، مجاب الدعوة[٤]، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكانت النتيجة عفو الحكم عنه وتقريبه له وإكرامه، وكذلك فعل ابنه الأمير عبد الرحمن من بعده[٥]، حتى توفي الفقيه عيسى في طليطلة سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[٦] .

١١- شبطون بن عبد الله الأنصاري: أصله من طليطلة وولي القضاء بها، رحل للمدينة والتقى بمالك وسمع الموطأ منه، وعاد للأندلس وبقي بها حتى توفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[٧] .

١٢- أحمد بن زكريا بن يحيى بن عبد الملك بن عبيد الله بن عبد الرحمن: محدث من أهل الأندلس، روى عن جماعة، وروي عنه، لكنه لم يشتهر، لأن حياته لم تطل، فقد توفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م[٨] .

١٣- قرعوس بن العباس بن قرعوس بن عبيد بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي[٩]، ويكنى أبا

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٢٧٠؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٩.

(٢) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٦.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٧١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٣١؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٧٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٧.

(٤) الخشني: أخبار،ص٢٧٠؛ ابن الفرضي: تاريخ،ج١،ص٣٣١؛ تاريخ العلماء،ج١،ص٣٧٤ ؛مجهول: العيون،ج٣،ص٢٧١؛ عياض: ترتيب،ج٤،ص١٠٦-١٠٧؛ الضبي: بغية،ص٤٠٢؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢،ص٥٢٥؛ ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص ٢٤؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣٣٤ ؛ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ١٧٨.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٢٧١.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٧٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٣١؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٧٤ ؛مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٧١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٧؛ الضبي: بغية، ص ٤٠٣؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٢٥؛ ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص ٢٤؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ٣٣٥؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ١٧٩؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ٢٠٤.

(٧) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤١٠.

(٨) الضبي: بغية، ص ١٧٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٢٢٥.

(٩) ابن الفرضي: تاريخ،ج١،ص٣٧٢؛ تاريخ العلماء،ج١،ص ٤١٣؛ عياض: ترتيب،ج٣،ص٣٢٥؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال،ص ٥٩٥؛ الذهبي:تاريخ،ج١٥،ص٣٥٥؛ابن فرحون:الديباج،ج١،ص٢٢٦.

الفضل وأبا محمد[١]، وهو من أهل قرطبة، رحل للمشرق، والتقى بالإمام مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري وعبد الملك بن جريج وسمع منهم وروى عنهم[٢]، وروى عنه أصبغ بن الخليل وعبد الملك بن حبيب وعثمان بن أيوب[٣].

ولي قرعوس السوق زمن الأمير الحكم، وكان أبوه العباس من قبله والياً للسوق زمن الأمير هشام، على الرغم من خلط المصادر في ذلك[٤]، ويذكر أن الاثنين كانا يضربان ضرباً مبرحاً ويتشددان على أهل الريب[٥]، فمذهب المالكية لا يعارض ذلك، خصوصاً، أن الوازع الديني هو الدافع وطبيعة المهمة تتطلب ذلك[٦].

وتميز قرعوس بأنه رجل عالم، فقيه، متدين، ورع، فاضل، كبير القدر[٧]، عادل، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد عاقب أحد رجال الأمير الحكم في أثناء قيامه بمهمة أمره الحكم بها[٨].

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٣١١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣١١-٣١٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٧٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٣؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٥؛ الضبي: بغية، ص ٤٥١؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٩٥؛ الذهبي: تاريخ، ح ١٥، ص ٣٥٥؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ٢٢٦.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٧٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٣؛ عياض: ترتيب، ج٣،ص٣٢٥؛ الضبي: بغية، ص ٤٥١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ٣٥٥؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص ٢٢٦.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٣١٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٧٢؛ تاريخ العلماء، ج١،ص٤١٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٣١٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٤، ص ٣٧٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٣؛ عياض: ترتيب، ج٣،ص ٣٢٥. وهنا، تأتي الرواية لترجح أن العباس هو والي السوق، ذلك أن ابنه قرعوس لما لقي مالك سأله عن حكم الضرب المبرح لأن أباه كان يفعل ذلك، فأجابه مالك: "إن كان فعل ذلك غضباً لله وذباً عن محارمه فأرجو أن يكون خفيفاً"، عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٦) الونشريسي: المعيار، ج١٠، ص ١٠١؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ٣٠.

(٧) الخشني: أخبار، ص ٣١٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٧٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٣؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٦؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ٣٥٥؛ ابن فرحون:الديباج، ج١، ص ٢٢٦.

(٨) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٤.

واتهم قرعوس بأنه من المشاركين في ثورة الربض، لكن ذلك لم يثبت عليه، فنجا من العقاب[١] وبقي حياً يتمتع بمركزه والياً للسوق زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم حتى توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م[٢] .

١٤- محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي: محدث من أهل الأندلس، توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م[٣].

١٥- محمد بن خالد بن مرتنيل المعروف بالاشج، يكنى أبا عبد الله[٤] وهو من أهل قرطبة، رحل للمشرق ولقي أصحاب الإمام مالك عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب واشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وسمع منهم وروى عنهم[٥]، مع أن الفقه غلب على الحديث عنده[٦] .

وولي محمد الصلاة والشرطة والسوق بقرطبة زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٧]، وكان عالماً، فقيهاً، ورعاً، فاضلاً، نبيهاً، صلباً في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد عاقب أحد رجال الأمير دون رحمة[٨]. لذا، فقد عزل في إحدى المرات صباحاً وأعيد مساءً[٩]، وتوفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، وقيل: ٢٢٤هـ/٨٣٨م[١٠] .

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٧٣؛ تاريخ العلماء، ج١ ، ص ٤١٤؛ ابن حيان، المقتبس من أنباء، ص ٢١٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٢) الخشني: أخبار، ص ٣١٢؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٦

(٣) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ١٢٠-١٢١.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٤.

(٥) الخشني: طبقات، ص ٦٣أ؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٤ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ١٠١.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ١٠١ .

(٧) الخشني: طبقات، ص ٦٣أ؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٤ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٧.

(٨) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٧-١١٨.

(٩) الخشني: طبقات، ص ٦٣ ب.

(١٠) المصدر السابق: ص ٦٣ ب؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٥ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٨، وعمره كان ٧٢ سنة؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٨.

١٦- محمد بن عيسى بن عبد الواحد المعافري (الأعشى): يكنى أبا عبد الله[١] وهو من أهل قرطبة، تعلم فيها، ثم رحل للمشرق في السنة التي توفي فيها مالك[٢]، فسمع من أصحابه عبد الرحمن ابن القاسم وعبد الله بن وهب وأشهب بن عبد العزيز وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وعيسى بن كنانة وعثمان بن عيسى بن كنانة وغيرهم[٣]. وروى محمد عنهم الحديث وروى عنه محمد بن وضاح وأصبغ بن خليل ومحمد بن عبد الواحد[٤] . وعاد لقرطبة، فعرض عليه الأمير هشام تسلم منصب القضاء، لكنه رفض بعد أن سمع تعليق الأمير عليه بأنه رجل كثير الدعابة[٥]، مع أنه كان عاقلاً، عالماً، صالحاً، فاضلاً، جواداً، متصدقاً[٦]. وتوفي الأعشى في السنوات بين ٢٢٠-٢٢٢هـ/٨٣٥-٨٣٧م[٧] .

١٧- حارث بن أبي سعيد: يكنى أبا عمرو، ووالده مولى للأمير عبد الرحمن الداخل[٨]، من أهل قرطبة، رحل للمشرق، والتقى بأصحاب الإمام مالك عبد الرحمن بن القاسم وعثمان بن عيسى ابن كنانة[٩] . ولما عاد لقرطبة، صار من أهل الفتيا، وكان أول من تولى الشرطة الصغرى زمن

---

(١) الخشني: أخبار، ص ١١٣؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٥؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٥؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ١٤٣ ؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٢.

(٢) الخشني: أخبار ، ص ١١٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١١٣-١١٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٥؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٥؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٤؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٢.

(٤) الخشني: أخبار، ص ١١٥؛ ابن الفرضي: تاريخ ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٥.

(٥) الخشني: أخبار، ص ١١٤؛ الخشني: قضاة، ص ٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٥.

(٦) الخشني: أخبار، ص ١١٤-١١٥؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٥؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٥؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٤-١١٥؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٢. هذا مع أنه كان يتعامل مع الناس بطرق مختلفة، فها هو ذا ينتقد لباس القاضي محمد بن بشير؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٦؛ ولا يميل للفقيه زياد ابن عبد الرحمن؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٢؛ ويتقرب لربيع القومس النصراني؛ الخشني: أخبار، ص ١١٥.

(٧) الخشني: أخبار، ص ١١٦ (٢٢٢هـ/٨٣٦م)؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٥ (٢٢١-٢٢٢هـ/٨٣٥-٨٣٦م)؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٥ (٢٢١هـ/٨٣٥م)؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٦ (٢١٨هـ/٨٣٣م ، ٢٢٠هـ/٨٣٤م، ٢٢٢هـ/٨٣٦م)؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال،ج١، ص ١٤٣ (٢٢١هـ/٨٣٥م). ويذكر المقري خطأ أنه توفي سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٢.

(٨) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٠٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٢٤؛ عياض: ترنيب، ج٤، ص ١١٣.

(٩) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٠٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٢٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٣.

الأمير الحكم، وبقي متقلداً لها حتى توفي زمن الأمير عبد الرحمن سنة ٢٢١/٢٢٢هـ ــ ٨٣٥/٨٣٦م[١] .

١٨- يحيى بن معمر الالهاني: أصله من إشبيلية، لكنه سكن بقرطبة وتقلد القضاء فيها سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م، و لم يكن على علاقة حسنة مع الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، حتى توفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م[٢] .

١٩- إسماعيل بن بشر التجيبي: يكنى أبا محمد[٣] ، من أهل قرطبة الذين كانت تدور عليهم الفتيا مع يحيى بن يحيى الليثي وعيسى بن دينار، وذلك زمن الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن[٤]، كان على علاقة حسنة مع الفقيه يحيى الليثي[٥]. لذا، فقد ولي الصلاة زمن الأمير عبد الرحمن، حتى توفي في عهده ودفن في مقبرة الربض[٦] .

٢٠- عبد الرحمن بن الفضل بن عميرة بن راشد الكناني، أبو المطرف، أصله من تدمير، سمع من يحيى ابن مضر في الأندلس، ورحل للمشرق وسمع من أصحاب مالك عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب، ولما عاد ولي قضاء تدمير للأمير الحكم، وتوفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م[٧] .

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٧٩-٨٠؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٠٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٢٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٣. وابنه محمد سمع من يحيى الليثي وعبد الملك بن حبيب، وتولى الشرطة زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وتوفي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م. ودفن بمقبرة الربض؛ الخشني: أخبار، ص ١٣٩-١٤٠؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) الخشني: قضاة، ص ٤٥-٥١؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٨٠؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٥؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٨، ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٧٧-١٧٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٧-١٤٩، ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٧؛ النباهي: تاريخ، ص ٤٤-٤٥.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ، ص ٦٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٧٩، الحميدي: جدوة، ج٥: ص ٢٥٠.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ص ٦٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٧٩؛ الحميدي: جذوة، ج٥، ص ٢٥٠؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٧؛الضبي: بغية، ص ٢٣٠ ؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٢٨١.

(٥) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٧.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٦٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٧٩؛ الضبي: بغية، ص ٢٣٠ ؛ الضبي: بغية الملتمس من تاريخ رجال، ج١، ص ٢٨١.

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٥٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٠١؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٧٩-٤٨٠.

٢١- الأسوار بن عقبة الفهري: تولى قضاء الجماعة في قرطبة سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م[١]، وتوفي سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٢] .

٢٢- عبد الملك بن الحسن بن محمد بن زريق بن عبيد الله بن أبي رافع المعروف بزونان، والمكنى أبا الحسن أو أبا مروان[٣]، من أهل قرطبة، سمع من صعصعة بن سلام في الأندلس[٤]، ثم رحل للمشرق، وسمع من أصحاب الإمام مالك عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وأشهب ابن عبد العزيز[٥]، ولما عاد صار له شأن كبير، فقد كانت الفتيا تدور عليه مع يحيى بن يحيى الليثي وسعيد بن حسان[٦] زمن الأمير هشام وابنه الحكم وحفيده عبد الرحمن[٧]، وولي قضاء طليطلة وعزل عنها باقتراح من عبد الملك بن حبيب إذ قال للأمير: " لا ينبغي أن يشركك في عدلك من يشركك في نسبك"[٨] .

أفتى زونان بالمذهب الأوزاعي ثم المالكي[٩]، فكان عالماً، فقيهاً، فاضلاً، زاهداً، مشاوراً للأمراء والفقهاء[١٠]، حتى توفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م وقيل ٢٣٤هـ/٨٤٨م[١١] .

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٤٨-٤٩؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) أبو الفضل: "قضاة" ، ص ١٦٦.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٤٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٠.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٠.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٢٤٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٠.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٢٤٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١.

(٧) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٠؛ ويوضح ابن الفرضي أنه لم يفت زمن الحكم، بل أفتى زمن أبيه وابنه؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢.

(٨) ابن الآبار: التكملة، ج١٨؛ ص ١٧٠.

(٩) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢؛ عياض: ترتيب، ج٤،ص ١١٠.

(١٠) الخشني: أخبار، ص ٢٤٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١؛ ابن الآبار: التكملة، ج١٨، ص ١٧٠.

(١١) الخشني: أخبار، ص ٢٤٥؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١.

٢٣- يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس الليثي، يكنى أبا محمد[١]، وأصله من بربر مصمودة[٢]، لكن تسمية عائلته بالليثي تعود إلى انتسابه لبني ليث[٣]، ذلك أن وسلاس دخل الإسلام على يد يزيد ابن عامر الليثي، فانتسب لقبيلته في فترة وجود طارق بن زياد[٤]، ثم إن كثيراً جد يحيى دخل الإسلام فأكرم بتعيين ابنه يحيى قاضياً على الجزيرة الخضراء وشذونة زمن الأمير عبد الرحمن الداخل[٥] .

وبدأ يحيى بطلب العلم في الأندلس، وسمع من زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون ومن يحيى بن مضر القيسي، ثم رحل للمشرق وسمع من مالك بن أنس وأصحابه عبد الرحمن ابن القاسم وعبد الله بن وهب والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأنس بن عياض وغيرهم[٦]، كما سمع من نافع بن أبي نعيم القارئ والقاسم بن عبد الله العمري وعبد الله بن نافع، وحسين ابن ضمرة[٧] .

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٣٤٨؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٦؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٩ ؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٧٩؛ الضبي: بغية، ص ٥١٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٥؛ ابن خلكان: وفيات ، ج٦، ص ١٤١؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص ٥١٩؛ ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب، ١٣ج، الطبعة الأولى،مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، ج١١، ص ٣٠٠، وسيشار له: ابن حجر: تهذيب.

(٢) الخشني: أخبار، ص ٣٤٨؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٦؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٩ ؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٧٩ "من مضارة إحدى قبائل مصمودة البربرية"؛ الضبي: بغية، ص ٥١٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢ ، ص ٦٨٥؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص١٤٣؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٣؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٩.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٣٤٨؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٧٩؛ الضبي: بغية، ص ٥١٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال؛ ج٢، ص ٦٨٥؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦. ص ١٤٣ ؛ ابن سعيد: المغرب. ص ١٦٣؛ الذهبي: سير. ج١٠، ص ٥١٩.

(٤) عياض ترتيب، ج٣، ص ٣٧٩؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٣.

(٥) الخشني: أخبار، ص ٣٤٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٧٩.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٣٤٨-٣٤٩؛ ٣٥٨-٣٥٩؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٦؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٩؛ ابن حيان. المقتبس من أنباء، ص ٢١٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٨٠-٣٨١ (وهو الذي شجعه على طلب العلم)؛ الضبي: بغية، ص ٥١٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٥؛ ابن خلكان:وفيات ، ج٦، ص ١٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٣؛ الذهبي: سير، ج١، ص ٥٢٠-٥٢٤؛ ابن خلدون: تاريخ،ج٧، ص ٦٨٨؛ ابن حجر: تهذيب، ج١١، ص ٣٠١؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٠.

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٦؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٩؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٨١؛الضبي: بغية، ص ٥١٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٥؛ الذهبي: سير، ج١، ص ٥٢٠.

وعاد لقرطبة بعلم جم غزير، فقد سمع من الكثيرين، خصوصاً مالكاً الذي لقبه بعاقل الأندلس[١]، بعد أن لازمه وروى الموطأ عنه، حتى قيل بأن الموطأ في الأندلس نسب إليه "موطأ يحيى ابن يحيى الأندلسي"[٢]. لذا، لا نستغرب أنه استلم الفتيا مباشرة بعد الفقيه عيسى بن دينار[٣]، ونشر فقهه المالكي بسرعة كبيرة مستخدماً سلاح الرئاسة والسلطان في ذلك، فلم يكن يعين أي قاضٍ أو فقيه في الأندلس إلا بمشورته[٤]، ولم يكن يقترح أي اسم إلا من أصحابه، فأقبل الناس سراعاً على اتباع مذهبه[٥] لتحقيق مصالحهم من خلاله على الأرجح.

واستطاع يحيى بفترة زمنية وجيزة أن يحقق لنفسه مكانة عظيمة في الأندلس زمن الأمير هشام[٦]، ثم في زمن حفيده الأمير عبد الرحمن الذي كان يجله ويعظمه ويحترمه ويبره، كما يفعل الابن البار بالأب الحاني[٧]، وكان لا يستقضي قاضياً ولا يعقد عقداً ولا يمضي في الديانة أمراً إلا بعد مشاورته فيه[٨]، وذلك من شدة حبه له وثقته به[٩] منذ كان صغيراً، وهو الذي توسط له عند أبيه الحكم بأن يعفو عنه ويعيده لقرطبة[١٠] بعد

---

(١) الخشني:أخبار،ص ٣٥٨؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢،ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء،ج٢،ص١٨٠؛ابن حيان: المقتبس من انباء، ص٢١٩؛وسبب إطلاق هذا اللقب عليه يعود إلى أنه في اثناء حضوره لجلسة علم عند أستاذه مالك جاء فيل للمنطقة فخرج الطلاب لرؤيته إلا يحيى، فسأله مالك: لماذا لم تخرج لرؤيته وهو غير موجود في بلادكم، فأجابه يحيى: بأنني لم أرحل لأبصر الفيل،وإنما رحلت للتعلم منك، فأعجب مالك برده وأطلق عليه اللقب "عاقل الأندلس".انظر أيضا:عياض: ترتيب،ج٣، ص٣٨٢-٣٨٣؛ الضبي: بغية،ص٥١٠-٥١١ ؛الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال،ج٢،ص٦٨٥؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص١٤٤؛ ابن سعيد:المغرب،ص١٦٣؛ الذهبي:سير،ج١٠،ص٥٢١؛ابن حجر:تهذيب،ج١١،ص٣٠١؛المقري:نفح،ج٢، ص٩.

(٢) ابن خلدون:تاريخ:ج٧،ص٦٨٥.وقد رحل يحيى مرتين لقي مالك في الأولى وسمع منه، لكن في الثانية شهد جنازته؛الخشني: أخبار،ص٣٥٩؛ ابن الفرضي: تاريخ،ج٢،ص١٧٧؛ تاريخ العلماء،ج٢،ص١٨٠؛عياض ترتيب،ج٣، ص ٣٨١.

(٣) الخشني:أخبار،ص٣٤٨؛ ابن الفرضي:تاريخ،ج٢،ص ١٧٧، ١٧٩؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص١٨٠؛ عياض ترتيب، ج٣، ص ٣٨١؛ ابن خلكان:وفيات،ج٦،ص١٤٥؛الذهبي:سير،ج١٠،ص٥٢٠-٥٢٢؛ابن حجر:تهذيب،ج١١،ص٣٠١؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٠-١١.

(٤) الضبي:بغية،ص٥١١؛الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال،ج٢،ص٦٨٦؛ابن خلكان:وفيات،ج٦،ص١٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٤؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٠.

(٥) ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٤-١٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٤؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص ٥٢٤.

(٦) ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٣؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٩

(٧) الخشني:أخبار،ص٣٦٢؛ ابن القوطية:تاريخ،ص٨٠؛ ابن حيان.المقتبس من أنباء،ص١٨٠؛ عياض: ترتيب،ج٣،ص ٣٨٢.

(٨) الخشني:أخبار،ص٣٦٢؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص١٨٠؛ ابن سعيد: المغرب،ص١٦٤؛ وانظر الهامش رقم (٤).

(٩) الخشني: أخبار، ص ٣٦٥.

(١٠) المصدر السابق: ص ٣٦١.

مشاركته بثورة الربض، فعفا عنه وأعاده[١].

وبالمقابل، لم ينكر يحيى هذا الجميل، فكان يقدر الأمير ويحمد سيرته، ويكثر وصف عدله وحسن عمله أمام الناس، ويحثهم على طاعته ومساعدته في أي شيء يريده[٢].

وقد رفض يحيى رفضاً باتاً وقاطعاً تسلم منصب القضاء بالرغم من استمراره في تعيين القضاة وعزلهم[٣]، فعظمت رتبته عن القضاء، وكان أعلى من القضاة قدراً عند الأمراء في الأندلس[٤]، فهو "إمام وقته، وواحد بلده"[٥]، و "نال من الرئاسة والحرمة ما لم يبلغه أحد"[٦]، ذلك أنه كان عالماً، فقيهاً، عاقلاً، بليغاً، حليماً، نزيهاً، زاهداً، عفيفاً، عادلاً لا تأخذه في الله لومة لائم، صاحب هيبة وقدر كبير[٧].

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٣٦٠-٣٦١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٨١؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٩؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٦؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣١؛ ج١٠، ص ٥٢٣-٥٢٤.

(٢) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٨٠.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٣٦٢؛ الخشني: قضاة، ص ٥-٧، ٣٦، ٥١؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٧٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٨٢؛ الضبي: بغية، ص ٥١١؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٩-١٥٠، ١٦٤؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص ٥٢٤؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٠.
وتمثلت وجهة نظره في أن وضعه الذي هو عليه أفضل من تسلمه القضاء، فإذا ما اشتكى أحد على القضاة فإلى أين يذهب؟؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٨٢.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٨٠؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٨٢؛ الضبي: بغية، ص ٥١١، الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٦؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٤، المقري: نفح، ج٢: ص ١٠.

(٥) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٨٠؛ ابن خلكان. وفيات، ج٦ ؛ ص١٤٥؛ الذهبي: سير. ج١٠، ص ٥٢٣؛ ابن حجر: تهذيب، ج١١، ص ٣٠١؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٠

(٦) الذهبي: سير، ج١، ص ٥٢٠.

(٧) الخشني: أخبار، ص ٣٥٨-٣٥٩، ٣٦٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٨٨، الضبي. بغية، ص ٥١١؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٦؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٤-١٤٦؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٤؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص ٥٢٣-٥٢٤، المقري: نفح، ج٢، ص ١٠-١١. ولأن يحيى صاحب هيبة، قال دوزي بأنه صاحب كبرياء وعظمة يحب الهيمنة ويسعى للسلطة؛ Dozy: Histoire, P. 287. وفي هذا خطأ واضح في التفسير لمفهوم الهيبة واعتزاز المسلم بشخصيته، فهذا مطلوب منا نحن المسلمين إذا تمثلنا شريعتنا الإسلامية، وعلينا أن نتمثل أخلاقنا الإسلامية في ربط اعتزازنا بأنفسنا بالتواضع حتى لا نصل إلى مرحلة الكبرياء التي نهانا الله عنها.

وروى عن الفقيه يحيى ابناه عبيد الله وإسحاق، ومحمد بن وضاح، وبقي بن مخلد، وزياد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن، ومحمد بن أحمد العتبي، وإبراهيم بن محمد بن باز، وعمر بن موسى الكتاني، وعبد المجيد بن عفان البلوي، وعبد الأعلى بن وهب، وعبد الرحمن ابن أبي مريم السعدي، ومطرف بن عبد الرحمن، وعمر بن موسى، وإبراهيم بن شعيب، وأصبغ بن الخليل، وغيرهم كثير[١].

وتوفي الفقيه يحيى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م[٢]، وقيل: ٢٣٣هـ/٨٤٧م[٣]، وقيل: ٢٣٦هـ/٨٥٠م[٤]، والأولى هي الأرجح لإجماع المؤرخين عليها، ودقة تحديد بعضهم لليوم والشهر (رجب) الذي تم فيه ذلك، وقد صلى على جنازته القاضي محمد بن زياد اللخمي وابنه إسحاق بعد خلاف بينهما[٥]، ودفن في مقبرة ابن عباس بقرطبة[٦]. فاستراح القضاة من همه[٧] لكثرة عزله لهم، وتحققت أمنية الكثيرين ممن غضبوا عليه نتيجة شدة حكمه عليهم، في فتاويه[٨].

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٨٠؛ عياض: ترتيب، ج٢، ص ٣٨١،٣٨٣؛ الضبي: بغية، ص ٥١١؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٦؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) الخشني: أخبار، ص ٣٦٧؛ الخشني: قضاة، ص ٥٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٨٠؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٣؛ الضبي: بغية، ص ٥١٢؛ الضبي. بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٨٦؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٦؛ ابن سعيد:المغرب، ص ١٦٤، الذهبي: سير، ج١٠، ص ٥٢٤؛ ابن حجر: تهذيب، ج١١، ص ٣٠١؛ المقري: نفح، ج٢، ص٩. وقد بلغ من العمر اثنين وثمانين سنة؛ الخشني: أخبار، ص ٣٦٧؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٨؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٣؛ بذلك تكون ولادته سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م.

(٣) الخشني. أخبار، ص ٣٦٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١١٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٨٠؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٣؛ الضبي: بغية، ص ٥١٢؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٦؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص٥٢٤؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٩.

(٤) ابن حجر: تهذيب، ج١١، ص ٣٠١.

(٥) الخشني: قضاة، ص ٥٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٣.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٣٨٧، وذكر ابن خلكان بأن اسمها مقبرة ابن عياش؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص ١٤٦.

(٧) ابن عذاري: البيان ، ج٢، ص ٨٩.

(٨) الخشني: أخبار، ص ٣٦٤.

٢٤- سعيد بن حسان الصانع (الصائغ): يكنى أبا عثمان، وهو من أهل قرطبة[١]، والده عتيق للأمير الحكم[٢]، وهو مولى له[٣]، تعلم في قرطبة ثم رحل للمشرق سنة ١٩٧هـ/٨١٢م، والتقى بأصحاب مالك أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الرحمن بن عبد الحكم، فسمع منهم وروى عنهم[٤]. ولما عاد لقرطبة سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م[٥]، تقرب من الفقيه يحيى الليثي وتوطدت علاقته به، حتى أصبح مشاوراً مثله[٦]، وساعده على ذلك أنه كان: عالماً في الفقه والحديث، عابداً، ورعاً، زاهداً، فاضلاً[٧]، وكان له ابنة وضعت مع إحدى بنات الحكم، فزوجها الحكم من أحد أقاربه[٨]. لذا، فقد كثرت المنح والهدايا لسعيد، وكان يأخذها فانتقده الناس[٩]. وتوفي سعيد سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م[١٠].

٢٥- قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران بن مالك القيسي: يكنى أبا محمد، وهو من أهل قرطبة[١١]، وبها تعلم، ثم رحل للمشرق والتقى بأصحاب مالك عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن

---

(١) الخشني. أخبار، ص ٣١٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٦٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٩١؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٥٦؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١؛ الضبي: بغية، ج٢، ص ٣٩٣.

(٢) الخشني: أخبار، ص ٣١٧، وكان الحكم يحبه ويثق به.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٦٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٩١؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٥٦؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٣١٧؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٦٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٩١؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٥٦؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١؛ الضبي: بغية، ص ٣٠٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٣٩٣.

(٥) الخشني. أخبار، ص ٣١٧؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١؛ وقيل عاد سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م؛ الضبي: بغية الملتمس من تاريخ رجال، ج٢، ص ٣٩٣.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٣١٨؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٦٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٩١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٢.

(٧) الخشني أخبار، ص ٣١٧؛ ٣١٩؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٦٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٩١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١١-١١٢؛ الضبي: بغية، ص ٣٠٧؛ الضبي. بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٣٧٣.

(٨) الخشني: أخبار، ص ٣١٨.

(٩) المصدر السابق: ص ٣١٨.

(١٠) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٦٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٩١؛ الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٥٧؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٣؛ الضبي: بغية، ص ٣٠٨.

(١١) الخشني:أخبار،ص٣٠١؛ ابن الفرضي:تاريخ،ج١،ص٣٥٥؛ تاريخ العلماء،ج١،ص٣٩٧، (قاسم بن هلال بن فرقد بن عمر القيسي)؛ عياض: ترتيب،ج٤،ص١١٨؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال،ج٢،ص٥٩٤.

وهب فسمع منهم وروى عنهم[1].

واتصف قاسم بأنه كان عالماً، عاقلاً، ورعاً، فاضلاً، كثير العمل[2]، وقد طلب منه الأمير الحكم توزيع بعض الأموال على المحتاجين[3]، وتوفي سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م[4].

٢٦- علكدة بن نوح بن اليسع بن محمد بن اليسع بن شعيب بن جهم بن عبادة الرعيني، من أهل قرطبة، رحل للمشرق والتقى بأصحاب مالك عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وسحنون بن سعيد، وسمع منهم وروى عنهم، ثم عاد لقرطبة وتوفي فيها مسجوناً سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م[5].

٢٧- عبد الملك بن حبيب بن ربيع بن سليمان بن هارون بن جلهمة (جماهة) بن عباس بن مروان السلمي[6]، يكنى أبا مروان، وهو مولى لبني سليم[7]، أصله من البيرة[8]، وقد نقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة[9]، فعاش وطلب العلم فيها، وسمع من زياد بن عبد الرحمن المعروف

---

[1] الخشني:أخبار،ص٣٠١؛ ابن الفرضي: تاريخ،ج١،ص٣٥٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٩٧؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٨.

[2] الخشني: أخبار، ص ٣٠١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٥٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٩٧ ؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٨-١١٩.

[3] الخشني: أخبار، ص ٣٠١.

[4] المصدر السابق: ص ٣٠١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٥٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٩٧ ؛ عياض: ترتيب،ج٤،ص١١٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال،ج٢،ص٥٩٤. وذكر البعض أن وفاته كانت سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م؛ ابن الفرضي: تاريخ،ج١،ص٣٥٥؛ تاريخ العلماء، ج١، ص٣٩٧؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٩.

[5] ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٤٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٨٥-٣٨٦؛ عياض: ترتيب، ج٤ ،ص ٤٥٣؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٧١.

[6] الخشني: أخبار، ص ٢٤٥؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٦٩؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٢ ؛عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٢؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٩٠.

[7] ابن الفرضي:تاريخ،ج١،ص٢٦٩؛ تاريخ العلماء،ج١،ص٣١٣؛عياض:ترتيب،ج١،ص١٢٢؛الضبي:بغية،ص ٣٧٧.

[8] الخشني:أخبار،ص٢٤٥؛ عياض: ترتيب،ج٤،ص١٢٣. وقيل أصله من طليطلة؛ الزبيدي:طبقات،ص ٢٦٠؛عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٣.

[9] عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٣.

بشبطون والغازي بن قيس وصعصعة بن سلام[١]، ثم رحل للمشرق سنة ٢٠٧-٢٠٨هـ/٨٢٢-٨٢٣م، والتقى بأصحاب مالك عبد الرحمن بن القاسم وأسد بن موسى وإبراهيم بن المنذر وعبد الله بن موسى ومطرف بن عبد الله المدني وعبد الرحمن بن عبد الحكم وعبد الله بن نافع، فسمع منهم وروى عنهم[٢].

وعاد لقرطبة سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م وصار مشاوراً مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان، وأصبحت له مكانة عند الأمير عبد الرحمن[٣]، ذلك أنه كان فقيهاً، حافظاً للرأي على مذهب مالك، عالماً بالشرع واللغة والأدب والشعر والتاريخ والطب[٤]، وصاحب تآليف كثيرة متنوعة بلغت قريبا من ألف وخمسين، منها: إعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ، وتفسير الموطأ، وشرح الحديث، وغريب الحديث، وطبقات الفقهاء والمحدثين، وفضائل الصحابة، والفضائل، والمغازي، وحروب الإسلام، والحسبة في الأمراض وغيرها[٥]. لذا، فقد اطلق عليه لقب عالم الأندلس[٦]. وروى عن عبد الملك ابناه محمد وعبد الله، وسعيد بن نمير وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شعيب، ومحمد بن فطيس، ويوسف بن يحيى المغامي، ومطرف بن قيس وبقي بن مخلد وغيرهم[٧].

(١) الخشني: أخبار، ص ٢٤٥؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٣؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٣.

(٢) الخشني: أخبار، ص ٢٤٦؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٣؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٣؛ الضبي: بغية، ص ٣٧٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٩٠-٤٩١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص ٥٦٩.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٤٦؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٣؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٨٣؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٣.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٢٤٦؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧٠، ٢٧٢، تاريخ العلماء، ج٢، ص ٣١٣، ٣١٥؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٨٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٢٤-١٢٩؛ الضبي: بغية، ص ٣٧٧

(٥) ابن القوطية: تاريخ، ص ٢٣ (من المقدمة)؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٦٠؛ ابن الفرضي تاريخ، ج١، ص ٢٧٠؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٣؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٨٥؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص١٢٧-١٢٩؛ الضبي: بغية، ص ٣٧٧.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٢٤٦؛ الزبيدي: طبقات، ص ٢٦٠؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧١؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٥؛ الضبي: بغية، ص ٣٧٨؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٧.

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٥؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص١٢٣؛ الضبي: بغية، ص ٣٧٨.

وتوفي عبد الملك سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م[1] على الرغم من أن بعضهم قال: سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م[2].

ونستطيع أن نجزم بوجود هؤلاء الفقهاء والعلماء في أثناء وقوع ثورة الربض، ذلك أن سنوات وفاتهم كانت قبل سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م، أي في نهاية فترة حكم الأمير عبد الرحمن بن الأمير الحكم الربضي، وهي أقرب ما تكون إلى فترة حكم أبيه، فممن ذكرناهم قد شارك في الثورة، ومنهم من لم يشارك، ومنهم من تعامل مع الأمير الحكم ببعض الأحداث التي وقعت في عهده، كما أنه ما من شخص يصل لمرحلة الفتيا أو يصبح فقيهاً إلا وقد زاد عمره على خمس وعشرين سنة، فيكونون بذلك قد عاصروا الحدث الذي نحن بصدده مع اختلاف عمر كل واحد منهم.

ويضاف لهم بعض من لم نستطع أن نحدد سنة وفاته، تحديداً دقيقاً مع تيقننا بوجوده زمن الحكم وابنه عبد الرحمن، وهم:

٣٠- سوار بن طارق: مولى الأمير عبد الرحمن الداخل، من أهل قرطبة، أدب الأمير الحكم[3].

٣١- حاتم بن سليمان بن يوسف بن أبي مسلم الزهري: من سكان حي الخياطين بقرطبة، لقي عثمان بن عيسى بن كنانة، وروى عنه ما سمعه من مالك، وشاهده الأمير الحكم ذات مرة وألقى عليه السلام[4].

٣٢- حبيب بن الوليد بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك، من أهل قرطبة، رحل للمشرق أيام الأمير عبد الرحمن، وتوفي بعد المئتين[5].

٣٣- محمد بن عيسى بن دينار: من أهل قرطبة، حضر افتتاح إقريطش سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م واستوطنها، وهو فقيه زاهد[6].

---

(1) الخشني: أخبار، ص ٢٥٤؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣١٥؛ ابن خاقان: مطمح، ص ٢٣٥؛ الضبي: بغية، ص ٣٧٧؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٧.

(2) الضبي: بغية، ص ٣٧٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤٩١. واختلف في عمره. فقال الخشني والضبي بأنه ثلاث وخمسون سنة، وقال ابن الفرضي بأنه أربع وستون سنة، الخشني: أخبار، ص ٢٥٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٤٩١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٢٧٢؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ٣١٥. ومهما يكن من أمر فقد عاصر الأمير الحكم

(3) المقري: نفح، ج٢، ص ٤٦

(4) الخشني: أخبار، ص ٨٠.

(5) المقري: نفح، ج٢، ص ٥٠٢-٥٠٣.

(6) المصدر السابق: ج٢، ص ١٤٩.

٣٤- محمد بن خالد الأشج: واحد من الذين كانت تدور عليهم الفتيا أيام الأمير الحكم[1].

٣٥- زونان بن الحسن: واحد من الذين كانت تدور عليهم الفتيا أيام الأمير الحكم[2].

٣٦- يوسف بن مطروح الربضي: فقيه مالكي، كان موجوداً بقصر الأمير الحكم في أثناء ثورة الربض[3].

٣٧- يحيى بن يزيد الأزدي: من أهل قرطبة، وهو إمام الفقيه زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون[4].

٣٨- داود بن جعفر الصغير التميمي: من أهل قرطبة، رحل للمشرق، ولقي الإمام مالكاً وأصحابه عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وسفيان بن عيينة ومعاوية بن صالح، فسمع منهم وروى عنهم، بالإضافة إلى سماعه وروايته بالأندلس عن محمد الأعشى وحسين بن عاصم[5].

٣٩- إبراهيم بن العباس بن عيسى بن عمر، يكنى أبا إسحاق وأبا العباس، من أهل قرطبة، ولي القضاء مرتين زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم، الأولى سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م، والثانية سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م، وهو عالم، عاقل، صالح، فاضل[6].

وقد ورد أشهر هؤلاء الفقهاء والعلماء في كتاب التاريخ لابن حبيب، فقال:

" كان لأهل الأندلس بعد التابعين رجال أهل فقه وعلم وحلم ومروءة وفضل بين ظاهر، ثم يكونوا بدون غيرهم من أهل طبقة زمانهم، منهم زياد بن عبد الرحمن اللخمي، ويحيى بن مضر القيسي ومحمد بن سعيد السبائي وقرعوس بن عباس الثقفي ويحيى بن يحيى الليثي وحسين بن عاصم الثقفي وعيسى بن دينار الغافقي وإسماعيل بن البشر التجيبي وحارث بن ابي سعد الأموي ومحمد بن عيسى المعروف بالأعشى.

ومن أهل الحديث: غازي بن قيس وصعصعة بن سلام وعامر بن أبي جعفر بن عبد الرحمن بن موسى رحمهم الله جميعاً[7].

---

(١) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٨٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧٩.

(٣) الضبي: بغية، ص ٤٩٢-٤٩٣؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٦٦٤

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٥؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٨.

(٥) عياض: ترتيب، ج٢، ص ١٨٩؛ ج٣، ص ٣٤٦.

(٦) ابن الآبار: التكملة، ج١٨، ص ١٦٩.

(٧) ابن حبيب: التاريخ، ص ١٧٨. وهؤلاء جميعهم ماتوا قبله.

وللاطمئنان إلى من نعتقد بوجودهم من الفقهاء والعلماء في فترة الحكم، الذين عاشوا حتى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، أي بلغوا من العمر أكثر من سبعين عاماً، نورد الأسماء التالية:

١- محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي ابن الفقيه المعروف بشبطون، تولى قضاء قرطبة سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م أو ٢٣٤هـ/٨٤٨م زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم[١]، وولي الصلاة بعهد ابنه الأمير محمد[٢]، وتوفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م[٣].

٢- حاتم بن سليمان بن يوسف بن أبي مسلم الزهري، قرطبي، عالم، فقيه، تقي، ورع، زاهد، فاضل ، متواضع، رحل للمشرق مع محمد الأعشى وحارث بن أبي سعيد، وربما توفي قبل ٢٤٠هـ/٨٥٤م[٤] .

٣- يحيى بن يزيد التجيبي: تولى القضاء في الأندلس، وتوفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م[٥].

٤- عثمان بن أيوب بن أبي الصلت، أبو سعيد القرطبي، عالم، ورع، فاضل، حسن الخلق، عفيف، سمع من يحيى الليثي والغازي بن قيس وأصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد، وتوفي في الفترة بين ٢٣٨ و ٢٤٦هـ/٨٥٢-٨٦٠م[٦].

٥- إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل، أبو إسحاق، من أهل قرطبة، عالم، فقيه، صاحب تفسير، قوي عادل، سمع من سحنون بن سعيد، وعلي بن سعيد، وولي الشرطة للأمير محمد، وتوفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م[٧].

٦- إبراهيم بن حسين بن خالد، قرطبي، محدث، توفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م[٨].

٧- زهير بن مالك البلوي، من فقهاء المذهب الأوزاعي، وتوفي قبل ٢٥٠هـ/٨٦٤م[٩].

---

(١) الخشني: القضاة، ص ٥٧-٦١؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ١٧٧-١٧٩؛ الحميدي: جذوة، ج٢، ص ١٠٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ١٠٦؛ النباهي: تاريخ، ص ٥٥-٥٦.

(٢) الحميدي: جذوة، ج٢، ص ١٠٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ١٠٦.

(٣) الضبي: بغية الملتمس في تاريج رجال، ج١، ص ١٠٦.

(٤) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٤.

(٥) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٤؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٧.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٢٨١-٢٨٢؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٠٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٤٥-٣٤٦؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٢٤٢، ٢٤٥؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٣٥.

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٨؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٢٤٢-٢٤٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٢٦٤.

(٨) الحميدي: جذوة، ج٤، ص ٢٣٨.

(٩) المصدر السابق: ج٦، ص ٣٤٣؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٧٦.

وممن عاشوا بعد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م وكانوا موجودين أو نعتقد بوجودهم زمن الأمير الحكم:

٨- أصبغ بن الخليل، يكنى أبا القاسم، من أهل قرطبة، سمع من فقهاء الأندلس يحيى بن مضر، ويحيى الليثي وعيسى بن دينار ومحمد الأعشى والغازي بن قيس، وقد شهد له يحيى الليثي وسعيد بن حسان، فدارت عليه الفتيا في الأندلس خمسين سنة، وكان فقيهاً، حافظاً للرأي، حسن القياس والتمييز، توفي سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م وتراوح عمره بين ٨٧ و ٩٣ سنة[١]. وبذلك، يكون قد ولد في السنوات بين ١٨٠و ١٨٦هـ/٧٩٦-٨٠٢م.

٩- عثمان بن المثنى، من أهل قرطبة، أدب أولاد الأمير عبد الرحمن بن الحكم وابنه الأمير محمد، توفي سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م وعمره تسع وتسعون سنة[٢]. وبذلك، تكون ولادته سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م.

١٠- صباح بن عبد الرحمن بن الفضل بن عميرة، يكنى أبا الفضل، من أهل تدمير، روى عن يحيى ابن يحيى الليثي وعبد الملك بن حبيب وزونان وأصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد، وتوفي في السنوات بين ٢٩٤ و ٢٩٧هـ/٩٠٦-٩٠٩م وعمره بين ١٠٥ و ١١٨ سنة[٣]. وبذلك، تكون ولادته في السنوات بين ١٩٢ و ١٩٩هـ/٨٠٧ - ٨١٤م.

١١- نصر الجهني، والد المحدث إبراهيم وأخيه محمد، من أهل قرطبة، هرب لسرقسطة بعد ثورة الربض[٤]

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٣٤-٣٨، ابن الفرضي تاريخ، ج١، ص ٧٧؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٩٤؛ الحميدي: جذوة، ج٥، ص ٢٦٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٢٥٠-٢٥٢؛ الضبي: بغية، ص ٢٤٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٤٦

(٣) الحميدي: جذوة، ج٦، ص ٣٦٠؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٤٦١-٤٦٢؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٤١٩.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٠، وعن ابنه ابراهيم انظر: ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٩، ١٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٠-٢١؛ الحميدي: جذوة، ج٤، ص ٢٤٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٢٧٥.

١٢- حفص بن عبد السلام السلمي، يكنى أبا عمر، من سرقسطة، رحل للمشرق وسمع من الإمام مالك، صاحب علم غزير، كان الأمير الحكم يستقدمه في كل عام بشهر رمضان ليؤم المسلمين[١] .

إن ما قصدنا من سردنا للمعلومات السابقة أن نتعرف الفقهاء قبل الخوض في تفاصيل الدوافع التي دفعت من شارك منهم بالثورة لفعل ذلك، وكيفية مشاركته والمصير الذي لقيه، ثم من لم يشارك، وما مسوغات عدم مشاركته؟. وهل انضم للأمير الحكم ضد الفقهاء؟ أو بقي محايداً؟ أو شارك مع كلا الطرفين بطريقة أو بأخرى؟ وما حكم الشرع في كل هذا؟.

(١) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١١٨؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ١٣٩؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٤.

القضاة في قرطبة ومصر وسنوات تقلدهم في فترة إمارة الحكم بن هشام

الرقم	قضاة قرطبة	السنوات
١-	مصعب بن عمران	١٧٢- هـ /٧٨٨- م
٢-	محمد بن بشير	١٩٨هـ / ٨١٣م
٣-	صعصعة بن سلام	١٩٨هـ / ٨١٣م
٤-	عبد الرحمن بن موسى اهواري	١٩٨هـ / ٨١٣م
٥-	سعيد بن محمد	١٩٨هـ / ٨١٣م
٦-	الفرج بن كنانة	١٩٨-٢٠٠هـ / ٨١٣-٨١٥م
٧-	قطن بن جزء بن اللجلاج	٢٠٠هـ / ٨١٥م
٨-	بشر بن قطن	٢٠٠-٢٠١هـ / ٨١٥-٨١٦م
٩-	عبيد الله بن موسى	٢٠١-٢٠٤هـ / ٨١٦-٨١٩م
١٠-	حامد بن محمد الرعيني	٢٠٤-٢٠٧هـ / ٨١٩-٨٢٢م
الرقم	قضاة مصر	السنوات
١-	محمد بن مسروق الكندي	١٧٧-١٨٤هـ/٧٩٣-٨٠٠م
٢-	اسحاق بن الفرات التجيبي	١٨٤-١٨٥هـ/٨٠٠-٨٠١م
٣-	عبد الرحمن بن عبد الله المحبر	١٨٥-١٩٤هـ/٨٠١-٨٠٩م
٤-	هاشم بن ابي بكر البكري	١٩٤-١٩٦هـ/٨٠٩-٨١١م
٥-	ابراهيم بن البكاء	١٩٧هـ/٨١٢م
٦-	هيعة بن عيسى الحضرمي	١٩٧-١٩٨هـ/٨١٢-٨١٣م
٧-	الفضل بن غانم	١٩٨هـ/٨١٣م
٨-	هيعة بن عيسى	١٩٩-٢٠٤هـ/٨١٤-٨١٩م
٩-	ابراهيم بن اسحاق القاري	٢٠٤هـ/٨١٩م
١٠-	ابراهيم بن الجراح	٢٠٤-٢١١هـ/٨١٩-٨٢٦م

الفقهاء الذين عاصروا الأمير الحكم وسنوات وفاة بعضهم

الرقم	الاســـــــــم	سنـة الوفـاة
١-	يحيى بن مضر القيسي	١٨٩هـ/٨٠٤م
٢-	الغازي بن قيس	١٩٩هـ/٨١٤م
٣-	سعيد بن ابي هند	٢٠٠هـ/٨١٥م
٤-	عبد الرحمن بن دينار	٢٠١هـ/٨١٦م
٥-	ريد بن الحباب بن الريان	٢٠٣هـ/٨١٨م
٦-	زياد بن عبد الرحمن (شبطون)	٢٠٤هـ/٨١٩م
٧-	طالوت بن عبد الجبار المعافري	٢٠٤-٢٠٥هـ/٨١٩-٨٢٠م
٨-	محمد بن سعيد السبائي	٢٠٦هـ/٨٢١م
٩-	حسين بن عاصم الثقفي	٢٠٨هـ/٨٢٣م
١٠-	عيسى بن دينار الغافقي	٢١٢هـ/٨٢٧م
١١-	شبطون بن عبد الله الانصاري	٢١٢هـ/٨٢٧م
١٢-	أحمد بن زكريا بن يحيى	٢١٨هـ/٨٣٣م
١٣-	قرعوس بن العباس	٢٢٠هـ/٨٣٥م
١٤-	محمد بن عبد الله الحضرمي	٢٢٠هـ/٨٣٥م
١٥-	محمد بن خالد بن مرتنيل	٢٢٠هـ/٨٣٥م
١٦-	محمد بن عيسى المعافري (الأعشى)	٢٢٠هـ/٨٣٥م
١٧-	حارث بن أبي سعد	٢٢١هـ/٨٣٦م
١٨-	يحيى بن معمر الالهاني	٢٢٦هـ/٨٤٠م
١٩-	اسماعيل بن بشر التجيبي	٢٢٦هـ/٨٤٠م
٢٠-	عبد الرحمن بن الفضل بن عميرة	٢٢٧هـ/٨٤١م
٢١-	الاسوار بن عقبة الفهري	٢٢٩هـ/٨٤٣م
٢٢-	عبد الملك بن الحسن (زونان)	٢٣٢هـ/٨٤٦م
٢٣-	يحيى بن يحيى الليثي	٢٣٤هـ/٨٤٨م
٢٤-	سعيد بن حسان الصائغ	٢٣٦هـ/٨٥٠م
٢٥-	قاسم بن هلال القيسي	٢٣٧هـ/٨٥١م
٢٦-	علكدة بن نوح الرعيني	٢٣٧هـ/٨٥١م
٢٧-	عبد الملك بن حبيب	٢٣٨هـ/٨٥٢م
٢٨-	محمد بن زياد اللخمي	٢٤٠هـ/٨٥٤م
٢٩-	حاتم بن سليمان الزهري	٢٤٠هـ/٨٥٤م
٣٠-	يحيى بن يزيد التجيبي	٢٣٨-٢٤٦هـ / ٨٥٢-٨٦٠م

الرقم	الاســـــــم	ســـنة الوفـــاة
٣١-	ابراهيم بن حسين بن مرتنيل	٢٤٩هـ/٨٦٣م
٣٢-	ابراهيم بن حسين بن خالد	٢٤٩هـ/٨٦٣م
٣٣-	زهير بن مالك البلوي	٢٥٠هـ/٨٦٤م
٣٤-	أصبغ بن الخليل	٢٧٣هـ/٨٨٦م
٣٥-	عثمان بن المثنى	٢٧٣هـ/٨٨٦م
٣٦-	صباح بن عبد الرحمن بن عميرة	٢٩٤-٢٩٧هـ / ٩٠٦-٩٠٩م
٣٧-	سوار بن طارق	
٣٨-	حاتم بن سليمان الزهري	
٣٩-	حبيب بن الوليد بن عبد الملك	
٤٠-	محمدبن عيسى بن دينار	
٤١-	محمد بن خالد الأشج	
٤٢-	زونان بن الحسن	
٤٣-	يوسف بن مطروح الربضي	
٤٤-	يحيى بن يزيد الأزدي	
٤٥-	داوود بن جعفر التميمي	
٤٦-	ابراهيم بن العباس	
٤٧-	نصر الجهني	
٤٨-	حفص بن عبد السلام	

الفصل الثالث

ثورة الربض في قرطبة

عندما نتحدث عن ثورة الربض في قرطبة، فإننا نتناول واحدة من الثورات الكبيرة التي وقعت في ربض شقندة القبلي زمن الأمير الحكم بن هشام، غير أن ما يميز هذه الثورة عن غيرها من الثورات التي ذكرناها سابقاً، أنها ليست ثورة واحدة مؤقتة اندلعت نيرانها وانطفأت مباشرة، بل هي ثورات متوالية حملت نفس الشعار وامتدت سنوات متفرقة في عهد الأمير الحكم؛ لذا، فقد اضطربت المصادر في تناولها والحديث عنها، لاعتقاد معظم المؤرخين بأنها ثورة واحدة اختلفوا في توقيت اندلاعها في السنوات: ١٨٧هـ/٨٠٢م[١]، و ١٨٩هـ/٨٠٤م[٢]، و ١٩٠هـ/٨٠٥م[٣]، و ١٩١هـ/٨٠٦م[٤]، و ١٩٨هـ/٨١٣م[٥]، و ٢٠٢هـ/٨١٧م[٦].

وعدم الاتفاق في تحديد سنة اندلاع الثورة لا يعني بالضرورة الاختلاف في أسباب اندلاعها، فهي متشابهة إلى حد ما، لكن، يشوبها نوع من الخلط والتداخل، فهناك أسباب عامة تمهد لقيام أية ثورة، وأسباب خاصة مباشرة تشعل فتيلها وتسرع في اندلاعها، ومن الصعوبة بمكان فصل الأسباب العامة لثورات الربض فصلاً دقيقاً، لأنها امتداد متصل لبعضها.

ولتوضيح ذلك بنوع من التسلسل، لا بد من الاتفاق على أنها ثلاث ثورات، اندلعت الأولى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م، والثانية سنة ١٩٠-١٩١هـ/٨٠٥-٨٠٦م، والثالثة سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م لإجماع

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٤؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢؛ الذهبي: تاريخ، ج٤، ص ١٦٢؛ Provencal: Histoire, P. 164.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١؛ النويري: نهاية، ج ٢٣، ص ٣٦٧؛ Dozy: Histoire, P. 296؛ Reino; Granada. Su: "Revista del Centro de Estudios Histoircos", Histoira De Espana y Africa, Por in Nucuairi, Num. 4, Tom VIII, 1918, P. 305؛ وسيشار له: Reino: Revista.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٠؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨؛ المقريزي: الخطط، ص ١٧٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

(٦) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٠٠؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ١٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧٠.

معظم المؤرخين على ذلك من جهة، ولتناسبها وتناسقها مع تسلسل الأحداث من جهة ثانية، ونعرض هذه الثورات كلاً على حده، موضحين أسباب كل منها ومجرياتها ونتائجها كما يلي:

ثورة الربض الأولى (١٨٩هـ/٨٠٤م):

اسبابها: تتمثل فيها الأسباب العامة لثورات الربض، مع الأسباب الخاصة المتعلقة بهذه الثورة، لأنها الأولى التي اندلعت ومهدت للثورات التي جاءت بعدها، ويمكن إجمال هذه الأسباب بما يأتي:

١- عدم رضى الفقهاء عن شخصية الأمير الحكم وسياسته في إدارة شؤون الدولة للأسباب التالية:

أ- استثناؤهم من المشاركة في إدارة شؤون الدولة دينياً وسياسياً، وتخليه عن سياسة أبيه هشام في تقريبهم وإكرامهم واستشارتهم والاعتماد عليهم[١]، مما جعلهم يحنقون عليه، خصوصاً عندما نفذ ذلك تنفيذاً عملياً، فلم يقلدهم مناصب إدارية، و لم يجعل القضاة يصدرون حكماً إلا بموافقة ضمنية منه[٢]. لذا، فقد تم تغيير أكثر من قاضٍ في سنة واحدة لعدم رضاهم عن هذا الحال، كما أنه لم يعد يستشيرهم في شؤون الدولة الحساسة، خصوصاً عندما فرض ضرائب إضافية على الشعب، وعين لجبايتها ربيع القومس أحد النصارى المعاهدين في قرطبة - كما سيتضح لنا بعد قليل - كل هذا؛ لأن الحكم لا يثق بأحد[٣]،

---

(١) الشقندي: رسالة، ص ٥٢-٥٣؛ عنان: دولة، ج١، ص٢٢٧، ٢٣٣؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٢؛ الشعراوي: أحمد ابراهيم "هياج الربض ثورة شعبية على الحكم الأموي الأندلسي"، ندوة الأندلس، الدرس والتاريخ، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، ١٤١٥هـ/١٩٩٤، "غير منشور"، ص ١٠-١١؛ وسيشار له: الشعراوي: "هياج الربض"؛ باشا: الأندلس، ج١، ص ١٠٨؛ الصوفي: تاريخ، ص ١٣٤؛ سالم: تاريخ، ص ٢٢٢-٢٢٣؛ العبادي: في التاريخ، ص ٣٣٠؛ بيضون: الدولة العربية، ص ٢٣٦، ٢٣٨؛ بدر: دراسات، ص ١١٩؛ علي: مختصر، ص ٣٩٦؛ شيبوب: صديق "جمهورية اندلسية بالاسكندرية"، مجلة الكتاب، دار المعارف للطباعة والنشر، مجلد ٧١؛ ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م، ص ٢٢٧؛ وسيشار له: شيبوب : "جمهورية"؛ رزوق: محمد "تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأقصى"، حوليات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحسن الثاني، المغرب، الدار البيضاء، العدد (٣)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ١٣٠؛ وسيشار له : رزوق: "تطور"؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٥٣١؛ بالنثيا: تاريخ، ص ٤؛ Dozy: Histoire, P. 287-288.

(٢) Provencal: Histoire, P. 150.

(٣) Amam : "Cordovan", P. 297.

ويحب هو نفسه أن يباشر شؤون بلاده[1] دون أن يشاركه أحد في اتخاذ القرار، كالحكم المركزي المطلق في أيامنا هذه، فسعى إلى تقليص نفوذ الفقهاء الذين صار لهم شأن كبير في عهده لحاجة أبيه وجده من قبله لهم لإضفاء الصبغة الشرعية على إمارتهم الجديدة، فكانوا يقربونهم بحذر دون إسناد مناصب قيادية وإدارية لهم موحين لهم بأهميتهم[2]، وهذا ما شعر الحكم بأنه ليس بحاجة إليه، فقد حصل على الصبغة الشرعية بوصفه أميراً، وثبتت أركان دولته، و لم تعد بحاجة لمن يدعمها بقدر ما هي بحاجة لمن يسيطر عليها ويحميها.

ب ـ إيثاره لمجالس الشعراء والمغنيين والفنانين على مجالس العلماء والفقهاء[3]، الذين بلغ عددهم في عهده حوالي أربعة آلاف[4]، وما كان لذلك من أثر في زيادة حنقهم عليه، في الوقت الذي كان يوقف كل من يريد ممارسة الإرشاد والنصح له عند حده، ويرفض سماع من يحاول التدخل في شؤونه الخاصة.

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٤٩، ٣٧٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٤؛ المقـري: نفح، ج١، ص ٣٤٢؛ الزركلي: خير الدين: الاعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ٨ج، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص ٢٦٨؛ وسيشار له: الزركلي: الاعلام؛ وبين ابن خلدون أن هذا شيء طبيعي لمن يتقلد الحكم وتغلب عصبيته على الجماعات الأخرى بقوله: "... وإذا تعين له ذلك فمن الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفه فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويجيء خلق التأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة في إنفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام... فتجدع حينئذ أنوف العصبيات... وتفرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الأمر لا ناقة ولا جملاً فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته وقد لا يتم ذلك إلا للسدول من ملوك الدولة وقد لا يتم إلا للثاني والثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها"؛ ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص ٢٠٩.

(٢) مؤنس: حسين: شيوخ العصر في الأندلس، المكتبة الثقافية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص ٩-١١، ١٣-١٤، ١٨؛ وسيشار له: مؤنس: شيوخ؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٣٩-٢٤١؛ لذا، فقد كان الفقهاء يحبونهم ويحترمونهم خصوصاً الأمير هشام، الذي كانت السمة الدينية غالبة عليه، فهو "لم يعرف منه هفوة في حداثته، ولا زلة في أيام صباه"؛ ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٠.

(٣) الشقندي: رسالة، ص ٥٢؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٢؛ العبادي: في التاريخ، ص ٣٣٠؛ عنان: دولة، ج١ ،ص ٢٢٧؛ مؤنس: معالم، ص ٢٧٣؛ باشا: الأندلس، ج١، ص ١٠٨؛ الدقاق: عمر: ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق العربي، بيروت، د. ت، ص ٥٤؛ وسيشار له: الدقاق: ملامح؛ البتوني: محمد لبيب: رحلة الأندلس، الطبعة الأولى، مطبعة الكشكول ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ص ٥٠؛ وسيشار له: البتوني: رحلة؛ عثمان: محمد عبد العزيز: "ثورة الربض ثورة شعبية عن تاريخ الأندلس"، مجلة آفاق عربية، الصيرافه، بغداد، العدد (٣)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ص ٧٩؛ وسيشار له: عثمان: "ثورة الربض"؛ النكدي: عارف "الأندلس: عبرة وذكرى ٢"، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، المجلد (٩)، ص ٣٣٨؛ وسيشار له: النكدي: الأندلس.

(٤) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧؛ النويري: نهاية، ج ٢٣، ص ٣٧٢؛ حتي: تاريخ، ج٢، ص ٦٠٧؛ **Dozy: Histoire, P. 295**؛ النصولي: الدولة الأموية، ص ٦٦.

ج - معارضة الفقهاء للطريقة التي كان يمارس فيها القضاة والناس بعض الأحكام الشرعية، متأثرين عاداتهم وتقاليدهم، وهو ما أطلقنا عليه "عمل قرطبة" الذي جاء فيه: "حتى كأنهم لا يرفعون بالدين رأساً، بل يجعلون العادات القديمة أساً"[١]، في الوقت الذي كانوا فيه متعصبين للمذهب المالكي الجديد ويرفضون إحداث أي ثغرة في أحكامه[٢].

د - انغماس الحكم في لذاته وشربه للخمر[٣]، وخروجه للهو والصيد باستمرار[٤]، وتظاهره بذلك في قرطبة دار العلم والورع، في بداية تقلده للحكم[٥]، أي في ريعان شبابه، وقبل بلوغه سن الثلاثين، ثم إن الخمر كانت عادة جارية في بلاد الأندلس عند الأمراء، غير أن الحكم جاهر بها كما قال ابن حزم: " وأما بنو أمية بالأندلس، فجاهر منهم الحكم الربضي، إلا أنه لم يشرب أحد من خلفائهم خمر العنب، وإنما كانوا يشربون العسل المطبوخ فقط، هذا أمر لا شك فيه عندنا أصلا"[٦]. ثم أن شرب الخمر عندهم كان مما يتفاخرون به[٧] بشرط أن لا يصل إلى مرحلة السكر كما قال الشقندي:

---

(١) المقري: نفح، ج١، ص ٥٥٧. ومن هنا ظهر الاتهام للمجتمع القرطبي بأنه مجتمع علماني، وأن الحكم هو الذي يريد ذلك؛ Amam : A Political, P. 79-80 .

(٢) بروكلمان: كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٢٨٩؛ وسيشار له: بروكلمان: تاريخ.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨، ٢٩٨ ؛ ابن خلكان: وفيات، ج١٣، ص ١١٨ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩ ؛ بالنثيا: تاريخ، ص ٤؛ حتي: تاريخ، ج٢، ص ٦٠٩؛ Dozy: Histoire, P. 88; Amam : A political, P. 79.

(٤) ابن الاثير: الكامل،ج٦،ص ٢٩٨؛ بالنثيا: تاريخ،ص٤؛ حتي: تاريخ،ج٢،ص٦٠٩؛ Dozy: Histoire, P. 288 ؛ مؤنس: شيوخ، ص ٢٢؛ مؤنس: معالم، ص ٢٧٣؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٢٧؛ باشا: الأندلس، ج١، ص ١٠٨؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٢؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ٧٩ .

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨ ؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٤؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤. ولقيام الحكم بهذه التصرفات التي تخرق شرط العدالة الذي يجب أن يتوافر في الحاكم المسلم قال الذهبي: "... وقالوا : إنه غير عدل، ونكثوه في نفوس العوام، وزعموا أنه لا يحل المكث ولا الصبر على هذه السيرة الذميمة"؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧.

(٦) ابن حزم: رسائل "نقط العروس"، ج٢، ص ٧٣.

(٧) ماجد: جعفر: "العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة" حولية الجامعة التونسية، تونس، العدد (١٣)، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م، ص ١١٦، وسيشار له: ماجد: "العلاقات".

" وإن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر ولا ناه عن ذلك ولا منتقد، ما لم يؤد السكر إلى شر وعربده، وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك، فلم يستطيعوا إزالته" [١].

وإن كان هذا في الفترة المبكرة للإمارة الأموية في الأندلس، فإننا نقول لا بأس، لكن استمراره في عصر الخلافة الأندلسية يجعلنا نخفف من شدة حنقنا على الحكم، فها هم أولاء الفقهاء في عصر الخليفة الحكم المستنصر يوضحون له أن الخمر مكروه، وأن الناس لا ينتهون عنه، فأراد خلع أشجار العنب في الأندلس، وأخبروه أنه يمكن استخراجه من غير شجر العنب فتوقف[٢].

ولننصف الأمير الحكم بن هشام في موضوع شرب الخمر نذكر قول ابن سعيد: " كان يستريح إلى لذاته من غير إفحاش"[٣] في وقت كان الناس يعتبرون هذا الأمر شيئاً طبيعياً، وليس بالجريمة الكبيرة التي نتصورها. وعلى الرغم من أن الأمراء كالحكم كانوا يشربون الخمر إلا أنهم كانوا لا يرغبون بانتشاره في مجتمعهم لما يسببه من ضرر ومفاسد، ويدل على ذلك تشدد صاحب السوق قرعوس بن العباس في معاقبة أحد خدم الأمير الحكم الذي كان يحمل له الخمر ليوصله له أثناء مروره من السوق أمام الناس به[٤].

وإذا كانت هذه هي حال الخمر، فما أهمية انشغال الحكم باللهو والصيد ما لم يؤثر في مصلحة المسلمين في الإمارة الأندلسية؟.

هذه هي الأسباب الظاهرة لسخط الفقهاء على الحكم؛ لكن الأسباب الدفينة تتمثل في خوفهم من اضمحلال نفوذهم وضياع زعامتهم وتضرر مصالحهم. لذا، فإن الصراع بين الطرفين ما هو إلا صراع مصالح، وتقوية نفوذ طرف على حساب الآخر، استغل الفقهاء فيه جمهرة الناس لتحقيق غايتهم.

---

(١) الشقندي: رسالة، ص ٥١؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٢١٢.

(٢) الشقندي: رسالة، ص ٥٣.

(٣) ابن سعيد: المغرب، ص ٣٩.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٣-٤١٤.

والحقيقة التي لا يمكن أن ننكرها هي محاولة الحكم تقليل نفوذ الفقهاء في دولته لعمل توازن بين سلطة الدولة وسلطتهم.لكن،لا يعني ذلك بأية حال من الأحوال أنه لم يحترمهم أو أساء لهم دون سبب، بل على العكس، فقد كان يسلط قضاته على نفسه وخاصته[١]. ولا أدل على ذلك من قوله لمصعب بن عمران عندما ولاه القضاء:"ونفسي طيبة عليك...ولو وضعت المنشار على رأسي لم أعترضك"[٢]، والتزامه تطبيق قوله هذا عندما لم يحاسبه على حكم أصدره في إحدى القضايا التي أمره الحكم بألا يصدر الحكم فيها[٣].ومما يؤكد ذلك أيضاً عدم اعتراضه على أي حكم من الأحكام التي أصدرها القاضي محمد بن بشير،والتي تعارض مصلحته ومصلحة أقاربه معارضة مباشرة، فها هو ذا يعيد القنطرة وبعض الأراضي الواقعة على ضفة نهر الوادي الكبير لأصحابها بعد أن كان يمتلكها الحكم[٤]، ويرد شهادة الأمير في قضية أرض تعود لصالح عمه سعيد الخير واصدار الحكم بها لأصحابها الحقيقيين[٥]،

---

(١) ابن عبد ربه: العقد،ج٤، ص ٤٩٠-٤٩١؛ مجهول: أخبار، ص ١٢٤؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨-٧٩.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦٦-٦٧.

(٣) الخشني: قضاة، ص ٢٥-٢٦؛ النباهي: تاريخ، ص ٤٦-٤٧. وملخص هذه القصة أن العباس بن عبد الله المرواني أحد أقارب الأمير الحكم اغتصب أرضاً ليتامى في جيان، وأثبت اليتامى حقهم بها ولم يثبت ذلك العباس، فأمهله القاضي عدة أيام ليحضر أدلة تثبت حقه في الأرض، وإلا فسيحكم بها لليتامى، فذهب العباس للأمير الحكم الذي سمع منه وأرسل غلاماً له اسمه بزنت للقاضي كي يخبره التخلي عن القضية وعدم الحكم فيها، فكان رد القاضي: "إن القوم قد أثبتوا حقهم ! ولزمهم في ذلك عناء طويل ونصب شديد، لبعد مكانهم، وقد ثبتت دعواهم ولست أتخلى عن النظر حتى أحكم لهم"، فعاد بزنت وأخبر الحكم رد القاضي، فأعاده الحكم مرة ثانية ليؤكد للقاضي عدم حكمه بالقضية، فما كان من القاضي إلا أن أسرع في الحكم بها لصالح اليتامى بوجود بزنت كي يخبر الأمير أنه أنفذ ما لزمه من الحق، فإن أراد الأمير تغيير الحكم فله ذلك، فما كان من الحكم إلا أن أمضى حكمه قائلاً: "ما أشقاه من لطمة قلم القاضي".

(٤) الخشني: قضاة، ص ٢٩-٣٠؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٧؛ الضبي: بغية، ص ٦٣؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٨٩؛ النباهي: تاريخ، ص ٤٨؛ المقري: نفح، ج٢،ص ١٤٥. وقصة أخرى تتعلق بإعادة جارية إلى صاحبها كان قد اغتصبها والي جيان وأهداها للأمير؛ ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩١؛ مجهول: أخبار، ص١٢٥-١٢٦؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٣٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨.

(٥) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٨-٣٣٩؛ الضبي: بغية،ص٦٤؛ ابن سعيد: المغرب،ص١٤٥؛ النباهي: تاريخ، ص ٤٨-٥٠؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٧-١٤٨. وقصة ذلك أن سعيد الخير بن عبد الرحمن الداخل عم الأمير الحكم كانت له قضية أرض عند القاضي محمد، وكان معه وثيقة تثبتها مع شاهدين،الأمير أحدهما، فشهد الشاهد الأول وأجلت القضية حتى يحضر الشاهد الثاني (الأمير)،فلم يذهب الأمير، بل كتب كتاباً وختمه بعد تردد وأرسله مع فقيهين، فرفض القاضي شهادته وقال: "هذه شهادة لا يعمل بها عندي! فجيئ بشاهد عدل" ذلك أنه لم يكن يجيز الشهادة المكتوبة في غير الأحباس.وهنا، غضب سعيد وذهب للحكم قائلاً له: "ذهب سلطاننا وأزيل بهاؤنا ! ويجترئ هذا القاضي على رد شهادتك، والله تعالى قد استخلفك على خلقه، وجعل الأمر في دمائهم وأموالهم إليك! هذا ما لا ينبغي أن تحتمله عليه!" فرد عليه الحكم: " يا عم! القاضي، والله ! رجل صالح، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقل الذي يجب عليه ويلزمه، ويسد باباً كان يصعب علينا الدخول منه! فأحسن الله عنا وعن نفسه جزاءه!" فغضب سعيد وقال: "هذا حسبي فيك" فقال الحكم: "نعم، قد قضيت الذي كان علي، ولست والله! أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله!".

وحكمه على الوزير حمدون بن فطيس دون سماع شهادته[١]، وعدم تعرضه لصاحب السوق العباس ابن قرعوس الذي عاقب رجلاً كان يقوم بأداء مهمة كلفه هو إياها بالرغم من أنه أخبره ذلك[٢]، ثم قلقه عند سماعه بمرض القاضي المصعب بن عمران[٣] والقاضي محمد بن بشير[٤]. وأخيرا استشارته للفقهاء والعلماء في كثير من الشؤون وتقريبه لهم[٥]، كما ذكرنا سابقاً في حديثنا عن العلم والعلماء في قرطبة، والقضاة والفقهاء في عهد الحكم.

وأخيراً، ألا يمكننا القول بأن بعض الفقهاء أتباع المذاهب الأخرى غير المالكية قد ثاروا على الحكم لتغييره المذهب من جهة، ولتضرر مصالحهم من جهة ثانية، خصوصاً أن الكثيرين منهم قد تحولوا إلى المذهب الجديد دون رضاً منهم، خوفاً على ما اكتسبوه من مصالح ورغبة في تنميتها، ولا توجد وسيلة تحقق لهم هذه الغاية إلا اتباع المذهب المالكي. ثم، هل من السهولة واليسر تغيير مذهب اعتاده الناس ولو لفترة قصيرة من الوقت تغييراً مفاجئاً في ذلك الوقت المبكر من حكم الدولة الأموية في الأندلس، دون إظهار أي تمرد على الأحكام الجديدة؟.

٢- تمييز الدولة في التعامل مع الرعية في تقلد المناصب الإدارية وتفضيلها للعرب على غيرهم خصوصاً الأمويين منهم، وما كان لذلك من أثر في نقمة الفئات السكانية الكثيرة والمتنوعة على الدولة الأموية في الأندلس منذ قيامها، لكن وضعها لم يكن يسمح لها بالثورة إلا في عهد الأمير الحكم، حيث كثرت أعدادها واستقرت، وأصبح التمييز واضحا، وطفح الكيل، ولم تستطع الانتظار والصبر أكثر مما فعلت لتصل إلى حقوقها، فأعلنت عدم رضاها عن سياسة الدولة وعن

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٣٠؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٣٧؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٥. وقد ذكرنا ذلك سابقاً في أثناء حديثنا عن القاضي محمد بن بشير، لكننا لم نذكر أن حمدون غضب عليه وأراد تغييره بوضع الفقيه يحيى الليثي الذي رفض، قائلاً له: "وأعلم أن محمد بن بشير على السخط خير لك مني على الرضا"، وأشار عليه بيحيى بن مضر إذا كان لا بد من ذلك، فتراجع وعاد إلى صوابه؛ الخشني: أخبار، ص ٣٤٧؛ الخشني: قضاة، ص ٣٦.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٤١٣-٤١٤، وقصة ذلك أن الحكم في أثناء شربه للخمر عند عمه سعيد أرسل من يحضر له شراباً من السوق، فرآه العباس وكسر الإناء وأهرق الخمر وضربه ضرباً موجعاً، والأمير وعمه ينتظران حتى عرفا الأمر، فغضب سعيد، إلا أن الأمير قال له: "هذا قوة لملكنا، الا استتر رسولك".

(٣) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩١ ؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٢٩٩ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٨.

(٤) الخشني: قضاة، ص ٣٧-٣٨؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٩.

(٥) الشقندي: رسالة، ص ٥٣-٥٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧٨؛ ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص ٦٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٤؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٢١٣-٢١٥. ومما يذكر أنه أراد يوماً قطع يد أحد الخدم لأنه أوصل له كتاباً كره وصوله، فقال له الفقيه زياد شبطون: "أصلح الله الأمير، فإن مالكاً بن أنس حدثني أنه "من كظم غيظاً يقدر على إنفاذه ملأه الله تعالى أمناً وإيماناً يوم القيامة" فسكن غضبه وعفا عن الخادم؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

وضعهم بها، وأهم هذه الفئات هم المولدون الذين كانوا يعدون أمام الناس في ادنى مرتبة إجتماعية، كالعبيد أو الخدم[1]، مع أنه ظهر منهم شخصيات كبيرة ذات مكانة مميزة في بداية عهد الإمارة، مثل أرطباش[2]. والسؤال هنا: لماذا أعلن المولدون غضبهم مرة واحدة زمن الأمير الحكم، و لم يعلنوه من قبل ؟.

يعود ذلك إلى أن الفترة السابقة من حياتهم كانت تتسم بالهدوء، فهم قوطيون في حياتهم مسيحيون في ديانتهم، قد تعودوا الظلم وضياع الحقوق، لكن، لما دخلوا الإسلام، صار لهم حقوق وعليهم واجبات كالمسلمين تماماً، فأعلنوا رضاهم عن الحال التي وصلوا إليها قياساً بما كانوا عليه من قبل، لكن هذا الرضا لم يستمر عندما اختلطوا بالفاتحين وشاهدوا حسن أوضاعهم عن كثب، فصاروا يطالبون بحقوق أكثر، وساعدهم على ذلك اندثار الجيل الأول الذي عاش تجربتين في حياته قارن بينهما فرضي بوضعه وسكت، أما الجيل الثاني، فالذين شاهدوهم أفضل منهم، دون وجه حق، فسخطوا على العرب، وساندهم في سخطهم هذا الفئات الأخرى من الموالي والصقالبة والبربر وأهل الذمة الذين ذكرناهم سابقاً ، لذا، قام المولدون بعدة ثورات في مدن الأندلس كافة، خصوصاً مناطق الثغور لبعدها عن بطش الأمراء، ثم في المناطق الكبرى، كطليطلة وقرطبة التي نتحدث عنها[3] .

٣- عدم إشراف الدولة على تنظيم استقرار الفئات السكانية المختلفة في قرطبة إشرافاً إدارياً يناسب الجميع، ويمنع حدوث الفوضى والاضطرابات، فقد نزلت كل قبيلة واستقرت حسب ميولها وما يشابه موطنها الأصيل دون مراعاة لأي شيء آخر، فنمت العصبيات القبلية وكثرت المشكلات والنزاعات بين جميع الفئات السكانية لعدم انسجامها دينياً وجنسياً واجتماعياً وثقافياً كما وضحنا في الفصل الأول من هذه الدراسة، في معرض حديثنا عن الأرض في قرطبة، ومما يؤكد استمرار المشكلات على الأرض زمن الأمير الحكم اجتهاد القضاة في إعادة الحقوق لأصحابها، خصوصاً القاضيين المصعب بن عمران ومحمداً بن بشير كما ذكرنا آنفاً في غير موقع.

---

(١) آبل: "اسبانية"، ص ٣١٥ ؛ Amam : A Political, P. 80 ؛ العبادي: في التاريخ، ص ٣٣٠؛ باشا: الاندلس، ج١، ص ١٠٤؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ١٤١؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ٧٩؛ أحمد: القبائل، ص ٢١٦.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٦١-٦٢؛ أحمد: القبائل، ص ١٨٤-١٨٥.

(٣) بدر: دراسات، ص ١٢٩-١٣٠؛ أحمد: القبائل، ص ١٨٣-١٨٦؛ بيضون: الدولة، ص ٢٣٤.

كان الربض الذي اندلعت فيه الثورة مكتظاً بالسكان من جميع الفئات التي ذكرنا سابقاً بمختلف دياناتهم وأوضاعهم الاجتماعية، فهناك المسلم والنصراني واليهودي، وهناك العربي والبربري، وثمة مزيج من المولدين والمستعربين، كل هؤلاء اجتمعوا بهذا الربض دون تنظيم بعد ان بنى الأمير هشام جسراً على نهر الوادي الكبير، ليخرج من لا يتسع له المكان بقرطبة للسكن في هذا الربض، فسكنه العلماء والطلاب والحرفيون من التجار والصناع والعمال، والأفراد من الجيش والموظفين، وكبار رجال الدولة لقربه من دار الإمارة والمسجد الجامع والخدمات العامة التي يحتاجون[١].

٤- طبيعة المجتمع القرطبي المتمثل بشموخهم وعزتهم وعلو هممهم وعدم تحملهم للظلم ورفضهم للذل، وعدم رضاهم عن أوضاعهم، فهم دائماً يسعون للأفضل، ويحبون الرئاسة[٢] ، ويرفضون سياسة الأمير الحكم المركزية، وهذا ليس بالشيء الغريب لاختلاف عناصرهم السكانية وتقلب أمزجتهم، لكثرة التغييرات الدينية والإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

أما سكان ضفتي نهر الوادي الكبير وبالتحديد الربض القبلي مقر الثورة، فقد وصفهم الشقندي بقوله:

" وأهله أخف الناس أرواحاً، وأطبعهم نوادر، وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السبّ، وقد مرنوا على ذلك، فصار لهم ديدناً، حتى صار عندهم من لا يتبذل فيه ولا يتلاعن ممقوتاً ثقيلا"[٣] .

فمثل هذه الفئات بهذه المواصفات يصعب السيطرة عليها، إلا إذا وجد عامل مشترك يربط بينها وبين السلطة يكون للطرفين فيه حقوق وعليهم واجبات، بحيث لا يعتدي طرف على الآخر، ولا يسيء إليه، وقد أسعفنا ابن خلدون بهذا الحل عندما تحدث عن فئة العرب ووسيلة تفاهمهم مع السلطة بقوله:

---

(١) Provencal: Histoire, P. 161-162؛ مؤنس: رحلة، ص ٥٧؛ بدر: دراسات، ص ١٢٢؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٣٨؛ العبادي: في التاريخ، ص ٣٣١-٣٣٢؛ شيبوب: "جمهورية"، ص ٢٢٧. والفقهاء هم المعلمون في شؤون الدين والدنيا في هذا الربض؛ سالم: تاريخ، ص ٢٢٧.

(٢) الرشاطي: الأندلس، ص ٧٧؛ ابن الخراط: اختصار، ص ١٨٠ ؛ الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٢٥-٢٢٦؛ المقري: نفح، ج١، ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) الشقندي: رسالة، ص ٥١.

" والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبؤة أو الولاية في الرئاسة كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة..."[١].

إن العامل المشترك لضبط الأمور بين فئة من السكان مع الحاكم لا ينطبق على جميع الفئات المستقرة بقرطبة لاختلاف دياناتها، لكن هذا لا يشكل مشكلة كبيرة إذا عرفنا أن هذا الضابط من المعايير غير موجود في الأمير الحكم برأي الفقهاء على الأقل.

٥- قسوة الأمير الحكم وشدته وعنفه وجبروته وظلمه في بعض أحكامه وتصرفاته[٢]، خصوصاً في القضاء على الثورات الداخلية التي اندلعت في عهده ـ كما وضحنا سابقاً ـ وما كان لذلك من أثر في حنق جميع سكان مدن الأندلس عليه، وانتظار أية فرصة للانتقام منه والثأر والقضاء عليه، لذا، فإن ثورات الربض هي امتداد لكل الثورات السابقة لها.

٦- تجمع الثوار والمعارضين للسلطة القائمة في قرطبة لكونها العاصمة أولاً وبها السجن المركزي ثانياً، وإليها يتم نفي المعارضين للإمارة الأموية من كل مدن الأندلس، ليبقوا تحت المراقبة ثالثاً[٣]، وما كان لهذا من أثر في تجمعهم واتفاقهم على معارضته السلطة، واستغلال اندلاع ثورات الربض والمشاركة فيها.

٧- تقريب الحكم للجند المرتزقة من الخرس إلى جانبه، ووضعهم حرساً خاصاً له وقادة

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص ١٨٩.

(٢) الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨. ويبدو أن صلة الحاكم بالرعية تقوم على الظلم في الأندلس، وأن سعادة الأمير تقوم على شقاء الناس، حيث جاء في أمثالهم الشعبية "إذا سمعت الأمير يغني أدر أن همومي تبكي" ؛ الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٢٢.

(٣) ابن سعيد: المغرب، ص ٤١.

لجيشه[١] ، وذلك على حساب الأهلين الأصلاء، مما جعلهم يسخطون عليه، ومما زاد حنقهم تجاوز هؤلاء الجند للقانون والنظام[٢]، واعتداؤهم على الناس وكرههم لهم، وبالمقابل كره الناس لهم[٣] .

٨- تفنن الأمير الحكم في زيادة الضرائب على الناس طيلة فترة حكمه بأوقات متفاوتة وبأنواع مختلفة من أهمها:

أ- ضريبة المغارم أو المعاون[٤]، وهي ضريبة مؤقتة تفرض على الناس كلما دعت الحاجة لذلك، ويدفعها البعض عقاباً لهم على أمور تنكرها الدولة عليهم[٥].

وغضب الناس على فرض هذه الضريبة عليهم لم يكن بقدر غضبهم على تعيينه لأحد النصارى المعاهدين لجباية هذه الضريبة منهم، المدعو بربيع القومس[٦]، الذي أساء لهم وظلمهم، فكثرت الشكاوي عليه، خصوصاً من جند البيرة، الأمر الذي جعل الحكم يأمر بمصادرة أمواله وأملاكه، التي لم تكف حقوق المشتكين عليه، ولما علم أنه أخفى بعضها، أمر بالمناداة أمام الناس، بأنه تقرر مصادرة أموال ربيع القومس، وأن من يحتفظ له بها فعليه تسليمها خلال ثلاثة أيام، وإلا فسيعرض نفسه للقتل، وكان ربيع قد أودعها سعيداً بن محمد بن بشير القاضي الذي لم يسلم هذه الأموال

---

(١) Provencal: Histoire, P. 162 ؛النكدي:"الأندلس ٢"،ص٣٣٨ ؛ مؤنس: معالم،ص٢٧٣؛العدوي: ابراهيم : "إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي"، المجلة التاريخية المصرية/الجمعية الملكية للدراسات التاريخية،مصر، المجلد (٣)،العدد(٢)، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ص ٥٣ ؛وسيشار له: العدوي "اقريطش"؛ شيبوب:"جمهورية"، ص ٢٢٧ ؛الجارم:علي:قصة العرب في اسبانيا،دار المعارف،مصر،١٣٨٠هـ/١٩٦٠م،ص٦٥؛ وسيشار له:الجارم: قصة العرب.

(٢) Dozy: Histoire, P. 250-251 ؛ Amam: " Cordovan", P. 297; Amam: A Political, P. 88 .

(٣) عثمان: "ثورة الربض"، ص ٧٩ ؛ الجارم: قصة، ص ٦٥؛ شلبي: أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،٥ ج، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج٤، ص ٤٧؛ وسيشار له: شلبي: موسوعة.

(٤) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥.

(٥) ابو ارميله: نظم الحكم، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٦) مجهول: أخبار، ص ١٣٠؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٩٦؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٨٣؛ ابن الخطيب: أعمال، ص١٥؛ ص ١٤١، واسمه ربيع بن تيودلفو أحد المستعربين المسيحيين من أصل اسباني؛ Provencal: Histoire, P. 164.
وهنا يصدق المثل القائل: "عرب البطاح: يغرم الجزي لليهود"، وقول الشاعر:
كنا نطالب اليهود بجزية   وأرى اليهود بجزية طلبونا ؛ الزجالي: أمثال، ج٢، ص ٣٩٧. ومما يذكر أن الفقيه محمداً الأعشى كان يساير ربيعاً ويجله، فلما رأى ذلك أحد تلاميذه، غضب ومزق ما نقله من العلم عنه، وقال له: "ما تحل لنا الرواية عنك، وأنت تعظم القومس هذا التعظيم"، لكن، لما سجن ربيع هذا التلميذ، توسط له الأعشى وأخرجه قائلاً له: "يا هذا، ان ربيعاً وغيره ممن هو مثله إنما يدارى لك ولاشباهك، فلا تعد إلى مثلها. الخشني: أخبار، ص ١١٥.

خلال المدة المعلنة، مع أنه أخذ احتياطه وأخبر الفقيه يحيى الليثي بالأمر، ولما سأله الحكم عن فعلته، أجاب أن الأمانة تؤدى إلى صاحبها، سواء أكان باراً أم فاجراً ولا أفجر من ربيعة[1]. فعفا عنه الحكم، لكنه قتل ربيعاً، وقيل أن الذي قتله الأمير عبد الرحمن، ومهما يكن الأمر، فإن الناس لم يحصلوا على جميع حقوقهم، فثاروا على الأمير عبد الرحمن، وكانت النتيجة هزيمتهم في موقعة بالس* [2].

ب - ضريبة عشر الأطعمة[3]، وهي ضريبة دائمة مستمرة تدفع سنوياً على كل المواد الغذائية التي تدخل قرطبة[4]، لذا، فإن سعرها سيرتفع وينعكس سلبياً على الناس، وهي تشبه ضريبة المبيعات في ايامنا هذه، ويعود غضب الناس على الحكم من فرض هذه الضريبة إلى عدم مراعاته لظروفهم العامة، وعدم إعفاء أي واحد منهم مهما كانت ظروفه سيئة[5]، في الوقت الذي كان يتصرف فيه بأموال الضرائب بدفعها للخرس والمرتزقة والخدم الذين يعملون عنده، وتأمين ما يلزمهم من طعام وشراب ولباس[6] على حساب هؤلاء الناس الذين أثقل كاهلهم بالضرائب، وصاروا يدفعون الزكاة إجبارياً ولا تنعكس عليهم إيجابياً[7]، لأن الحكم كان ينفقها في غير صورها الشرعية للفئات التي كانت تعمل عنده، فزاد حنق الناس عليه أكثر فأكثر. وقد ذكر لويس بن شارلمان هذه الضرائب في رسالة له بعثها لأهل ماردة يعدهم فيها المساعدة زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم قائلا لهم:

"... بلغنا محنتكم وما تحملتموه على يد عبد الرحمن الذي لم ينفك عن اضطهادكم وعن الطمع في ثرواتكم، إنه يصنع مثل ما كان يصنعه معكم أبوه "أبو العاصي" - الحكم - الذي كان يريد أن يضطركم إلى دفع مبالغ غير مستحقة من المال الذي جعل من اصدقائه أعداء ومن الطائعين ثواراً"[8] .

وقد بلغت نسبة جباية أقاليم قرطبة في سنتين من سنوات حكم الحكم القيمة التالية:

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٣٩؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٩-١٢٠؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٨٣-٣٨٤.

* موقعة بالس : معركة وقعت بين جند الأمير عبد الرحمن بن الحكم وأهل البيرة سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م نتيجة الحاحهم في مطالبتهم لأموالهم التي صادرها ربيع، وتمردهم على الأمير من أجل ذلك.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٨٣-٣٨٤؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١.

(٤) باشا: الأندلس، ج١، ص ١٠٤.

(٥) Provencal: Histoire, P. 162.

(٦) Amam : "Cordovan", P. 297; Amam : A Political, P. 188.

(٧) ابن سعيد:المغرب،ص٤٣؛ بدر: دراسات،ص١١٩؛ عنان: دولة،ج١،ص٢٣٩؛ Provencal: Histoire, P. 166.

(٨) رينو: الفتوحات، ص ١٣٣.

السنة الأولى: ١١٠,٠٢٠ ألف دينار، ٤٦٠٠ مد من القمح، ٧٦٤٧ مداً من الشعير[١].

السنة الثانية: ١٢٠ ألف دينار، ٤٦٤٧ مداً من القمح، ٤٧ ألف مدٍ من الشعير[٢].

وقد وضح ابن الأزرق أن من أسباب الثورات الرئيسية حدوث خلل في الشؤون المالية، بسبب كثرة الإنفاق والإقدام على المزيد من الجباية بإحداث المكوس على الناس وظلمهم في ذلك[٣].

٩- كره أعيان قرطبة للأمير الحكم لاتباعه سياسة الحكم المركزي، وتحجيم نفوذهم، واستهتاره بهم، خصوصاً عندما كان "يخصي من اشتهر بالجمال من أبناء أهل بلده، منهم طرفه بن لقيط، تصرف أبوه واخوته وآله في الولايات الرفيعة، ومنهم نصر صاحب منية نصر... ومنهم شريح صاحب مسجد شريح"[٤]. وبعد أن يخصي أبناء الناس الملاح كان يمسكهم لنفسه[٥]، مما جعل بعض المستشرقين يتهمونه بأنه خليع، لوطي، شاذ جنسياً[٦]، ومع أن الحقيقة غير ذلك، فإن إسرافه في مثل هذه الأمور[٧] ، جعله محل كراهية الناس، فثاروا عليه.

١٠- سوء أوضاع الناس لحدوث الكوارث الطبيعية والمجاعات، فقد تعرضت قرطبة سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م لسيل عظيم، أدى إلى غرق الكثير من الأهلين، وهدم دورهم خصوصاً في الربض القبلي وشقندة[٨]، وعدم قيام الحكم بأي إجراءات لتخفيف مصابهم وتعويضهم عما فقدوه.

وهناك أسباب تأخذ الصبغة العمومية ذكرتها المصادر وفصلنا الحديث عنها في النقاط السابقة، لكن، للأمانة والدقة نذكر أن الأمير الحكم اتهم الناس والفقهاء ببعض أمره[٩]، وهم

---

(١) المقري: نفح، ج١، ص ٥٤١.

(٢) البكري: جغرافية الأندلس، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٣) ابن الأزرق: بدائع السلك، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٤) ابن حزم: رسائل، "نقط العروس"، ج٢، ص ٦، ويقول في موقع آخر عن ابن لقيط: "وكان أبوه وأخوه وبنو عمه من أصحاب السلطان وولاة الثغور" ؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٩٥-٩٦ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٣.

(٥) الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢ ؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ض ١١٨.

(٦) Amam : A. A Political, P. 79 .

(٧) ابن حزم: رسائل "نقط العروس"، ج٢، ص ٧٥.

(٨) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٦٢.

(٩) الحميدي: جذوة، ق١، ص٣٩؛ الضبي: بغية، ص١٤؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص٣٤؛ المراكشي: المعجب، ص١١.

اتهموه بأشياء رابتهم به[١]، وكانت النتيجة اعتقاد كل طرف منهم أنه على حق، فالتقى القدر بالقدر ووقع القضاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه هي الأسباب العامة لثورات أهل الربض، ومن ضمنها الثورة الأولى، التي لا نوافق ابن الاثير على تحديد سبب اندلاعها المباشر، المتمثل برجم بعض أهالي قرطبة المعارضين للأمير بالحجارة في أثناء مسيره في قرطبة، محاولين قتله[٢]، ذلك لإجماع المؤرخين على أن هذا هو السبب المباشر للثورة الثالثة من جهة، وعدم تناسقه مع تسلسل الأحداث من جهة ثانية، لأن هذه الثورة بدأت سرية، وانتهت، ولم يكن هناك مجال لإعلان الاستياء العام من الأمير الحكم، وإذا كان لا بد من تحديد سبب مباشر لهذه الثورة، فإنه سيتضح لنا بجلاء من حديثنا عن مجريات هذه الثورة.

وقد اجتمعت أسباب الثورة على الأمير الحكم، منها ما هو سابق لا ذنب له به، إلا أنه استفحل في عهده، كوضع المولدين والفقهاء ومشكلة استقرار الأهليين وطبيعتهم ووقوع بعض الكوارث الطبيعية؛ ومنها ما اقترفت يداه برضاه أو دون رضاه، كمحاولته تقليل نفوذ الفقهاء والأعيان والإساءة لهم، وتقريبه للمماليك الخرس والإنفاق عليهم من الضرائب التي فرضها على الأهالي، وشربه الخمر واهتمامه باللهو والصيد، بالإضافة إلى قسوته وعنفه؛ ومنها ما خرج عن نطاق قدرته، فاجتمعت المصالح ضده لظروف كثيرة، فمن كان يصدق أو يتوقع أن وحدة تقوم بين فئات سكانية متفاوتة في دياناتها وجنسياتها ومستوياتها الاجتماعية والثقافية؟ لذا، فإن عبارة أستاذنا الفاضل الدكتور عبد الكريم غرايبة قد أثبتت صحتها في : "أن الوحدة لا تقوم إلا بالإكراه ولا تدوم إلا بالرضا". وصدق المثل الأندلسي القائل : "من النقط تجتمع الأودية"[٣] . فقد اجتمعت النقاط السابقة للثورة على الأمير الحكم، ولم تنحصر بنقطة واحدة دون أخرى.

---

(١) ابو القوطية: تاريخ، ص ٧٢.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٣) الزجالي: أمثال، ج٢، ص ٣٣٨ "وقطرة إلى قطرة يسير النهر".

مجرياتها:

اجتمعت الأسباب، والتقت المصالح، وساندهما رأي الشرع في الخروج على طاعة الأمير الحكم، فبدأ "عدة من أعيان الفقهاء، وأكابر العلماء والصلحاء، وأكابر الناس ومشايخهم" [١] ، مثل يحيى بن مضر القيسي[٢]، ويحيى بن يحيى الليثي، وعيسى بن دينار[٣]، وأبي كعب بن عبد البر وأخيه عيسى[٤] وقرعوس بن العباس (صاحب السوق)[٥]، وموسى بن سالم الخولاني وابنه[٦]، ومالك بن يزيد التجيبي[٧]، ومسرور الخادم[٨] عقد اجتماعات سرية فيما بينهم ناقشوا فيها أوضاع الدولة العامة، وخرجوا بنتيجة، خلاصتها أن الأمير الحكم لا يصلح أن يبقى حاكماً، ويجب عزله، ولا بد من إيجاد طريقة لتنفيذ ذلك، فدبروا وخططوا، واتفقوا على تنظيم ثورة لتحقيق غايتهم، ورشحوا لزعامتها محمداً ابن القاسم القرشي المرواني[٩] المعروف بابن الشماس[١٠] وهو من أبناء المنذر بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل – من ابناء عمومة الحكم-[١١] ، وهو رجل صالح في عقله ودينه[١٢]، وربما لعلاقتهم الحسنة معه، ولنفوذه وقوته وكثرة أتباعه، ولإنقسام الأسرة الأموية على نفسها، بحيث يتخلى جزء منهم عن الأمير الحكم فيضعف، ولإثبات أن الثورة ليست على الأسرة الأموية، بقدر ما هي على الشخص الذي يحكم، ولحسم النزاع في تعيين قائد للثورة.

---

(١) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦-١٢٧؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨ ؛ Provancal : Histoire, P. 290.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨ ؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٣٣.

(٥) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٦) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٧) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٨) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(٩) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١-١٦٢. وقيل أن اسمه هو أحمد بن المنذر بن عبد الرحمن الداخل؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨؛ وانه عم هشام بن حمزه ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(١٠) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢ ؛ Amam: " Cordovan ", P. 297 .

(١١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢.

(١٢) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧.

ومهما يكن الأمر، فقد ذهبوا إليه: "وأخذوا له البيعة على أهل البلد، وعرفوه أن الناس قد ارتضوه كافة" [١]، أي أن الإمارة ستؤول إليه بعد عزل الحكم[٢]، فأبدى الميل إليهم والموافقة على رأيهم من حيث المبدأ، وطلب منهم أن يمهلوه ليلة واحدة ليستخير الله قبل أن يقوم بمثل هذا العمل[٣]، فانصرفوا[٤]، وقيل إنه استضافهم تلك الليلة[٥]، لكن، ما فائدة استضافتهم وإكرامهم إذا أراد أن يوقع بهم على جهل منه[٦]، أو تسرع أو خوف على نفسه أو خشية إحداث فتنة بين الناس، أو لشعوره بأنهم يظلمون الحكم، أو لأنه أحد رجاله، ذلك أنه ذهب للأمير الحكم ووشى بهم وأعلمه الحال[٧]، وإنه على بيعته لم يتغير[٨]، "فتقرب إلى الحكم بدمائهم"[٩].

ذهل الحكم، واغتاظ، وشك فيما سمع قائلا لمحمد "أردت أن تغريني في أعلام بلدي والله لتصححن هذا عندي، أو لاضربن رقبتك"[١٠]، فقال له محمد: " أرسل معي من تثق به ليتحقق"[١١].

واتفق الحكم مع ابن عمه على جعل الخبر سراً بينهما، وطلب منه أن يظهر لهم موافقته لما عرضوه عليه، حتى يتحقق بنفسه من صحة الخبر أولاً، وليعرف أكبر عدد ممكن من أسماء معارضيه ثانياً، والطريقة التي يخططون بها للإحاطة بعرشه والقضاء عليه ثالثاً.

وعاد محمد إلى بيته، وأظهر موافقته للفقهاء، لكنه أخبرهم أنه يشعر بالخوف وعدم الطمأنينة، وطلب منهم أن يعرفوه من معهم في الأمر[١٢]، فوعدوه إعلامه بهم في اجتماع اتفقوا على تحديد زمانه

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٥) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧.

(٦) المصدر السابق: ج٨، ص ٢٢٧.

(٧) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٨) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٩) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(١٠) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢ . وقيل بنص آخر "جئت لسفك دمي أو دمائهم، وهم اعلام، فمن أين نتوصل إلى ما ذكرت" ؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧.

(١١) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧ ، "فقال له ابعث لي بأمينك ليلة كذا" ؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢.

(١٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥.

ومكانه، فذهب محمد للأمير وأعلمه ذلك[١]، وطلب منه إرسال من يثق بهم من أمنائه في الوقت المحدد ليتحققوا من كل شيء[٢].

وتثبت الحكم من صحّة قول محمد[٣]، وأرسل مجموعة ممن يثق بهم إلى بيته[٤]، مقر الاجتماع، منهم فتاة برنت وأحد كتابه[٥]، فأجلسهم وأخفاهم في قبة ببيته، وأسدل عليهم ستاراً[٦] بحيث يشاهدون ويسمعون كل شيء بوضوح، دون أن يشعر بهم أحد، ولما جاء الفقهاء، أخبروه أسماء من معهم من الفقهاء والأعيان، وأمناء الحكم يسمعون ويشاهدون ويسجلون كل شيء[٧]، ومحمد يظهر لهم أنه منذهل وغير مقتنع أو مصدق لما أوردوه له من الأسماء، قائلاً لهم "هذا الذي تدعونني إليه لا أثق بمن سميتم، دون أن أسمع منهم، كما سمعت منكم، فتطيب نفسي، فأدخل في الأمر على قوة وبصيرة"[٨]. فعظم الخطب عليهم[٩]، وربما شكوا في نياته، لكن، صعب عليهم التراجع فاتفقوا معه على إحضارهم في اجتماع آخر، حددوا زمانه ومكانه.

وقد فعل محمد ذلك بتوجيه من الأمير الحكم لخطورة الموضوع وعدم توقعه أن مثل هؤلاء يتآمرون عليه، فأراد دليلاً مقنعاً كي يتأكد، ويثبت لهم فيه تآمرهم ضده أمام الناس اثباتاً علنياً.

واجتمع الفقهاء مع بعض أتباعهم في بيت محمد الذي شاهدهم وسمع منهم، وأمناء الأمير يشاهدون ويسمعون ويكتبون، فتثبت الحكم وصح الخبر مع دليله عنده[١٠]، ولم يبق عليه إلا إحباط المؤامرة التي حيكت ضده، لكن، كيف تم ذلك؟. اختلفت الروايات في كيفيتها في رأيين مع اتفاقها على نتيجتها، فقد جاء في الرواية الأولى أنه في أثناء اجتماع الفقهاء مع محمد في بيته وأمناء الحكم يكتبون أسماء الثوار خلف الستارة، سمع صرير قلم من شدة خوف أحد الكتاب أن يذكر اسمه من كثرة ما ذكر من الأسماء[١١]، وقيل إن المصادفة هي التي كشفتهم، إذا إن أحد الفقهاء مد يده خلف

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١ ؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧.

(٥) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٢.

(٦) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٧) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥.

(٨) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(٩) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ٣٦٥.

(١٠) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(١١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣ ؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧.

الستارة، قاصداً ذلك لدخول الريب على قلبه من كثرة تساؤلات محمد[١] ، فقام، وقام الحضور غاضبين على محمد قائلين له: "فعلتها يا عدو الله"[٢]. وأكمل المؤرخون العبارة بقولهم: "فمن خرج من وقته ذلك وفرّ، نجا، ومن توقف، قبض عليه"[٣].

أما الرواية الثانية، فقد جاء فيها أن محمداً بعد أن رأى الفقهاء وسمع منهم، اطمأن قلبه إليهم، واتفق معهم على إعلان الثورة قائلاً لهم: " يكون هذا الأمر يوم الجمعة إن شاء الله تعالى في المسجد الجامع"[٤]، ولما انصرف الفقهاء، ذهب محمد والأمناء إلى الأمير، وأعلموه الخبر "وكان ذلك يوم الخميس، فما أتى عليه الليل حتى حبس الجماعة المذكورين عن آخرهم"[٥] بعد أن أشهد عليهم من رأوهم وسمعوهم من أمنائه[٦] ثم أمر بصلبهم وقتلهم جميعاً، وهذا ما سنتحدث عنه في نتائج الثورة.

ولا تخلو كلتا الروايتين من الصحة، فاحتمال هروب بعض الفقهاء كما جاء في الرواية الأولى وارد بالرغم من تشدد الحكم في وضع جنود خارج بيت محمد، وكذلك في الرواية الثانية، فربما سمعوا بملاحقة رجال الحكم لهم، فهرب من استطاع ذلك؟ ورب سائل يسأل: من الذين هربوا؟، وكيف تمكنوا من ذلك؟ وهل هناك من ساعدهم مع تشدد الحكم؟ وما مصلحته من تقديم المساعدة؟ كل ذلك سنجيب عنه في الصفحات اللاحقة، إن شاء الله.

و لم تكن بعض المصادر دقيقة في وصف مجريات الثورة الرئيسية، إذ جاء فيها: "فقامت الفقهاء والكبراء، فخعلوه في سنة (١٨٩) ثم أعادوه لما تنصل وتاب، ثم تمكن، فقتل طائفة..."[٧]، ذلك أن الفقهاء لم يتمكنوا من خلعه وعزله إلا كلاماً في أثناء اجتماعاتهم، أما فعلياً، فلم يحدث شيء من هذا، وتلقائياً لم تحدث التوبة والعودة؟.

---

(١) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٣.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨-١٨٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٨.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(٧) الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٤؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤.

نتائجها:

يمكن إجمال نتائج ثورة الربض الأولى في النقاط التالية:

١- إجهاض الحكم أول محاولات الثورة عليه في الربض القبلي، وإخمادها في مهدها مؤقتاً وقيامها من جديد.

٢- القبض على معظم رجال الثورة وسجنهم[١].

٣- إعدام اثنين وسبعين رجلاً من كبار رجال الثورة الذين قبض عليهم من الفقهاء والأعيان[٢]، وصلبهم أمام قصر الإمارة[٣] على شط نهر قرطبة[٤] ليعتبر الناس بهم، فلا يفكروا في تقليدهم، مهما كانت الأسباب، ومن أشهر الشخصيات التي نفذ فيها حكم الإعدام، الفقيه يحيى بن مضر القيسي[٥]، وأبو كعب بن عبد البر وشقيقه عيسى[٦]، وموسى بن سالم الخولاني وابنه[٧]، ومالك بن يزيد التجيبي[٨]، ومسرور الخادم[٩]، وشقيق الفقيه يحيى بن يحيى الليثي[١٠]. "وكان يوماً شنيعاً فظيعاً "[١١].

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤.

(٢) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٨؛ Dozy: Histoire, P. 290 . وقيل أن عددهم تجاوز السبعين، ووصل إلى سبعة وسبعين؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨؛ ج٩، ص ٥٢٢، وإلى مائة وأربعين؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧. وليس في ذلك غرابة، إذا أضفنا لمن أعدموا شخصيات كانت مسجونة من غير الفقهاء والأعيان، مثل كليب وأمية عمي الأمير الحكم؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨؛ وإذا عرفنا أن عدد الجذوع في المكان الذي تم إعدامهم فيه هي مائة وأربعون جذعاً؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٤٥٩؛ فحصل الخلط في العدد بين من أعدموا وبين عدد الجذوع الموجودة.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٥؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨، ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤.

(٤) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧.

(٥) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣ (يحيى بن نصر اليحصبي)؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٦-١٢٧؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٤٥٩؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٤.

(٦) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٧) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣ ؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٨) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٩) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١.

(١٠) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٩.

(١١) الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٥؛ وانظر: ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص١٨٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣ ، ص٣٦٥؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢.

٤- تشرد الفئة التي استطاعت الفرار ونجت من حكم الإعدام، ومن أشهرهم : يحيى بن يحيى الليثي[1] وعيسى بن دينار[2] وقرعوس بن العباس[3]. وتتحفنا المصادر بقصة هؤلاء الثلاثة كما يلي:

لما سمع يحيى بأن الحكم قد كشف أمره وأمر جماعته وبأنه يقبض عليهم ويسجنهم[4]، ويصدر أوامره بقتل كل من هو غير معروف خرج مع أخيه فتح متنكرين على باب اليهود بقرطبة يريدان الفرار، فلما وصلا وجدا أن الحراسة مشددة ولا يمكنهما الخروج فاشتد كربهما لكن فتح اعتقد أن الفرج قد جاء لما رأى أن كبير البوابين المسؤول عن جميع الحرس وعن باب اليهود هو صديقه، فذهب إليه متنكراً - رغمَ نصيحة أخيه يحيى بعدم الذهاب - ليس ليسمح له ولأخيه في الخروج فقط وإنما ليوصيه بمن يخلفه من أهله، ولما وصله طلب منه الخلوة به ثم كشف له عن وجهه فقبض عليه وأمر بقتله ويحيى ينظر، فزاد خوفه وتنكره حتى استطاع أن يخرج من قرطبة[5].

ولما خرج يحيى من قرطبة، لحق بقومه من بني عمه البربر (من مصمودة) في فحص البلوط، ونزل عندهم، وكان معه مال حفظه في حزام حول بطنه، فلما عرف أقاربه به تآمروا عليه وأرادوا سلب ماله، لكن ابنة أحدهم أخبرته، فهرب بعد صلاة العشاء، بحجة أنه يريد قضاء حاجة، فلقي فرساً سائبة أو مجهزة بتخطيط منه ومن الفتاة، فنجا عليها، حتى وصل ثغر مدائن بني سالم وشنت بريه، فطلب الإجارة من الأمير الحكم، فلم يجره أحد[6]، ربما خوفاً من الحكم أو نقمة عليه، وهو أحد الفقهاء الذين خططوا للثورة وهربوا وتسببوا في قتل الأبرياء، فتابع مسيره هارباً، حتى وصل طليطلة، حيث أجاره أحد فقهائها المسمى إبزي[7] أو عبدوس، الذي كان مولى للأمير الحكم وابنه سعيد هو مفتي طليطلة[8]. ولما علم الحكم، بنزول يحيى في

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٣٦٠؛ ابن القوطية: تاريخ ص ٧٣؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٨١؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٧؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٩؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧، ٣٩٣ ؛ ابن خلكان:وفيات، ج١، ص ١٤٦؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص٢٢٨، ٢٣١، ج١٠، ص ٥٢٣؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١١؛ Dozy: Histoire, P. 290 .

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧ ؛ Dozy: Histoire, P. 290 .

(٣) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨. رغم اعتقاد بروفنسال بأنه أعدم ؛ Provencal: Histoire, P. 163 .

(٤) الخشني: أخبار، ص ٣٦٠ ؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٢.

(٥) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٢ (وربما يكون فتح هو المقصود بشقيق يحيى الذي أعدم أمام قصر قرطبة).

(٦) الخشني: أخبار، ص ٣٦٠؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٢.

(٧) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٣.

(٨) المصدر السابق: ج٣، ص ١١٣.

طليطلة التي لم ينسَ أهلها موقعة الحفرة، كاتب أهلها بتسليم يحيى له، فلم يفعلوا، لكن، نتيجة ضغطه عليهم، أرادوا تسليمه، لكن عبدوس أبى عليهم ذلك، وقال لهم: "اكتبوا إلى الخليفة واعتذروا بي وأنا أتوجه إليه بكتابكم"، فكتبوا، وكتب معهم يحيى بن يحيى معرباً عن حجته، فحمل عبدوس الكتاب، وذهب للحكم الذي اتهمه بالخروج عليه، فأجابه قائلاً: "إني لم أفعل هذا الأمر إلا شكراً للأمير أعزه الله ونظراً لعامة المسلمين. فسأله الحكم وكيف ذلك فقال: خشيت أن يكون يحيى بن يحيى إذا لم يجد من يجره...أن يحله (يجبره) إفراط الخوف على الهرب إلى أرض العدو فيعظم طعنهم علينا ويقولون: "هذا رجل من علمائهم وفضلائهم لم يأمن على نفسه عندهم ولا سعة بلدهم حتى لجأ إلينا، فرأيت أن أسكن روعه وأومن خوفه وقد علمت أن الأمير سيتضح له أمره ويعيده إلى حسن رأيه"[١] ، فأمنه الحكم وأعاده إلى قرطبة[٢]، خصوصاً بعد أن توسط له بذلك ابنه الأمير عبد الرحمن وهو ولد صغير[٣].

أما عيسى، فكان ممن "لحقته محنة الهيج، ومبتدأ فتنة الربض، ففر واستخفى إلى أن أمنه الأمير الحكم"[٤]، فرجع إلى قرطبة[٥]. وأخيراً، فإن قرعوس بن العباس "كان ممن اتهم في أمر الهيج فوقاه الله"[٦]. ويفصل لنا القاضي عياض ذلك بقوله:

" وكان ممن اتهم بالهيج والقيام بالنهض على السلطان، فسيق فيمن سيق ملبباً، ووقف فيه تحت النطع، وكلمه فتى على لسان الأمير الحكم، وقال له: "مثلك من أهل الديانة والأمانة في العلم يتابع السفلة، فلو نفذ لهم أمر كم كان يهتك من الستور، ويستحل من الفروج، إلى أن يقوم إمام يريح الناس؛ فقال: معاذ الله أن أفعل أو أتابع في مثل هذا بيد أو لسان، فقد سمعت مالكاً والثوري يقولان، سلطان جائر سبعين سنة، خير من أمة سائبة ساعة من نهار، فقال له الحكم:

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٨١؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٧؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٩؛ ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ١٤٦؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣١؛ ج١٠ ، ص ٥٢٣-٥٢٤.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٣٦١.

(٤) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٧؛ وانظر: ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٣١؛ تاريخ العلماء، ج١،ص ٣٧٤.

(٥) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٣١؛ ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٧٤.

(٦) ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٤؛ وانظر: ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٧٣؛ تاريخ العلماء، ج١،ص٤١٤؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٥.

أنت سمعت هذا منهما؟ قال: الله، لقد سمعته منهما، فخلى سبيله"[1].

ولقد أحسن قرعوس فيما فعله وأنقذ نفسه به في اللحظات الأخيرة، فهو من موظفي الحكم الكبار الذي يعرفون طبيعته النفسية وكيفية التعامل معه، فاستغل ذكاءه ونجا، وهلك الآخرون الذين لم يسمعوا برأي مالك هذا، أو يتذكروه في ذلك الموقف العصيب.

٥- كره الناس للحكم وبخاصة أهل الربض القبلي لكثرة من قتل منهم، وأحرقت قلوبهم عليهم[2] "فمقتته القلوب وأضمروا له الشر، واسمعوه الكلام المر"[3]، ولعنوه[4]، وعادوه[5]، وزاد ذلك، عندما فرض الأحكام العرفية على منطقتهم لمنع قيام أية حركة تمرد فيه[6].

٦- غضب الفقهاء على الحكم لإعدامه فئة منهم وتشريده لفئة أخرى، فتعرضوا له بالقول: "الصلاة يا مخمور الصلاة"[7].

٧- اتخذ الحكم عدة احتياطات، وصار أكثر حذراً، وأقل ثقة بالسكان "فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها، وحفر خنادقها، وارتبط الخيل على بابه واستكثر من المماليك، ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح"[8]، وأنشأ بوابة حديدية جديدة تؤدي للأرباض الشرقية، حيث معسكرات الجند[9] "فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة"[10] عليه.

---

(١) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٢٦.

(٢) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٣) الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢، وانظر: النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٠؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤.

(٤) الذهبي: تاريخ، ج٤، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٩.

(٦) الكبيسي: دور الفقهاء، ص ١٤٤؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ٨٠.

(٧) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٨؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٠.

(٨) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٠-٣٧١؛ وانظر: ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٤.

(٩) Provencal: Histoire, P. 164؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٤.

(١٠) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ Dozy: Histoire, P. 250.

ثورة الربض الثانية ١٩٠-١٩١هـ/٨٠٥-٨٠٦م:

لا تشكل هذه الثورة أية أهمية قياساً بالثورتين الأولى والثالثة، فقد إندلعت وانتهت بسرعة، ولم يكن هناك جديد بأسبابها ونتائجها، كما أن تفاصيلها محدودة لا تعبر إلا عن غضب بعض أهالي قرطبة على الحكم لما أحدثه في الثورة الأولى.

أسبابها:

١- جميع أسباب الثورة الأولى، لأنها متصلة بها ومتممة لها.

٢- ما أحدثته الثورة الأولى من نتائج كانت خلاصتها ضرورة الانتقام من الأمير الحكم والقضاء عليه.

٣- ما أحدثته الضرائب من إساءات مباشرة على التجار، بدأت انعكاساتها تظهر بوضوح بعد مضي فترة من فرضها عليهم.

مجرياتها:

في أثناء حصار الأمير الحكم لمدينة ماردة بغية القضاء على ثورة إصبغ بن عبد الله سنة ١٩٠هـ - ١٩١هـ/٨٠٥-٨٠٦م، استغل أهالي قرطبة بزعامة أحد تجارها واسمه دبييل[١] الوضع، وأظهروا التمرد والعصيان، وأعلنوا الثورة على الدولة الأموية في الأندلس ونظام حكمها، ولما علم الأمير بذلك، فك الحصار، وعاد مسرعاً إلى قرطبة، خشية حدوث شيء فيها، فوصلها في ثلاثة أيام، وتمكن من القضاء على الثورة والسيطرة على الأوضاع[٢].

نتائجها:

١- قضاء الحكم على الثورة، والقبض على الثوار وقتلهم وصلبهم[٣].

---

(١) عنان: دولة، ج١، ص ٢٣٤؛ الكبيسي: دور الفقهاء، ص ١٤٤؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ٨٠.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣؛ Provencal: Histoire, P. 164-165 .

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٣.

٢- مزيد من الكراهية والحقد على الأمير الحكم من الناس والفقهاء في قرطبة وغيرها من مدن الأندلس [١].

٣- هدوء الناس وسكونهم وخضوعهم وارتداعهم من الثورة على الأمير الحكم مدة اثنتي عشرة سنة على الأقل[٢].

٤- مزيد من الاحتياطات للأمير الحكم خشية اندلاع ثورة جديدة.

ثورة الربض الثالثة (الهيج) ٢٠٢هـ/٨١٧م:

أسبابها: تقسم أسبابها إلى قسمين:

أ. **أسباب عامة وهي:**

١- جميع أسباب ثورتي الربض الأولى والثانية ونتائجها لاستمرارها وما ترتب عليها من آثار سلبية تراكمت مدة اثنتي عشرة سنة على أهالي قرطبة وسكان الربض القبلي.

٢- ازدياد نطاق الكراهية والحقد على الأمير الحكم لما ارتكبه من مساوئ، أصبح من الصعب التخلص منها إلا باجتثاث مسببها، مهما كانت الطريقة.

٣- استمرار الفقهاء دون كلل أو ملل في تحريض الناس للثورة على الأمير الحكم باستغلالهم لدروس الوعظ والإرشاد المكثفة في المساجد[٣] والأحياء والمنازل وأماكن العمل، كي لا يتم نسيان ما حدث، بل تبقى النفوس مشتعلة حتى يتمكنوا من خلع الحكم أو قتله.

٤- انتشار حالات القتل بين الأهالي والمماليك الخرس لكراهيتهما المشتركة لبعضهما، إذ أن الخرس تجاوزوا حدودهم في قتل الناس دون سبب، فما كان من الناس إلا أن عاملوهم بالمثل[٤].

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٠١؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٨.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢.

(٣) المراكشي: المعجب، ص ١٢ ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ١٩؛ Provencal: Histoire, P. 164 ؛ Dozy: Histoire, P. 250.

(٤) النويري:نهاية، ج٢٣،ص٣٧٠؛ Dozy: Histoire, P. 250-251 ؛ Amam : "Cordovan", P. 297 ؛ Amam : A Political . 88.

٥- ازدياد أوضاع الناس سوءاً لحدوث المجاعات وكثرة الأموات وارتفاع الأسعار، نتيجة انحباس الأمطار في السنوات: ١٩٧هـ/٨١٢م[١]، ١٩٩هـ/٨١٤م[٢].

٦- تأهب الأهالي والفقهاء وانتظارهم لأية فرصة تسنح لهم للإطاحة بعرش الحكم والقضاء عليه[٣].

ب - أسباب خاصة مباشرة:

هي مجموعة أحداث وقعت بفترة زمنية وجيزة عبرت عن الاستياء العام من الأوضاع القائمة، ومن الأمير الحكم نفسه، وما سبب تراكمها إلا صبر الأمير عليها محاولة منه لإقناع الناس بعدم الثورة عليه، لأنها ليست من مصلحة أحد، وأهم هذه الأحداث:

١- رجم الأمير الحكم بالحجارة في أثناء مسيره بقرطبة، محاولة لقتله[٤]، وعدم نجاح ذلك، لأن حرسه تمكنوا من حمايته وفتح الطريق له للوصول إلى القصر[٥]، وقصة الرجم بالحجارة في الأندلس لمن لا يلتزمون الشرع وأحكامه شيء طبيعي، فقد قال المقري: "وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للأعمال، فكل يوم"[٦]. وقد يصل الأمر إلى أكثر من ذلك: "وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب الأوقات والنظر إلى السلاطين ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامة بذلك وانكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان، وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره، فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبأون بخيله ورجله (ورجاله) حتى يخرجوه من بلدهم"[٧].

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٧٧؛ النويري: نهاية، ج٢٣؛ ص ٣٧٠-٣٧١؛ وقد حاول الحكم مساعدة الناس وتلبية احتياجاتهم حسب قول الشاعر عباس بن ناصح:

نكد الزمان فآمنت أيامه	من أن يكون بعصره عسر
ظلع الزمان بأزمة فجلا له	تلك الكريهة ' جوده الغمر

المقري: نفح، ج١، ص٣٤١.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٣.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ١٢٧؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ١٨٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٦٤؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٨؛ حتي: تاريخ، ج٢، ص ٦٠٩.

(٦) المقري: نفح، ج١، ص ٢٢٠.

(٧) المصدر السابق: ج٣، ص ٢٢٠.

٢- إهانة الأهالي والفقهاء للحكم في غير مكان وبطرائق مختلفة منها: توبيخ أحد الأشخاص إياه في المسجد أمام المصلين الذين شعروا بالرضى والفرح، لأنه عبر عما يختلج في نفوسهم تجاهه فصفقوا وتموجوا[١]، واستمروا في استعمال هذا الأسلوب: "شافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالأكف"[٢] بالطرق العامة، مستهزئين به قائلين له: "يا أيها المسرف المتمادي في طغيانه المصر على كبره المتهاون بأمر ربه، أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك"[٣]. وأخيرا، استخدام منابر المساجد في توجيه هذه العبارة له: "الصلاة الصلاة يا مخمور"[٤].

٣- غضب الأمير الحكم مما يحدث وإعدامه بعض الأعيان والفقهاء[٥] الذين يحرضون الناس ضده، وبلغ عددهم ستة[٦]، وقيل عشرة، فقتلهم ثم صلبهم[٧].

٤- قتل أحد المماليك الخرس أحد المولدين الذين يعملون في مهنة الصيقلة (الحدادة)، بعد مشادة حصلت بينهما بسبب تأخر الصيقلي في شحذ سيف المملوكي، فما كان من الناس إلا أن تجمعوا وقتلوا القاتل[٨]، فاشتبك الأهالي بالجنود، ويبدو أن تمرد الخرس كان واضحاً، فقد حدث في بعض الأيام أن دخل أحدهم إلى المسجد في شهر رمضان قبيل صلاة المغرب، ونادى الحداد ليشحذ له سيفه، فامتثل لأوامره، بعد أن رفض الصبر عليه حتى يصلي[٩]. فطفح الكيل، ولم يستطع الأهالي التحمل أكثر من ذلك. لذا، لا نستبعد في القصة الأولى بين المملوك

---

(١) Amam :A Political . 88 ؛ Amam : "Cordovan" , P. 297 ؛ Dozy: Histoire, P. 250 ؛ علي : مختصر، ص ٣٩٩ ؛

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٨؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٠.

(٣) المراكشي: المعجب، ص ١١-١٢.

(٤) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ وقيل "الصلاة يا مخمور الصلاة"؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٨ ؛ النويري: نهاية، ج ٢٣ ، ص ٣٧٠ . وقد حاول جند الحكم معرفة الأشخاص الذين يقومون بذلك فلم ينجحوا ؛ Dozy: Histoire, P. 250 .

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٨.

(٦) ابن الخراط: اختصار، ص ١٤٢.

(٧) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ البستاني: المعارف، ج٧، ص ١٢٩ ؛ Amam :A Political , 88 ؛ Amam : "Cordovan", P. 297 ؛ Dozy: Histoire, P. 290.

(٨) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٠-٣٧١؛ ابن تغري بردي: النجوم ، ج٢، ص ١٥٨ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩؛ Provencal: Histoire, P. 166 ؛ Dozy: Histoire, P. 297 ؛ Amam : "Cordovan", P. 297; Amam :A Political, 88 .

(٩) Dozy: Histoire, P. 251 .

والصيقلي ان الثاني لم يتحمل الأول فقتله[١]، وهذا هو السبب المباشر لاندلاع الثورة، لأن الناس اجتمعوا بعدها، وساروا إلى قصر الحكم كما سيتضح لنا.

هذه هي الأسباب العامة والخاصة لثورة (هيج) الربض الثالثة التي جمعها وأكدها ابن الاثير، ونفاها وأنكرها أحد الذين روى عنهم ابن عذاري في قولين مختصرين هما:
قال ابن الاثير: "وسببها أن الحكم بن هشام، صاحبها، كان كثير التشاغل باللهو، والصيد، والشرب، وغير ذلك مما يجانسه، وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة، فكرهه أهلها، وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسب، إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان: الصلاة يا مخمور الصلاة، وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالاكف، فشرعوا في تحصين قرطبة وعمارة اسوارها، وحفر خنادقها، وارتبط الخيل على بابه، واستكثر المماليك، ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح، فزاد ذلك من حقد أهل قرطبة، وتيقنوا أنه يفعل ذلك للانتقام منهم. ثم إنه وضع عليهم عشر الاطعمة كل سنة، من غير حرص، فكرهوا ذلك، ثم عمد إلى عشرة رؤساء من سفهائهم، فقتلهم وصلبهم، فهاج لذلك أهل الربض، وانضاف إلى ذلك أن مملوكاً له سلم سيفاً إلى صيقل ليصقله، فمطله، فأخذ المملوك السيف، فلم يزل يضرب الصيقل به إلى أن قتله"[٢].

وقال ابن عذاري: "... كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثمة ضرورة من إجحاف في مال، ولا انتهاك لحرمه، ولا تعسف في ملكه، والحال تدل على صحة ذلك: فإنه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغارم، ولا سخر، ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشراً وبطراً، وملالاً للعافية، وطبعاً جافياً، وعقلاً غبياً، وسعياً في هلاك أنفسهم"[٣].

ونحترم كلا الرأيين، فطبيعة أهل قرطبة وتفسيرهم للأمور بعد تجمع الأسباب الصغيرة لتصبح كبيرة، جعلاهم يثورون، بالرغم من رأي من روى ابن عذاري عنهم.

---

(١) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢ "كان أصل ما هاجها أن بعض مماليك الحكم دفع سيفاً إلى صيقل فمطله، والغلام يتكرر عليه، والصيقل يتهكم به، فأغلظ الغلام للصيقل، وآل الأمر إلى أن خبطه به الصيقل فقتله، وثار الهيج لوقتـه"؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩ "... فاتفق أن مملوكاً خرج من القصر بسيف دفعه إلى الصيقل، فماطله، فسبه، فجاوبه الصيقل، فتضاربا، ونال منه المملوك حتى كاد أن يتلفه، فلما تركه، أخذ الصيقل السيف فقتل به المملوك، فتألب إلى المقتول جماعه، وإلى القاتل جماعة أخرى، واستفحل الشر".

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦.

مجرياتها:

في يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م[١]، وبعد حادثة قتل المملوك للصيقلي، تجمع أهالي الربض القبلي بجنسياتهم ودياناتهم وفئاتهم ومراكزهم الاجتماعية، بغض النظر عن أعمالهم، وتسلحوا[٢] بما وصل لايديهم من سيوف وحراب وفؤوس وبلطات وعصي، وانطلقوا ناقمين على الأمير الحكم، ثائرين عليه، منادين بخلعه[٣]، متجهين لقصره[٤] مع الكثيرين من أهالي مدينة قرطبة والأرباض التابعة لها[٥]، الذين تسلحوا مثلهم ولحقوا بهم، وساروا معهم حتى وصلوا للجسر (القنطرة) بغية الهجوم على القصر، حيث التقوا بجنود الحكم الذين احتشدوا وحاولوا منعهم من اجتياز الجسر، فهزموهم وعبروا الجسر وحاصروا القصر من جميع جوانبه[٦] "في أمم لا يحصيها إلا الله"[٧] فهم "كالذباب كثرة"[٨]. فما كان من الحكم إلا أن نزل من أعلى القصر[٩] وجمع جنوده ونظمهم، وجهزهم بالسلاح، وحثهم على القتال، وعين عليهم قادة من المخلصين له، ووزعهم على كل مرافق القصر بالطريقة التي رآها مناسبة[١٠]، ثم صعد إلى اعلى القصر[١١]، ليشرف على سير الأحداث ويدير المعركة حسب ما تقتضيه الحال.

وقد حاول الثوار تسلق أسوار القصر بغية اقتحامه، لكن استماتة الحامية في الدفاع عنه كانت حائلا دون ذلك[١٢]، فاكتفوا بالحصار، وكبار رجال الثورة من " أهل الحلة وأهل

---

(١) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٥.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج١، ص ٢٩٩؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٣٩.

(٣) مجهول: أخبار، ص ١٣٠؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٠؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٨.

(٤) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٥) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢.

(٦) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥؛ النويري: نهاية، ج ٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨؛ Dozy: Histoire, P. 297.

(٧) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥.

(٨) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦.

(٩) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١.

(١٠) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦؛ النويري: نهاية، ج ٢٣؛ ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨.

(١١) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢.

(١٢) Dozy: Histoire, P. 251, 298.

الفتيـــا"[١] مثل الفقيه طالوت بن عبد الجبار[٢]، والفقيه يحيى بــن يحيى الليثي[٣]، والفقيـه عيسـى بـن دينار[٤] ، وابن وزير[٥] وآخرين، يفكرون في إيجاد طريقة لاقتحام القصر، أو أية وسيلة أخرى، لتنفيذ ما جاؤوا من أجله، لكن الحكم لم يمهلهم، و لم يعطهم الفرصة، فعلى الرغم من أنه كان في وضع لا يحسـد عليه، فقد تمتع بصبر وهدوء أعصاب لا نظير لهما، حيـث طلـب مـن فتـاة برنـت أو يزنـت (وبالعربيـة ياقوت) إحضار زجاجة العطر "الغالية"* ليتطيـب[٦]، وبعدهـا، استبسـل للمـوت[٧]. وفكـر، فدبـر مـع أصحابه خطة محكمة للقضاء على الثورة، تمثلت في محاولة وضـع الثـوار بـين قوتـين علـى شـكل "فكـي كماشة" بمحاصرتهم في ساحة القصر وإحداث الفوضى والاضطراب في صفوفهـم والخـوف والذعـر في نفوسهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

استدعى الأمير الحكم القـائدين عبيـد الله بـن عبـد الله البلنسـي وإسـحاق بـن المنـذر القرشـي وجهزهما بفرقة من الفرسان، وطلب منهما الخروج من القصر بأي طريقة يرونها مناسـبة، للوصـول إلى الربض القبلي وحرقه بمن فيه[٨]، فأحدث القائدان مع الفرسان ثغرة في السور المواجه للربض القبلي

---

[١] ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥.

[٢] ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٥؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٠؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٣؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦١؛ والفقيه طالوت من أشد المخـالفين للأمير الحكم، ومن أكثر المحرضين عليه متهماً إياه بأنه غير عدل؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥٠؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٧.

[٣] ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٣؛ ابن خلـدون: تـاريخ، ج٤، ص ١٦١؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١١؛ ج٥، ص ١٥؛ Dozy: Histoire, P. 251.

[٤] الخشني: أخبار، ص ٢٧١. ويذكر النويري أن العالم عبد الملك بن حبيب شارك بهذه الثورة؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٣. وعلى الأرجح أنه لم يشارك لأنه كان خارج قرطبة في ذلك الوقت.

[٥] ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥، وهو من أقارب ابن الخطيب الذين استقروا بطليطلة ثم بلوشة، وكان خطيباً بها.

* الغالية: زجاجة عطر فاخرة مصنوعة من مادة الزباد الذي يؤخذ من غدد حيوان السنور؛ Dozy: Histoire, P. 252.

[٦] مجهول: أخبار، ص ١٣٠-١٣١؛ المراكشي: المعجب، ص ١٢؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦؛ ابـن سعيد: المغرب،ص ٤٣؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥. وقد افتن أصحاب الروايات في هذه المصـادر بالحديث عما دار بين الحكم وفتاه، فبعد أن طلب الحكم منه إحضار الزجاجة، دهش الفتى واستغرب وقال لسيده: "أهذا يوم طيب يا سيدي" أو "وأي وقت غاليـة" أو "وأي ساعة طيب هذه"، فغضب الحكم منه ونهره وصاح به قائلاً له: "يا ابن الفاعلة" أو " اسكت لا أم لك"، اذهب "وائت بـه ويحـك! وإلا، فمن أين يعرف رأس الحكم من غيره من الرؤوس إذا لم يكن مضمخاً بالغالية" أو "من أيـن يعـرف قـاتل الحكـم رأسه من غير رأسه إذا هو حزه، إن لم يفرق الطيب بينهما".

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على شجاعة الحكم وثقته بنفسه وطول تجاربه وخبرته وعدم خوفه من الموت، لأنه يتعرض له في كل لحظة، وعلى تصميمه وإرادته في خوض المعركة وهزيمة الثوار.

[٧] ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥.

[٨] ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ المراكشي: المعجب، ص ١٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨. ويذكر دوزي أن الأمير الحكم قد طلب من هودير رئيس سـجن "Rotonda" أن يخرج من القصر ويقوم بحرق الربض القبلي دون رحمة أو رأفة، فلم يمتثل أوامره. فاسـتدعى القائدين عبيـد الله وإسـحاق للقيـام بالمهمة؛ Dozy: Histoire, P. 252 .

وخرجوا منه، وقاتلوا الثوار وهزموهم[1] ، وقيل: بل حرروا الباب القبلي (باب الجسر) من الثوار وخرجوا منه[2]، أو أنهم خرجوا من باب الحديد من الجهة الشرقية، وانحرفوا جنوباً نحو الزقاق الكبير، ووصلوا إلى الرملة ومنها عبروا مخاضة (ماؤها رقراق) في نهر الوادي الكبير، حتى نزلوا "دمنة الخشابين" محتجبين عن الأنظار لكثرة الشجر فيها، متابعين سيرهم، حتى وصلوا الربض القبلي وأشعلوا النيران فيه[3] .

إن الروايات التي ذكرت كيفية خروج الفرسان من القصر لا يخلو أي منها من الصحة، فقتال الفرسان المدربين والمجهزين بالسلاح للثوار العامة غير المدربين وغير المجهزين بالأسلحة وهزيمتهم واختراق صفوفهم لتنفيذ المهمة الرئيسية التي كلفهم إياها الحكم شيء منطقي وطبيعي إذا علمنا أنه تم بسرعة لم تلفت انتباه جميع الثوار لانشغالهم بالقتال[4] على المحاور الأخرى التي افتعلها الأمير ليشتت انتباهم عن فرسانه، وإن حدث وانتبهوا، فإنهم لن يهتموا بهم كثيرا، لأن عددهم قليل، وللاعتقاد بأنهم هاربون من الحصار يريدون النجاة بأنفسهم، ولوجود من يصدونهم عن دخول الربض إن حاولوا ذلك، لكن، لم يعتقدوا أو يظنوا أن هؤلاء سيدخلون ربضهم ويحدثون الحريق فيه.

وبعد أن نفذ عبيد الله وإسحاق مهمتهما وأشعلا النيران في الربض القبلي، قتلا من وجدوهم بالمنازل وأسراهم وسلباهم ونهباهم[5] "وعملوا كل قبيح"[6]، كما أشاع الحكم بوساطة أتباعه الخبر بين صفوف الثوار[7]، فاضطربت نفوسهم، ودب الذعر في قلوبهم، وتخلخلت صفوفهم، ولم يفكروا إلا بإنقاذ أهاليهم ومنازلهم وحيهم الذي التهمته ألسنة النيران، فانسحبوا عن حصار القصر مسرعين عائدين، ففوجئوا بجنود الأمير متربصين بهم من أمامهم ومن خلفهم، فلم يستطيعوا الفرار، ووقعوا

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩ ؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦ ؛ Provencal: Histoire, P. 168 .

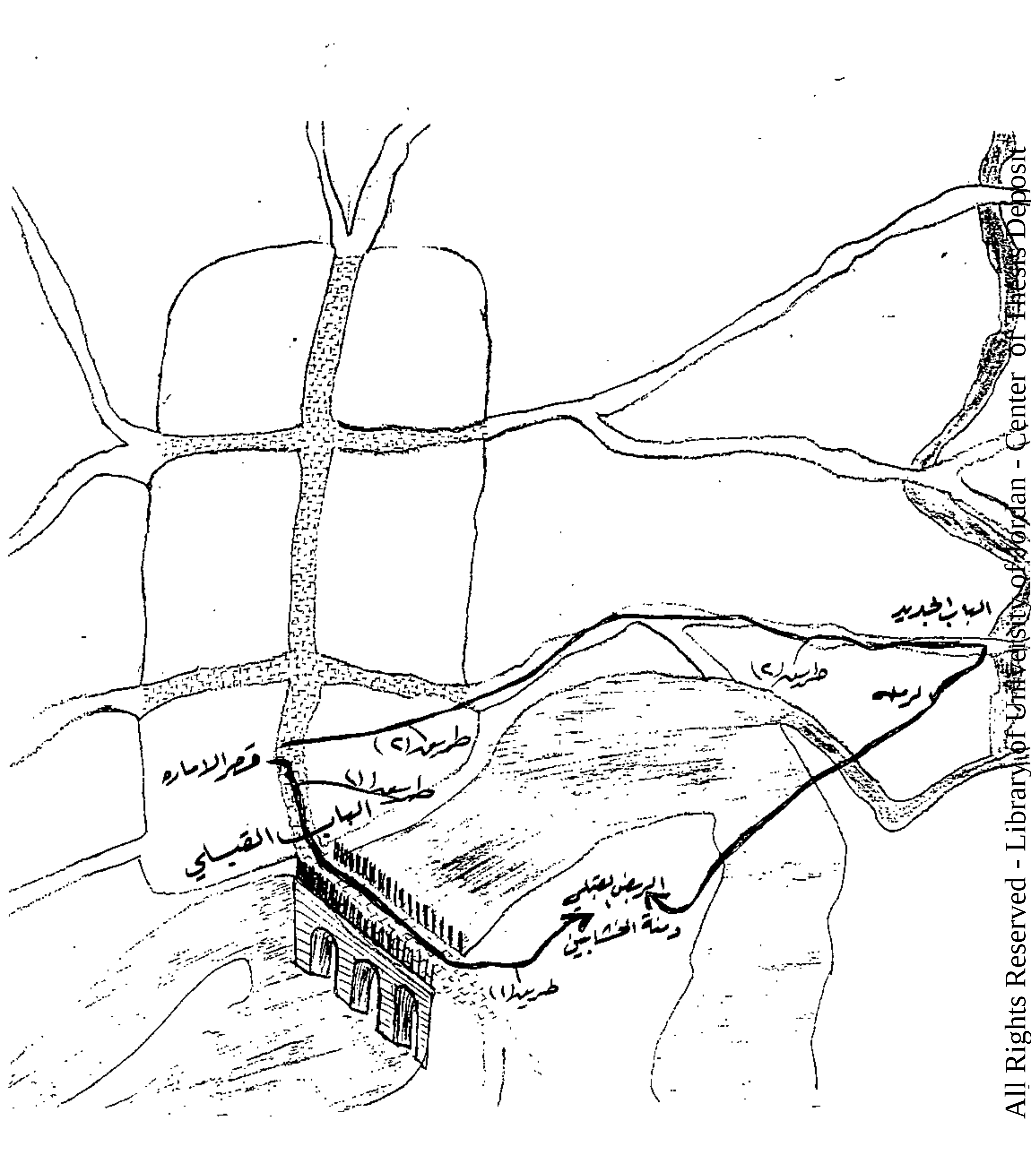
(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦؛ شيبوب: "جمهورية"، ص ٢٢٩-٢٣٠؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٦ ؛ بدر: دراسات، ص ١٢٣ ؛ Provencal: Histoire, P. 168 .

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨.

(٦) الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨.

(٧) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦.



خط مسير فرسان الأمير الحكم من القصر إلى الربض القبلي

بين "فكي الكماشة" وقتل منهم مقتلة عظيمة[١]، وهزموا شر هزيمة[٢]، و لم ينج أي واحد منهم من هـذا الحدث الجلل، فمن نجا من القتل أصيب بأهله أو ماله أو الاثنتين معا[٣]، وأوجز ابن عذاري في تعبيره مـا حدث بقوله: "فلم يبقَ أحد منهم دون أهله ومنزله، وانصرفوا راجعين نحوهـا. فأخذتهم السيوف من أمامهم وورائهم، فقتلوا قتلاً ذريعاً، وتتبعوا في الأزقة والطرق، يقتلون؛ ونجا منهم من تأخر أجله، ففر لم يلوِ على أهل ولا ولد"[٤] .

ومما يجدر ذكره أن الثوار لما شاهدوا النيران تلتهم حيهم والجنود محاصرين لهم، طلبوا من الأمـير الحكم أن يعفوَ عنهم ويسامحهم، معلنين له الطاعة والولاء كما قال الذهبي: "وعاينوا البـلاء مـن قدامهـم ومن خلفهم فتداعوا بالطاعة، وأذعنوا ولاذوا بالعفو"[٥]، فلـم يجبهـم الأمـير إلى مـا سـألوا، بـل أبـادهم ومزقهم وشردهم، وطبق المثل الأندلسي القائل: "اقلع الضرس يزول" أو "اقتل عدوك لست تلقاه"[٦].

نتائجها:

ترتب على هذه الثورة نتائج كثيرة، منها ما هو مباشر لها، ومنهـا مـا هـو بعيـد المدى، ويمكـن حصرها بالنقاط التالية:

١- هزيمة الثوار من أهالي الربض والأرباض الأخرى في قرطبة، وقتل أعداد كبيرة منهـم، تراوحـت بين عشرة آلاف[٧] وأربعين ألفاً[٨]، والرقم الأول يتعلق بمن قتلوا من الثوار في ساحة القصر، أما الرقم الثاني، فربما يشمل هؤلاء، ومن قتلوا بعد ذلك في الأرباض، خصوصاً القبلي منهـا، وعـن هذه الحال، عبر أحد الشعراء بقوله:

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عـذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج٣، ص ٦٨؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ المراكشي: المعجب، ص١٢؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦؛ ابن عـذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦؛ الذهبي: تاريخ، ج ١٣، ص ٦٨؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٢؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧.

(٤) المصدر السابق: ج٢، ص ٧٦-٧٧.

(٥) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٦) الزجالي: أمثال، ج٢، ص ٩٠.

(٧) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦.

(٨) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

والربض لا شيوخ ولا حجاج   وأرامل ملاح بلا أزواج[١]

٢- استباحة جنود الحكم الربض القبلي مدة ثلاثة أيام، واحداثهم الكثير من القتل والأسر والنهب والسلب[٢]، بالإضافة إلى الحريق، لكل ما وصلت إليه أيديهم، حتى أمرهم الحكم بالتوقف.

٣- استمرار ملاحقة الثوار في دورهم[٣]، وقتل بعضهم وأسر آخرين ووضعهم في السجون[٤]، مثل سجن قرطبة قرب القنطرة، وسجن آخر قرب المسجد الجامع، وحبس الدويرة داخل القصر، وسجن المطبق وغيرها[٥]، والتعامل معهم بإحدى الطريقتين:

أ- اختيار ثلاثمائة من زعمائهم وإعدامهم وصلبهم أمام القصر من المرج إلى المصارة[٦]، أو على الجذوع المنصوبة من رأس القنطرة إلى آخر الرصيف[٧]، أسوة بزملائهم السابقين في الثورة الأولى.

ب - قطع رؤوس من تبقى منهم في السجون قطعاً جماعياً بأوامر من الأمير الحكم[٨]، فقد حدث أن طلب الأمير من رجل اسمه جدير أن يفعل ذلك قائلاً له: "إذا أظلم الليل أخرج هؤلاء مشايخ السوء وأمر بضرب رقابهم وصلبهم"، فرفض قائلا: "والله يا مولاي إني لأكره لك ولنفسي أن أكون غداً وأنت في زاوية من زوايا جهنم تهر إلي

---

(١) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٨٢.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ النويري: نهاية، ج ٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج ١٣، ص ٦٨؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

(٣) الخشني: قضاة، ص ٤١؛ عياض: ترتيب، ج١، ص ١٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٨؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ النويري: نهاية، ج ٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج ١٣، ص ٦٨؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

(٥) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٨؛ ابن حوقل: صورة، ص ١١٣؛ ابن حزم: رسائل "نقط العروس"، ج٢، ص ٦٠؛ أبو ارميلة: النظم، ص ٢١٠-٢١١؛ سالم: قرطبة، ج١، ص ٢١٨-٢١٩. وقد وضع في هذه السجون بعض وجوه أهالي قرطبة الذين ذهبوا يطلبون العفو من الأمير الحكم؛ Amam : "Cordovan", P. 298.

(٦) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٩٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٤؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٧٧. ولا صحة لرأي المؤرخ حتسي في أنه بعد إعدامهم، علقوا من أرجلهم، ورؤوسهم مدلاة للأسفل؛ حتي: تاريخ، ج٢، ص ٦١٠. ؟ ثم إن عددهم ليس ٣٦ شخص كما يذكر أمام الدين؛ Amam: "Cordovan", P. 89.

(٨) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٨.

وأهر اليك لا تنفعني ولا أنفعك" فنهره الحكم وعزم تنفيذ ذلك، فلم يجبه، فوبخه، واستدعى ابن نادر، فنفذ المهمة[١].

٤- إصدار الأوامر بالتوقف عن الاستمرار في القتل والأسر والسلب والنهب بعد إنقضاء الأيام الثلاثة، وذلك لانتهاء كل فعاليات الثورة، ولهول ما حدث، ولهدوء أعصاب الحكم وجنده، ولتلبية رجاء الناس، ولكثرة من توسطوا من الوجوه والأعيان من داخل قرطبة وخارجها، ومن أشهرهم قاضي قرطبة في ذلك الوقت الفرَج بن كنانة الذي ذهب للأمير قائلاً له: "أيها الأمير أصلحك الله، إن قريشاً حاربت النبي صلى الله علية وسلم وناصبته العداء، ثم إنه صفح عنهم وأحسن إليهم، وأنت أحق الناس بالاقتداء به لقرابتك منه"[٢]، "ومكانك في خلافته في عباد الله"[٣].

و لم يصدر الحكم أوامره هذه إلا بعد استشارته لقادته في ا لكف عن الناس أو متابعة عقابهم، فأشارت عليه مجموعة بزعامة عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث بالصفح والعفو عنهم، ومجموعة أخرى بزعامة فطيس بن سليمان بعدم العفو عنهم والاستمرار في معاقبتهم، فأخذ الحكم برأي المجموعة الأولى، لأنهم الأكثرية من جهة، ولأنه كان ميالاً لرأيهم من جهة ثانية، فأصدر أوامره بالتوقف عن استباحة الربض، والعفو عن الناس وإعطائهم الأمان[٤].

إن الأمان الذي أعطاه الحكم لأهالي الربض القبلي لم يكن عاماً وشاملاً، بل كان مقيداً مشروطاً في خروجهم من ربضهم بشكل خاص وقرطبة بشكل عام (جلاء) في مدة لا

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٨.

(٢) الخشني: قضاة، ص ٤١؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٤؛ النباهي: تاريخ، ص ٥٣. وقد جاء في هذه المصادر أيضاً أن سبب ذهاب القاضي للأمير هو تجني الجند على الأهالي في منازلهم، والإساءة لهم بالرغم من أن بعضهم أبرياء، فقد سمع الفرج صراخ إحدى النسوة من جيرانه، فخرج وسأل عن السبب فقالوا له: "جارك فلان بن فلان أتاه الأعوان فهجموا عليه ليقتل"، فذهب الفرج لجند الأمير قائلاً لهم: "ان جاري هذا بريء الساحة، سليم الناحية، وليس فيه شيء مما تظنون"، فرد عليه رئيس الجند قائلاً له: ليس هذا من شأنك، ولا مما عصب بك، انظر في أحباسك وأحكامك، ودع ما لا يعنيك"، فغضب الفرج وذهب للأمير وقال له ما حدث "فأمر بضرب الناظر في ذلك الشغب" وأمر بإطلاق سراح الأسير، ثم أصدر العفو وأعطى الأمان للجميع.

(٣) النباهي: تاريخ، ص ٥٣.

(٤) الخشني: قضاة، ص ٤١؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٠٠؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١-٣٧٢؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

تتجاوز ثلاثة أيام، ومن لا يفعل ذلك يستبح دمه[١]، وقد أذن لهم بالخروج دون أن يتعرض لهم أحد[٢].

وقد شمل هذا العفو والأمان الجميع دون استثناء، وممن شملهم بعض زعماء الثورة، مثل الفقيه يحيى بن يحيى الليثي والفقيه عيسى بن دينار والفقيه طالوت بن عبد الجبار المعافري، أما يحيى، فيبدو أنه هرب مرة ثانية لطليطلة[٣]، بعد أن صودرت أمواله[٤]، وبقي بها حتى أمنه الحكم وأعاده إلى قرطبة[٥]، ويتضح ذلك من رد الأمير على رسالة ليحيى بكتاب جاء فيه:
" أما بعد، فقد بلغني كتابك في ما سألت من أمانك ورد مالك وقد بعثنا إليك بأمانك وأمرنا برد مالك عليك وتقدمنا إلى أصبغ في الحاق صاحبيك بك إن وافقك ذلك حسن عائده عليك والله المستعين"[٦].
فرجع يحيى وباع عبيده واستبدلهم غيرهم مجيباً من سأله عن ذلك بقوله: "نكره أن يصحبنا من عرف ما دار علينا من الهرب والذل"[٧].

وهنا، يذهب أستاذي الفاضل الدكتور محمد عبده حتاملة في شأن يحيى بن يحيى الليثي بأنه أحد رجال الحكم المقربين. لذا، فقد عهد إليه تدبير مؤامرة ضده ليزوده بأسماء من يفكرون بالثورة عليه من الفقهاء والأعيان، بغية القبض عليهم وعقابهم دون إحداث مشكلات وفتن داخلية من جهة ـ كما فعل في موقعة الحفرة ـ، ولأجل التفرغ لقتال الممالك النصرانية في الشمال من جهة ثانية، فنفذ يحيى ما طلب

---

(١) عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٠٠؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧١-٣٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٠٠؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٨.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٧٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٨١؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٢١٩؛ ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ١٤٦؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣١، ج ١٠، ص ٥٢٣-٥٢٤.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٣٦١. فقد كان يحيى غنياً ميسور الحال، بدليل الأموال التي حملها معه عندما هرب في المرة الأولى، ولبس زوجته لحذاء مزين بالدر والياقوت شاهده سعيد بن حسان الصائغ في أثناء زيارته لبيتهما فقال ليحيى: " هذا من السرف الذي يسأل عنه"؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١١٣.

(٥) انظر الهامش رقم (٣) من نفس الصفحة. ويقول دوزي بأن يحيى كان مختفياً عند (الكادي) أحد زملائه فأخبر عنه الحكم، فعفا الأمير عن يحيى وعاقب الكادي؛ Dozy: Histoire, P. 255.

(٦) الخشني: أخبار، ص ٣٦١.

(٧) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٩٣.

منه، بعد أن مثل دوره في المسرحية تمثيلاً رائعاً بوصفه زعيماً من زعماء الثوار وأحد الذين تشردوا منهم.

ومما يؤكد هذا الاستنتاج عدم معاناة يحيى كثيراً في طليطلة، فقد عفي عنه، وأعيدت له أمواله، ورجع ليعيش في قرطبة آمناً مطمئناً محافظاً على مكانته، مقرباً للأمير عبد الرحمن بعد وفاة أبيه، كل ذلك حصل، والحكم يستطيع في أي لحظة أن يقتل يحيى ويتخلص منه.

وإن كنت أميل لاجتهاد أستاذي الكبير من جانب، مضيفاً ليحيى صاحبيه طالوت وعيسى (المقصودين بكتاب الحكم على الأرجح) فإن لي إجتهاداً آخر من جانب ثان، سأوضحه بعد الانتهاء من الحديث عن نتائج الثورة.

أما عيسى، فقد هرب واستخفى حتى أمنه الحكم وعاد لقرطبة[١]، وتفصيل ذلك أنه "لما كان الهيج ونفذ عهد الخليفة الحكم رضي الله عنه ألا يقيم بقرطبة غير أهل الأصول وكان عيسى من أهل طليطلة فخرج من قرطبة وصار بجيان فلما سكنت الحال كتب إلى الخليفة الحكم رحمه الله يذكر كونه بجيان وأنه لم يلحق بطليطلة... ووصف حالته ومذهبه فحسن له فوقع فعله من الخليفة رحمه الله عليه وقال: "يا عجباً هذا عيسى بن دينار تحرج من اللحاق بأهله وغيره نجا إليهم وليس منهم"[٢]، وكتب له كتاب أمان هذا نصه: " كتاب من الحكم بن هشام لعيسى بن دينار أني أمنته على دمه وماله وشعره وبشره وأذنت له اللحاق ببلده أو حيث أحب المقام من جميع كورنا وجعلت له بذلك عهد الله جل وعز وذمته وذمة النبيين وذمة محمد صلى الله عليه وسلم وذمم الخلفاء رضي الله عنهم ألا أتعقبه بمكروه ولا أقدم له في سوء ولا أوخر ما وفى واستقام وناصح ولم يحدث حدثاً ينقض به ما فعلت له والله جل وعز على ذلك شهيد وبه وكيل"[٣] .

واخيراً، فإن طالوت عزت عليه مفارقة قرطبة[٤] أو خاف الخروج منها[٥]، فاستخفى مدة سنة كاملة عند أحد طلابه من اليهود، الذي احترمه وأكرمه، ولم يوافق على خروجه من عنده بعد مضي

---

(١) الخشني: أخبار، ص ٢٧١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ٣٣١؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٣٧٤؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٠٧.

(٢) الخشني: أخبار، ص ٢٧١.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧١.

(٤) المراكشي: الذيل، ص ١٥٠.

(٥) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٠.

السنة، لكن طالوت أصر على الخروج، لشعوره بأنه أثقل على اليهودي من جهة، ولأنه مل الاختباء من جهة ثانية، فخرج بين المغرب والعشاء، وذهب للوزير الكاتب أبي البسام أحد طلابه ليأخذ له أماناً من الحكم، فاستقبله ووعده أخذ الشفاعة له، خصوصاً أن الأمير نادم على ما فعل[١].

وذهب أبو البسام في صبيحة اليوم التالي إلى الأمير الحكم، ووضع من يحرس الفقيه طالوت، ولما وصل إليه قال له: كيف رأيك في كبش (عجل) سمين على مذودة اليوم سنة (مذودة منذ سنة يلذ طعمه)، فقال له الحكم اللحم المشبع ثقيل واللحم الصحراوي أخف وأعذب. قال له ابو البسام غير هذا أريد، طالوت عندي، (هذا طالوت رأس المنافقين عندي). قال له الحكم: واين ظفرت به، قال: أتى لطفي عليه (وقد أتت حيلي عليه). فأمر الحكم باحضاره[٢].

وذهب أبو البسام ليأتي بطالوت، وجلس الحكم يتوقد غيظاً عليه[٣]، فلما دخل طالوت لم يظهر الحكم غضبه[٤]، وقال له: يا طالوت اخبرني، لو أن أباك أو ابنك قعد مقعدي، أكان يزيدك في البر والإكرام على ما كنت أفعله بك، هل أوردت قط علي حاجة لنفسك أو لغيرك إلا سارعت إلى إسعافك فيها؟ ألم اشاركك في حلوك ومرك؟، ألم اعدك في علتك مرات؟، ألم تتوف زوجتك فقصدتك إلى بابك، ومشيت في جنازتها راجلاً من الربض ثم انصرفت معك راجلاً حتى ادخلتك منزلك؟، وغير ذلك من التوقير فعلته معك؟. فما الذي حدث حتى جعلك لا ترضى إلا بسفك دمي وهتك ستري وإباحة حرمتي؟. فقال له طالوت: لا أجد لنفسي في هذا الوقت مقالاً خيراً لي من الصدق اني كنت ابغضك لله فلم يمنعك ما صنعت معي لغير الله، واني لمعترف بذلك، أصلحك الله. فوجم الحكم وقال

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٥؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٠؛ المراكشي: المعجب، ص ١٢-١٣؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥٠؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٣٩.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٥-٧٦؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥٠-١٥١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤١.

(٤) **Dozy: Histoire, P. 257** واخبره بأن زوجته وأولاده بخير.

له: إن الذي ابغضتني من أجله قد صرفني عنك، فانصرف في حفظ الله آمناً. ثم قال فياليت الذي كان لم يكن، فقال له طالوت: لو لم يكن لكان خيراً لك[١] .

وبعد أن عفا الحكم عن طالوت وقبل أن يخرج من القصر، سأله الحكم عن الطريقة التي ظفر بها أبو البسام به، فقال له: والله ما ظفر بي، أنا ظفرته بنفسي. ثم سأله الحكم فأين كنت مدة سنة؟، فقال له: عند رجل من اليهود حفظني لله. فاتجه الأمير للوزير قائلاً له: يا أبا البسام رجل من اليهود حفظ فيه محله من الدين والعلم، وخاطر بنفسه وأهله وماله وولده معي، واردت أن تزيدنا فيما نحن نادمون عليه من سوء الانتقام، أخرج عني لا أرانا الله في القيامة وجهه إن رأينا لك وجهاً أبداً[٢]. وأكرم الحكم اليهودي وأعفاه من الجزية، وأحسن إليه، فأسلم اليهودي[٣] ، وبقي طالوت مبروراً محفوظاً حتى توفي وحضر الحكم جنازته[٤].

٥- استغلال أهالي الربض القبلي لمنحة الحكم قبل أن يحدث جديد، فسارعوا في النجاة بأرواحهم وأهاليهم، وما يقدرون على حمله مما قل وزنه وارتفع ثمنه، وخرجوا من الربض قبل أن تنتهي المدة المحددة لهم[٥]، وكان خروجهم في مجموعات، حتى لا يتعرض الجند لهم بالأذى، وأفراداً مستخفين حتى لا يلحق بهم الضرر، وبالرغم من هذا وذاك، فقد تحملوا الصعاب، و لم يسلموا من اعتداءات الجند عليهم وعلى أهاليهم وأموالهم بالرغم من أوامر الحكم بعدم التعرض لهم، وعبر عن ذلك ابن الاثير بقوله: "وقعد لهم الجند الفسقة بالمراصد ينهبون، ومن امتنع عليهم قتلوه"[٦] ، والنويري بقوله: "فخرج من بقي منهم بعد ذلك مستخفياً، وتحملوا على الصعب والذلول وخرجوا من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وما خف من أموالهم، وقعد لهم الجند

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٥-٧٦؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤١؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥١؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠.
ويذكر المقري أن طالوت لم يكن جافاً مع الحكم، فقد قال له: كيف يحل لي أن أخرج عليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول "سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة"؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٣٩. وهذا الكلام غير دقيق، بدليل ما ذكرناه في المتن من جهة، ولقول دوزي بأن الحكم حاول أن يجعل طالوت يعتذر منه بعد أن سامحه، لكن طالوت أظهر عدم إدراكه لما يريده الحكم؛ Dozy : Histoire, P. 257 .

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ٧٦؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٢؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥١-١٥٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠.

(٣) عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٢؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٧؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٣٤١؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥٢.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٠٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢.

(٦) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٠٠.

والسفلة بالمرصاد ينهبون أموالهم، ومن إمتنع عليهم قتلوه"[١]. وهنا صدق المثل الأندلسي القائل: " يحرق الأخضر باليابس"[٢] شملت المصيبة الصالح والطالح والمسيء والبريء، " وكم من بريء قتل"[٣]

٦- هذم الربض القبلي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فقد " أقسم الحكم بمحرجات الايمان ألا يمشي عن الربض حتى يدعه دكاً "[٤]، وبر بقسمه فهدمت الديار والمنازل والمساجد وكل ما يحتويه الربض من مرافق وخدمات[٥]، وساعدهم على ذلك الحريق الذي أصابه سابقاً، فأصبح الربض أرضاً منبسطة (ممسوحة مسحاً) خالية لا شيء فيها، فأمر بحرثها وزرعها[٦] ، فزرعت بالقمح مباشرة[٧] .

ويذكر ابن حزم أن الذي أشرف على تنفيذ ذلك هو القومس ربيع، الذي يرجح أنه قتل في عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٨] وليس في عصر أبيه، وقد فعل الحكم ذلك ليطفئ نار الفتنة، فلا يعود يتذكرها أحد، ولضمان استمرارية ما فكر به ونفذه، فقد أوصى بعدم إعادة بنائه حسب قول ابن الآبار: "وأمر بهدمه وتعطيله، وصير ذلك وصية فيمن خلفه وعهداً على بنيه ما كان لهم سلطان بالأندلس"[٩] .

وبقي هذا الربض خراباً "فلم يعمر ولا أختطت فيه دار إلى آخر دولتهم، ثم بعدها إلى أن ملك الروم قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وأقام

---

(١) النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢.

(٢) الزجالي: أمثال، ج٢، ص ٤٨٣.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص ٢٥١.

(٤) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦.

(٥) ابن حزم: جمهرة، ص ٩٦؛ ابن حزم: رسائل، ج٢، ملحق (١)، ص ١٩٢؛ الحميدي: جذوة، ق ١، ص ٣٩؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج١، ص ٣٤؛ المراكشي: المعجب، ص ١١-١٢؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤ ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢؛ الذهبي: تاريخ، ج٤، ص ١٢٤؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٥٢٢؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧٠.

(٦) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦؛ الصفدي: الوافي، ج١٣، ص ١١٨؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣.

(٧) Provencal: Histoire, P. 168 .

(٨) ابن حزم: جمهرة، ص ٩٦.

(٩) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤. وآخر ما هدم في الربض هو فندق أقامه بعض الفسقة، فأمر الحكم ابنه عبد الرحمن بهدمه قبل وفاته ففعل؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧.

على ذلك نحواً من أربعمائة سنة وثلاثين سنة، ولا أعلمه إلا كذلك إلى اليوم"[١] . ولم تجر محاولة لإعماره في هذه الفترة إلا زمن الأمير هشام بن الحكم المؤيد، عندما سمح حاجبه المنصور عبد الملك بن أبي عامر بعمارته، فلما شاهد هشام ما حدث، وجه له رسالة يلومه فيها على فعله ومخالفته لوصايا أسلافه وانتهاك ما جرى به التقليد، وطلب منه أن يأمر بهدم ما بني ففعل[٢]. وبقي الربض على ما هو عليه احتراماً لوصية الحكم ونسياناً لما حدث، وخوفاً من حدوث مشكلات على الأراض إن تم التفكير بإعادة بنائه.

٧- تثبيت أوضاع الدّولة الأموية في الأندلس، والسيطرة عليها داخلياً وتوضيح ما جرى للناس في منشور وزع على ولاة مدن الأندلس هذا نصه:

" بسم الله الرحمن الرحيم، فإن الله ذو الفضل والمنن، والطول والعدل، إذا أراد إتمام أمر وتهميه، لمن جعله أهله وكفيه، سدده وأعزه، وانفذ قضاءه بفلحه، ولم يجعل لأحد من خلقه قوة على عناده ودفاعه، حتى يمضي فيه حكمه له وعليه كما شاء، وختم في أم الكتاب لا مبدل لكلماته عز وجل، وأنه لما كان يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، تداعى فسقه أهل قرطبة وسفلتهم، واذنبتهم من الشرطانيين، ألد الفئة، المعلوجي أشراً وبطراً، عن غير مكروه سيره، ولا قبيح أثر، ولا نكر حادثة، كان منا فيهم، فأظهروا السلاح، وتلينوا للكفاح، وهتفوا بالخلعان، وتأنقوا بالخلاف، ومدوا عنقاً إلى ما لم يجعله الله له أهلاً من التأمير على خلقه، والتسور في حكمه. فلما رأيت ذلك من غدرهم وعدوانهم، أمرت بشد جدار المدينة، فشد بالرجال والأسلحة، ثم انهضت الاجناد خيلاً ورجالاً، إلى من تداعى من الفسقة من أرباضها، فأقحموا الخيل في شوارعهم وأزقتهم، وأخذوا بفوهاتها عليهم، ثم صدقوهم الحملات، وكورهم بالسدات المتواليات، فما صبر العبدان أن كشفوا السوءات، ومنحوا اكتافهم المتوانيات ، وأمكن الله منهم ذوي البصائر المؤيدات، فأسلمهم الله بجريرتهم، وصدهم ببغيهم، وأخذهم بنكثهم، فقتلوا تقتيلاً، وعموا تدميراً، وعروا تشويهاً وتمثيلاً، جزاءً عاجلاً على الذي نكثوه من بيعتنا، ودفعوه من طاعتنا، ولعذاب الآخرة أخزى وأشد تنكيلا. فلما قتلهم الله بجرمهم فيها، وأحسن العون عليهم لنا، أمسكت عن نهب الأموال، وسبي الذرية والعيال، وعن قتل من لا ذنب له من

---

(١) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٤. وانظر: ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٠٠؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧٣؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٩٩، هذا بالرغم من محاولة الفقيه عبد الاعلى بن وهب استفزاز الأمير محمد بن عبد الرحمن عندما سأله عن الورع، فأجابه "لو أمرت برد هذا الربض على أهله كان أعود من هذا الذي تسأل عنه واعظم ثواباً " فوجم الأمير، لكنه لم يصغ له؛ الخشني: أخبار، ص ٢٦٠؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ٢٤٧.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص ٤٣٥؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ١٤٦.

أهل البراءة والاعتزال، ازدلافاً إلى رضى الله ناصري عليهم ذي العزة والجلال، تهنأت صلحه وفلحه، واستورعت حمده وشكره، فأحمدوا الله ذا الالاء والقمع، معشرة الأولياء والرعية، الذي أتاح لنا ولجميع المسلمين في قتلهم واذلالهم، وقمعهم واهلاكهم، فما أعظم به علينا المنه، وخصنا فيه بالكفاية، وتمم علينا وعليكم به النعمة، فقد كانوا أهل جرأة مقدم، وذعرة ضلاله واستخفاف بالائمة، وظهير إلى المشركين، وحطوط اليهم، وتحنن لدولتهم، فلله الحمد المكرور، والاعتراف المذخور على قطع دابرهم وحسم شرهم، أحببت إعلامك بالذي كان من صنع الله عليهم لولائك بنا، ومكانك منا، لمشاركتنا في نصرته، وتحمد الله من قبلك من شيعتنا ومعتقدي طاعتنا، على جميل صنعه فيه، وتشيعوا شكره ان شاء الله"[1].

ولقد أراد الحكم من صياغة هذا المنشور وإرساله للولاة أن يبرئ نفسه في أنه على حق، ويحكم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا يرضى لأحد أن يتجاوز ذلك كما فعل فسقة أهل قرطبة، وليكسب ولاء الولاة والناس في مدنهم حتى لا يثوروا عليه، ولا يفكروا بذلك، ولا يسمحوا لأحد بفعل أي شيء مخالف للنظام، وإلا فسيصيبه ما أصاب غيره، ثم إن هناك خطراً جديداً ظهر في ذلك الوقت، جعل الحكم يحسب حسابه، هو ظهور قوة الدولة الإدريسية في المغرب، ومحاولتها الامتداد بعد أن استقبلت الثوار ورحبت بهم، فأراد الحكم أن يعزز أنصاره حتى لا يكون فريسة سهلة لهم.

ومما يؤكد ذلك وصية الحكم لابنه عبد الرحمن التي جاء فيها:

" إني قد وطدت لك الدنيا، وذللت لك الأعداء، وأقمت أود (الاعوجاج) الخلافة، وآمنت عليك الخلاف والمنازعة، فاجر على ما نهجت لك من الطريقة، وأعلم أن أولى الأمور بك وأوجبها عليك، حفظ أهلك ثم عشيرتك ثم الذين يلونهم من مواليك وشيعتك، فهم انصارك وأهل دعوتك، ومشاركوك في حلوك ومرك، فبهم انزل ثقتك ... ولا تدعن مجازاة المحسن بإحسانه، ومعاقبة المسيء باساءته، فإن التزامك لهذين، ووضعك لهما موضعهما، يرغب فيك ويرهب منك"[2] .

وقول لطيف آخر للمؤرخ دوزي جاء فيه:

---

(١) عنان: دولة، ج١، ص ٢٤٢-٢٤٣، نقلاً عن قطعة مفقودة لمقتبس ابن حيان. وقد ورد جزء قصير ملخص من هـذا المنشور عند المؤرخ الذهبي؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠.

(٢) عنان: دولة، ج١، ص ٢٤٥؛ هيكل: الأدب، ص ١١٢-١١٣، نقلاً عن قطعة مفقودة من مقتبس ابن حيان.

"... كما لو الخياط الذي يستخدم الابرة في حياكة قطع الملابس لقد استخدمت سيفي في إعادة توحيد أقاليمي المقسمة، و لم يكن عندي اسوأ من أن أرى (أكثر كرهاً لدي من أن أرى) امبراطوريتي متفرقة أو مقطعة الأوصال"[١].

وانشاده له بيتاً من الشعر يعبر عن كل ما سبق جاء فيه:

فهاك سلاحي إنني قد تركتها

مهاداً و لم أترك عليها منازعا[٢]

٨- تحسين أوضاع الفقهاء والعلماء بعد أن قضى على نفوذهم، وبدأ ذلك بالعفو عن معظمهم مثل يحيى وعيسى وطالوت[٣]، وذلك لشعور الحكم بضرورة تغيير سياسته معهم، فالقوة وحدها لا تكفي لتثبيت أركان الدولة، ولا بد من كسب الصبغة الشرعية من الفقهاء والحصول على تأييدهم ليعلو جاهه بين الناس، وبالمقابل، يحظى الفقهاء بالاحترام والأموال والمناصب الدينية[٤]. لذا، فقد ظهرت فئة دينية إدارية جديدة في نهاية عهد الحكم وبداية عهد ابنه عبد الرحمن، عرفت بالمشاورين أو شيوخ العصر، وعرف زعيمهم برئيس المفتين (الفتيا) أو رئيس البلد، أو شيخ المسلمين أو شيخ القضاء[٥]، وأكثر الذين أفادوا من هذه الفئة هم الفقهاء الذين شاركوا في الثورة، أو ممن كانوا يتقلدون مناصب كبيرة، وقد وصل نفوذهم مرحلة لا تطاق زمن الأمير عبد الرحمن جعلته يطلق عليهم لقب : "سلسلة السوء"[٦]، وحاول الحد من نفوذهم في

---

(١) Dozy: Histoire, P. 259 .

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٤؛ مجهول: أخبار، ص ١٣٣؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٢. وبالرغم من كل ذلك يجب التنبيه على أن الاستقرار وتثبيت الوضع في قرطبة لم يكونا سريعين ومباشرين، بل أخذا وقتاً بعد الثورة، فقد كان وضع الناس كما قال ابن حيان: "فأكثروا الخوض وأطالوا الهمهمة، وفزع رؤوسهم إلى السمر في مساجدهم بالليل، مستخفين من السلطان، مدبرين عليه، وقد كان خائفاً من ثورتهم، متهمماً لدخلتهم، حذراً منهم، مستعداً لهم، مرتقباً لوثبتهم، مرتبطاً الخيل على باب قصره، نوباً بين غلمانه..." ؛ عنان: دولة، ج١، ص ٢٤٣-٢٤٤، نقلاً عن قطعة مفقودة لمقتبس ابن حيان.

(٣) الخشني: أخبار، ص ٢٧١؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٥-٧٦؛ عياض: ترتيب، ج٤، ص ١٤٤؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ المراكشي: المعجب، ص ١٢-١٣؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥٠؛ النويري: نهاية، ج٢٣، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٣٠؛ النباهي: تاريخ، ص ٥٣؛ المقري: نفح، ج٢، ص ٦٣٩.

(٤) مؤنس: شيوخ، ص ٢٤، ٢٦، ٣٥؛ الكبيسي: دور، ص ١٤٨؛ الشعراوي: "هياج"، ص ٢١.

(٥) مؤنس: شيوخ، ص ٢٦، ٢٨-٣٠؛ مؤنس: معالم، ص ٢٨٨.

(٦) الخشني: قضاة، ص ٥٥؛ ابن حيان: المقتبس من أنباء، ص ٦٦-٦٧.

تعيين أشخاص من غيرهم في سلك القضاء لم يكونوا مؤهلين لذلك، مثل القاضي يخامر بن عثمان الذي هجاه الغزال قائلاً:

فسبحان من أعطاك بطشاً وقوة

وسبحان من ولى القضاء يخامرا

فما كان من عبد الرحمن، إلا أن أرسل بكتاب عزل يخامر، فلما استلمه يخامر قال للرسول، "قل للأمير أصلحه الله: إذ وليتني امرتني أن اتحفظ من السلسلة السوء، واليوم تعزلني ببغيها علي" ، فلما بلغ الفتى قوله للأمير، قال: قبحه الله ذكر اسرارنا على رؤوس الناس"(١). وهنا، اضطر الأمير إلى إيجاد وسائل أخرى للحد من نفوذهم تمثلت في تقريب أصحاب الحديث والممارسين للعلوم والتراث والفنون بأنواعها، مما أدى إلى ظهور عدة اتجاهات، منها ما هو فقهي، وفلسفي، وطبيعي(٢) .

٩- تأثر الحكم مما حدث جراء هذه الثورة(الهيج)، فندم وتاب(٣)، خصوصاً بعد أن أصيب بعلة الفالج التي لازمته بعد الثورة حتى وفاته(٤) ، وعن ذلك يعبر المؤرخون بقولهم:

- " ولما حدث على الحكم بن هشام الوقيعة الربضية، وكان له الفلج وبأهل الربض الدبرة"(٥).

- " ولم ينل الحكم بعد وقيعة الربض حلاوة العيش، وامتحن بعلة صعبة طاولته أربعة أعوام، فلت عزه به، واطالت ضناه، واحتجب فيها آخر مدته واستناب ولده عبد الرحمن في تدبير ملكه، فمات على توبة من ذنوبه وندم على ما اقترف منها"(٦).

-" ولما دنت وفاته، عتب نفسه فيما تقدم منه عتاباً، وتاب إلى الله متاباً، ورجع إلى الطريقة المثلى، وقال: أن الآخرة هي الابقى والاولى، فتزين بالتقوى، واعتصم بالعروة الوثقى، وأقر بذنوبه واعترف، وأنس إلى قوله تعالى (ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)"(٧) .

---

(١) الخشني: قضاة، ص ٥٥.

(٢) الوزاد: "الاتجاهات الفكرية"، ص ١٦٠-١٧٣.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٧؛ عياض: ترتيب، ج٣، ص ٣٤٢؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٨٠؛ المراكشي: الذيل، ص ١٥٢؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٢.

(٤) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٧؛ ابن حزم: رسائل "نقط العروس"، ج٢، ص ٥٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦ ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج٣، ص ٣٨٦. وكان لسان حاله يقول من شدة الثورات في عهده: "نغص علينا كل شيء حتى الموت" ؛ الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٢٥.

(٥) ابن الخطيب: الاحاطة، ج٣، ص ٣٨٦.

(٦) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٦-٤٧.

(٧) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٨٠؛ لذا فقد كان القرآن هو رفيقه في نهاية حياته؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٧.

١٠- أعتق الحكم مماليكه وأحسن إليهم لحمايتهم ونصرتهم له بالربض، وقال: "ما استعدت الملوك بمثل الرجال، ولا حامي عنها كعبيدها"[١]

١١- تفرق أهل الربض القبلي الذين أجلوا عن قرطبة بمناطق ومدن مختلفة، سواء أكان داخل الأندلس كطليطلة وسرقسطة أم خارجها كالإسكندرية وفاس وجزيرتي كريت وقبرص ومناطق أخرى غيرها[٢] كما سيتضح لنا في نهاية هذه الدراسة.

هذه هي ثورات الربض الثلاث التي تشابهت في أسبابها ونتائجها العامة (الفشل)، وتفاوتت في أهميتها ومجرياتها؛ فقد احتلت الثورة الثالثة المرتبة الأولى، والثورة الأولى المرتبة الثانية، والثورة الثانية المرتبة الثالثة الأخيرة، ذلك أن الثورة الثالثة كانت ثورة شعبية كبيرة شارك فيها الأهالي والفقهاء والأعيان على اختلاف جنسياتهم ودياناتهم وفئاتهم ومراكزهم الاجتماعية، فقد طبقوا مثلهم القائل: "أخط مع الجماع ولا تصب وحدك"[٣]، وكانت أسبابها كثيرة ومتراكمة نظرياً وعملياً، ومجرياتها عنيفة، فقد استخدم السلاح كلا الطرفين، ونتائجها وخيمة من قتل وأسر وسلب ونهب وحريق وتشرد. لذا ، فقد أصبحت حدثاً فاصلاً مشهوراً يؤرخ به "الهيج"[٤]، ومن الصعب نسيانه.

أما الثورة الأولى، فهي ثورة فقهاء على الأغلب، لم تشمل جميع الجنسيات والديانات والفئات البشرية، ومجرياتها ونتائجها ليست عنيفة وخطيرة مقارنة بالثالثة. وأخيراً الثورة الثانية التي لم تشكل أهمية، مقارنة بالثورتين الأولى والثالثة، لأنها لم تأت إلا لتعبر عن غضب سريع لبعض الأفراد الذين لم يستطيعوا التحمل والصبر على الحال التي وصلوا إليها، ولم تكن خسائرها كبيرة قياساً بغيرها.

وتعود أسباب فشل هذه الثورات جميعها لعدم وجود زعامة أو قيادة منظمة لها، وقد تم إدراك هذا الشيء في تلك اللحظات، فقد روى ابن الخطيب أن "حداداً كان بين يديه صبي يسوق الكير، وأبصر اجتماع الناس وحضورهم في الأسلحة، فقال: ومن رئيسهم؟ فقيل: ليس لهم رئيس، فقال

---

(١) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٣.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣-٧٤ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٨؛ المراكشي: المعجب، ص ١٢؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨؛ الذهبي: سير، ج٩، ص ٢٢٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤ ، ص ١٦٢، ٢٧٠؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩؛ ج٢، ص ١١؛ ج٥، ص ١٦.

(٣) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٦٨؛ ج٢، ص ٣٣ " مت مع الناس ولا تعش وحدك".

(٤) الخشني: أخبار، ص ٢٧١؛ ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١١؛ ج٢، ص ١٩، ١٧٤؛ تاريخ العلماء،ج١، ص ١٩؛ ج٢، ص ١٧، ١٧٧؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥ "هيج الرعاع".

للصبي: يا صبي حرك الكير وأعمل عملك، فإن هؤلاء لا يكون منهم شيء"[١]. كما أن شبريط أحد أمراء المولدين المسجونين في الثغر الأعلى لما سمع بالثورة قال: "أهم غنم" لو كان لها راعٍ! كأني بهم قد مزقوا"[٢].

ولعدم وجود قيادة منظمة، فإن الثورة كلها لم تكن منظمة في ترتيب أعدادها وتوزيع عدتها والتخطيط لها، على عكس تنظيم جند الحكم الذين ائتمروا بأمره وأعدوا العدة، ونفذوا ما خطط لهم، وقضوا على الثورات دون رحمة أو رأفة، فإنهم لو لم يفعلوا ذلك لكانت نهايتهم، فحماستهم لم يكن لها نظير، وأي غريق لا يخشى البلل، ولو توافر هذا الأمر عند الثوار مع بعض الإمكانات الرئيسة، لكان لهم شأن آخر.

وقد اعتز الحكم وافتخر بنجاحه في القضاء على ثورات الربض، فنظم شعراً يوضح فيه قوته، ويتحدى كل من يحاول الوقوف بوجهه قائلاً:

رأبت صدوع الأرض بالسيف راقعا	وقدماً لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري: هل بها اليوم ثغرة	ابادرها مستنضي السيف دارعا
تركت على الأرض الفضاء جماجما	كأقحاف شريان الهبيد، لوامعا
تنبئك أني لم أكن عن قراعهم	بوانٍ، وأني كنت بالسيف قارعا
وأني إذا حادوا جزاعاً عن الردى	فما كنت ذا حيد عن الموت جازعا
حميت ذماري وانتهكت ذمارهم	ومن لم يحام ظل خزيان ضارعا
ولما تساقينا سجال حروبنا	سقيتهم سماً من الموت ناقعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم	فلاقوا منايا قدرت ومصارعا
فهاك بلادي، انني قد تركتها	مهاداً، و لم أترك عليها منازعا[٣]

---

(١) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٥-١٦.

(٢) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢. وقد أعدمه الحكم لأن ما قاله يحتمل السخرية به كزعيم.

(٣) ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٩٢؛ مجهول: أخبار، ص ١٣٢-١٣٣؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٣٠٠؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٧-٤٨؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٤-٤٥؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧١-٧٢؛ الصفدي: الوافي، ج٣، ص ١١٩؛ الكتبي: فوات، ج١، ص ٣٩٣-٣٩٤؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٤.
وللحكم أبيات شعر أخرى يعبر فيها عن قوته العسكرية لم أجد داعياً لذكرها. انظر: ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٩.

هذا عن مدح الحكم لنفسه، فأين الشعراء؟ ومدحهم له؟ ولو من باب النفاق والكسب؟ وأين المعارضون له من الشعراء على فعلته العظيمة هذه؟

يبدو أن هناك تكتماً إعلامياً على ما حدث، فلم يصلنا شعر من يؤيد أو يعارض إلا القليل القليل، وذلك محاولة جادة من الجميع لنسيان ما حدث، فمثلما هدم الحكم الربض وأوصى من جاء بعده من الأمراء بعدم إعادة بنائه، فقد أصدر أوامره بمنع الحديث والكتابة عما وقع بالربض، سواء أكان ذلك في الشعر أم النثر أم التاريخ والقصص، وعين من يثق بهم بالرغم من أنه لا يثق بأحد، لمراقبة ذلك، وكان هو رئيسهم، فقد كان يقرأ بنفسه بعض ما يصدر من الكتب، ووجد بخط يده إلحاقاً على بعضها[١]، وكان يعاقب كل من يخالف أوامره، فسجن أحمد بن محمد بن فرج الجياني سبع سنوات بسجن جيان لكلمات قالها لم يصلنا منها شيء مما نظم، ولم يعف عنه إلا بعد وفاة الأمير بالرغم من الحاحه بطلب العفو منه[٢]. لذا، فإنه لم يتجرأ أحد على الكتابة بالموضوع في كل مدن الأندلس خوفاً من بطش الحكم أو الأمراء الذين جاءوا بعده، لأنه أوصاهم بذلك، منعاً من إثارة الفتنة وإعذاراً له على ما فعل، ولإعادة التوازن في المجتمع القرطبي، ولمحاولة نسيان ما حدث مع الوقت، "فليس يقول الحق، إلا صبي أو أحمق"[٣] ، وما وصلنا كان بمحض المصادفة في كتب الأمثال الشعبية التي أرادت أن توضح تأثير البربر في اللغة العربية في هذين البيتين:

والربض لا شيوخ ولا حجاج ... وأرامل ملاح بلا أزواج

ويجون طول النهار عن حاج ... واشيات ليس ينبغي أن تقال[٤]

أو في كتب لم نتمكن من الاطلاع عليها لضياعها جاء فيها:

يا أهل قرطبة الذين تواكلوا ... جد الدفاع من التواكل أفضل

جد الدفاع لو أنكم دافعتم ... يوم الهياج لكم أعز وأجمل

إن التواكل وهنة ومذلة ... والجد فيه الصنع والمتمهل

صرتم أحاديث العباد وكنتم ... عوناً لهم في كل هم ينزل

أمسى عبيدكم الذين ملكتم ... ملكوا عليكم والأمور تحول[٥]

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٩٧؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٩٥.

(٢) عباس: تاريخ الأدب، ص ١٠٠-١٠١.

(٣) الزجالي: أمثال، ج٢، ص ٢٧٣. "لا تقل طابت ولا احترقت" ؛ الزجالي: أمثال، ج٢، ص ٢٦٤.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص ٢٨٢.

(٥) عنان: دولة، ج١، ص ٢٤٤ ؛ الشعراوي: "هياج"، ص ١٣؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ٨١؛ ويبدو أنها مأخوذة من قطعة ضائعة لمقتبس ابن حيان.

وعودٌ على بدء، للإجابة عن بعض التساؤلات التي وردت في هذا الفصل عن الفقهاء وموقفهم من الثورات وما آلت إليه حالهم، وموقف الناس منهم، فنقول: إنه من دراستنا، اتضح لنا أن الفقهاء الذين شاركوا في الثورة، جلهم من أتباع المذهب المالكي الجديد، ويسعون لتفرد مذهبهم في المجتمع، وتفردهم بالمناصب كي تبقى القيادة والقوة لهم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن موقف المالكيين وغيرهم من الثورة لم يكن واحداً، بل انقسم إلى ثلاثة أقسام: مؤيدون، ومعارضون، ومحايدون. ولكل قسم من هؤلاء مصالح خاصة اتفقنا على أنها ليست إحقاقاً للحق كما يبدو لنا ظاهرياً، وإن كان ذلك جزءاً يسيراً منها، ومن فئة المؤيدين المشاركين بالثورة: يحيى بن مضر القيسي، ويحيى بن يحيى الليثي، وعيسى بن دينار، وأبو كعب بن عبد البر واخوه عيسى، وقرعوس بن العباس، وموسى بن سالم الخولاني وابنه، ومالك بن يزيد التجيبي، وطالوت بن عبد الجبار المعافري. وربما أيضا: صعصعة بن سلام، وعبد الرحمن بن موسى الهواري، وأحمد بن زياد بن عبد الرحمن، وقطن بن اللجلاج، وبشر بن قطن، وسعيد بن ابي هند، وعبد الرحمن بن دينار، وزيد بن الحباب، ومحمد بن خالد الأشج، وزونان ابن الحسن، ويحيى بن يزيد الأزدي، وعامر بن أبي جعفر، وعلكدة بن نوح بن اليسع الرعيني، ويحيى ابن إبراهيم بن مزين، ونصر الجهني، الذين لم تصرح المصادر بمشاركتهم، لكن سير حياتهم وبعض الأحداث التي تعرضوا لها وسنوات وفاتهم تجعلنا نرجح تأييدهم للثورة، ومشاركتهم فيها وإعدام بعضهم بعدها، وما إغفال المصادر لهم إلا تمشٍ مع سياسة التكتم الإعلامي التي ذكرناها سابقاً.

أما المعارضون للثورة والثوار من الذين أعلنوا موقفهم صراحة للحفاظ على مصالحهم، فمنهم الفقيه محمد بن سعيد السبائي الذي "باين بالتزام الطاعة وظاهر بها يوم الهيج، عرف له بذلك وعرف عنه"[١]، ويوسف بن مطروح الربضي الذي كان يعمل في قصر الأمير في أثناء اندلاع الثورة.

وأخيراً، فإن الغالبية من الفقهاء سواء أكانوا داخل قرطبة أم خارجها وقفوا على الحياد، مبدين عدم رضاهم عن الوضع العام، محاولين ألا يكون لهم دور في إحداث الفتنة بين المسلمين، ميالين إلى المحافظة على مصالحهم ومكاسبهم، ومن أشهر هؤلاء:
محمد بن بشير وابنه سعيد، والغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن (شبطون)، والفرج بن كنانة، وعبد الله بن موسى الغافقي، وحسين بن عاصم الثقفي، ومحمد بن خالد بن مرتنيل، ومحمد بن عيسى المعافري، وحارث بن أبي سعد، ويحيى بن معمر الألهاني، وإسماعيل بن بشر التجيبي، والأسوار بن عقبة الفهري، وعبد الملك بن الحسن (زونان)، وسعيد بن حسان الصائغ، وقاسم بن هلال، وعبد الملك

---

(١) الخشني: أخبار، ص ١١٣.

ابن حبيب، وسوار بن طارق، وحاتم بن سليمان، وشبطون الأنصاري، وأحمد بن زكريا بن يحيى، وعبد الرحمن بن الفضل الكناني.

وهناك فئة كانت بين المؤيدين ظاهراً والمعارضين باطناً، تلك هي كبار رجال الحكم المقربين له من الفقهاء، الذين استخدمهم في مساعدته على الكشف عن الثوار بغية القضاء عليهم، كيحيى بن يحيى الليثي وعيسى بن دينار وطالوت بن عبد الجبار المعافري، وما يقودنا لإتهامهم الصريح هو مشاركتهم الفاعلة في الثورة، ونجاتهم من الموت، وتمكنهم من الهرب وعفو الحكم عنهم، مع أنهم زعماء الثورة وأسباب المصائب والأحزان التي مزجت بدماء الأهالي، ولحق الأمير جزءاً منها.

ولكي نكون مجردين من أي دافع لاتهامهم أو تبرئتهم، نتذكر سير الأحداث التي مرت بهم قبل الثورة وبعدها، فثلاثتهم كانوا مقربين من الحكم قبل الثورة، واثنان منهما (يحيى وعيسى) شاركوا في الثورة الأولى زعماءَ لها تقريباً، و لم يصبهم أي مكروه، فقد استطاعوا الهرب. وفيما بعد، حصلوا على العفو والأمان من الأمير الحكم، أما طالوت، فقد برز أكثر منهما في الثورة الثالثة، واستطاع معهما أيضا أن ينجو هو للمرة الأولى وهما للمرة الثانية دون أن يصيبهم أي مكروه، ثم يعودون ليحصلوا على العفو والأمان من الحكم، كل هذا حدث ونحن نعرف جميعاً أن أعداداً كبيرة من الفقهاء أعدموا وصلبوا بعد الثورة الأولى وقتل معظمهم وأسروا وسجنوا وصلبوا في أثناء الثورة الثالثة وبعدها فإذا أردنا أن نتهمهم بالتآمر مع الأمير الحكم وخيانة الثوار منذ البداية وحتى النهاية، فإن المصادر أغفلت الحديث عنهم بشيء من التفصيل مبتعدة عن أي اتهام لهم، لكننا نشعر من استقصاء المعلومات بأنهم لم يتعبوا كثيراً في فرارهم وغربتهم مع ما ورد في المصادر من معاناة طبيعية لكل منهم، على عكس ما كان يحدث مع الآخرين الذين أغفلت المصادر ذكرهم من الذين قبض عليهم، وقتلوا، فالفقيه فتح شقيق يحيى قتل بالرغم من نصيحة يحيى له بعدم الذهاب إلى رئيس البوابين، لأنه يعرف ما ستؤول الحال إليه، لكنه لا يستطيع كشف نفسه بأنه متآمر، فترك أخاه ليلاقي قضاء الله وقدره. ثم أصبح هؤلاء الفقهاء أصحاب مكانة كبيرة في نهاية عهد الحكم وعهد ابنه الأمير عبد الرحمن من بعده، فيحيى هو رئيس المفتين وكبير شيوخ العصر الذي لم يكن يعين أي قاضٍ في مدن الأندلس إلا بعد مشورته، وكان هو صاحب القرار في عزله، كما أن الأمير عبد الرحمن كان يجله ويحترمه مثل الابن البار لأبيه وربما أكثر.

هذه هي حال فقهائنا الثلاثة، الذين لو أراد الحكم البطش بهم لفعل ذلك بكل يسر وسهولة في المكان الذي يلتجئون إليه في غربتهم أو بعد عودتهم.

وهذه دوافع اتهام لهم، أما الدفاع عنهم، فيتلخص في أنهم من كبار رجال الدولة الدينية والدنيوية، وليس من السهل اتخاذ قرار بالقضاء عليهم، وهربهم شيء طبيعي، شأنهم شأن غيرهم، ومن اليسير عليهم تنفيذ ذلك، لمعرفتهم بالمدينة وطرقها وأبوابها وما جاورها، ولكثرة أموالهم التي تساعدهم على جلب من يعاونهم والعيش في أي مكان يريدون، ولصداقاتهم العديدة مع الفئات المتنفذة وغير المتنفذة، داخل قرطبة وخارجها، ولمكانتهم عند الجميع. لذا، تشدد الحكم في وضع الحراس على أبواب مدينة قرطبة، وما قصه الفقيه يحيى مع أخيه فتح إلا أمرٌ طبيعيٌّ، ففتح يعرف رئيس البوابين، واعتقد أن بمقدوره الخروج، ويحيى يعرفه أكثر من أخيه، لكنه حريص، فنصح لفتح بعدم الذهاب، لمعرفته بالحكم وطبيعة رجاله، بالإضافة إلى شدة ما رأى بأم عينيه من قبض وقتل للناس، فلم يرد أن يغامر.

ومن السياسة ألا يقدم اثنان على خطر يمكن لأحدهما النجاة منه، في الوقت الذي يستفيدان منه سوياً إن زال.

ويعود عدم شقاء الفقهاء في العيش بغربتهم لنفس المسوغات التي ساعدتهم على الهرب، وما عفو الحكم عنهم واحترامهم بعد الثورة الأولى إلا أمر مبالغ فيه، ذلك أنه لا شيء يذكر في هذا المجال، فقد استثناهم من كل شيء، وصاروا كغيرهم من الناس، لا أهمية لهم عنده، فعملوا بالخفاء ضده، حتى أعلنوا ثورتهم الثالثة، وبعدها قربهم إليه، ورد اعتبارهم لعظم المصيبة، ونتيجة لما حدث، أراد الحكم أن يظهر أنه صاحب قلب كبير وليس من الذين يحقدون على الفقهاء، فهذب بذلك نفوسهم ونفوس الناس التي امتلأت بالغيظ تجاهه، وساعده على إتمام ما بدأه شعوره بالندم، خصوصاً بعد إصابته بالفالج.

وإذا كان لا بد من حكم نهائي على هذه الفئة، فافتراض أن بعضهم قد عمل مع الحكم ضد الثوار أمر وارد – كابن الشماس –، فقد كانت للأمير عيون يخبرونه كل شيء، لأنهم أرادوا بمساعدته حقن دماء المسلمين وعدم إثارة الفتنة بين صفوفهم حسب قول شيخهم "سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة"، ومن أجل التفرغ لمحاربة نصارى الشمال الذين تجاوزوا في اعتداءاتهم أرض الأندلس واحتلوا بعضها، وللحفاظ على مكانتهم ومصالحهم، لأنهم إن لم يمتثلوا للأوامر فقدوها. لكن ما حدث أخيراً هو أنهم لم يستطيعوا الاستمرار في الاتفاق مع الحكم ضد الثوار، فقد نقض وعده معهم، وخذلهم في نوع العقاب الذي حل بالمعارضين، فندموا على ما فعلوا، واستغفروا الله، وتحولوا ليكونوا ضده، وفشلوا في عمل أي شيء، فعفا عنهم، كي تهدأ الأوضاع داخل قرطبة ومدن الأندلس، ولا تتصاعد الفتن الداخلية، فتؤدي إلى سقوط ملكه الذي لم يصنع ما صنع إلا من أجل الحفاظ عليه؟.

هذا استنتاجنا، ولكل رأيه الخاص، فها هم أولاء الشعراء يظهرون نقمتهم على الفقهاء، ويهجونهم قائلين:

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك وقسمتهم الأموال بابن القاسم(١)

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصة في أخذ مال مساجد وكنائس(٢)

وقال فيهم يحيى الغزال:

لست تلقى الفقيه إلا غنياً ليت شعري من أين يستغنونا

تقطع البر والبحار طلاب الرزق والقوم ها هنا قاعدونا

إن للقوم مضرباً غاب عنا لم يصب قصد وجهه الراكبونا(٣)

وقالوا عنهم في الأمثال الشعبية:

" أسرع من يد فقي إذا أقل خذ"(٤)

" خاف الله واتقيه ولا تعامل الفقيه"(٥)

وإذا أردنا أن نحكم على موقف الفقهاء المؤيدين للثورة والمعارضين لها والمحايدين فلكل اجتهاده، والفئة الأولى تستند إلى حكم الشرع في أنه إذا أصيب الحاكم المسلم بعدالته وارتكب المعاصي كما فعل الأمير الحكم، فإنه فقد شرطاً من شروط تولي الإمارة (الخلافة). لذا، لا بد من عزله. أما الفئة الثانية، فعدوا مثل هذا العمل في تلك الظروف فتنة ستكون نتائجها وخيمة، ولا بد من طاعة الأمير لأنها حق من حقوقه على الرعية ومحاولة إصلاحه حتى يحكم الله، والله خير الحاكمين. أما الفئة الأخيرة، فكانوا بين بين، يعرفون أن هناك أخطاء لكنها ليست مما تستوجب الثورة، وقد حل لنا ابن تيمية هذه المشكلة في قوله عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم

---

(١) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٣٠؛ المقري: نفح، ج٣، ص ٤٤٨.

(٢) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٣٠.

(٣) عنان: دولة، ج١، ص ٢٤٩؛ عنان: تراجم، ص ١٦٠؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٢٠.

(٤) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٣٠.

(٥) المصدر السابق: ج١، ص ٢٣٠.

ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قلنا يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقامُوا فيكم الصلاة، ألا ! من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصيته فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة "[1].

هذا هو الأصل الذي يجب أن يكون نظرياً، لكن، إذا وقعت المصيبة عملياً كما حدث بثورات الربض، فما حكم الشرع في ذلك؟

أجابنا ابن تيمية أن هذه فتنة، وهي من أعظم المحرمات وأكبر المنكرات، وتصل إلى درجة الكفر حسب قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: " لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض"، ولأن المسلم لا يكفر بالذنب، فما علينا إلا الإصلاح بالعدل حسب قوله تعالى "وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين"* [2].

وأخيراً، لا بد من تحليل عام لشخصية الحكم المتناقضة التي وصفه المؤرخون بها نظرياً ودلت عليها أفعاله عملياً، فإن لكل صفة التصقت به عملاً يؤكدها، اتضح من حديثنا عنه في دراستنا في غير موقع وبمناسبات مختلفة، نجمل بعضها بالقول: إن الشجاعة والحزم والعنف والجبروت والصرامة والظلم وسفك الدماء سمات نسبية تمثلت في قضائه على الثورات الداخلية، وعقاب كل من حاول الخروج عن طاعته دون رحمة أو رأفة، وقتاله وجهاده المستمرين للممالك النصرانية في الشمال دون هوادة. أما العزة والأنفة والهيمنة والدهاء، فاتضح من محافظته على أركان دولته، بالرغم من الأحداث الداخلية والخارجية الصعبة التي واجهته، ومحاولته الدؤوبة لإيجاد طرق وحلول جذرية لكل ما يظهر على الساحة من جديد، فلكل مقام مقال، ولكل حادثة حديث، ويكفيه أنه حكم دولة مترامية الأطراف تحتوي مختلف الجنسيات والديانات والفئات الاجتماعية.

---

(١) ابن تيميه: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م) الخلافة والملك، تحقيق: حماد سلامه، مراجعة الدكتور محمد عويضة، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٩، وسيشار لـه: ابن تيميه: الخلافة.

* الحجرات: أية ٩.

(٢) ابن تيمية: الخلافة، ص ٩٥-٩٦.

وأما تواضعه للحق وحبه للعدل فلا أدل من ذلك من احترامه للعلماء والفقهاء والقضاة في تنفيذ أحكامهم على نفسه، وأقرب الناس إليه والمتنفذين في الدولة، فالمساواة بالظلم عدل؟ وما عفوه عن أهالي الربض والفقهاء بعد الثورة الثالثة إلا دلالة على أنه صاحب عفو، وما وصلنا من شعره واهتمامه بالأدب إلا دلالة على بلاغته وفصاحته؟.

إن الأحداث الكثيرة التي مرت بمراحل حياة الحكم المختلفة، منذ كان شاباً يافعاً لم يتعود ثقل المسؤولية و لم يمتلك الخبرة الكافية لإدارة شؤون الدولة، حتى أصبح كهلاً مسؤولاً عن دولة كبيرة ورعايا كثر، اكتسب بإدارتها خبرات كثيرة ومتنوعة، يجعلنا نحاول فرز صفاته والأحداث التي مرت به من جديد، ويجعلنا ندرك مدى التناقض في شخصيته وأفعاله، فالإنسان بطبيعته متغير بتغير الزمان والمكان والأوضاع القائمة، فكيف تكون الحال إذا كان هذا الإنسان إنساناً وأميراً مسؤولاً؟. نعم، نحن أمام شخصية عجيبة متناقضة حتى في مرحلة واحدة من مراحل حياته في أثناء تقلده للمسؤولية، وذلك لطبيعة الأحداث التي تواجهه، وضرورة استخدام الأساليب المختلفة والمتناقضة للسيطرة على الأوضاع، والمحافظة على كرسي العرش. لذا، لا نستغرب إذا سمعنا أنه أعدم الكثير من الفقهاء وعفا عن بعضهم، بل عاقب من وشى بهم كأبي البسام، و لم يعاقبهم، وسجن بعض من ذهبوا يتوسطون لأهالي الربض وقتلهم واحترم الفرج بن كنانة وأوقف المجزرة، وقرر إخراج أهالي الربض القبلي من قرطبة ومن الأندلس كافة، ثم استثنى ذوي الأصول منهم، وسمح لهم بالعودة واختيار المكان الذي يشاؤون في مدن الأندلس، كل ذلك لأن للمسؤولية شأناً خاصاً بها، لذا فإن شخصية الحكم مموهة "به ميل إلى الشدة كما به ميل إلى الرقة"[١] . ولا نستطيع أن نقيمها من جانب واحد، على الرغم من أن كل الظروف تساعدنا على ذلك إذا أردنا أن نأخذه من الزاوية التي نميل إليها، كما فعل الكثيرون، فالمعلومات والأحداث التي وردت في المصادر تسعفنا بالنجاح في مهمتنا، فإن أردنا أن نجعله خيراً فاضلاً فعلنا، وإن أردنا أن نجعله فاسقاً شريراً فعلنا، وإن اردنا أن نكون منطقيين، فعلينا الاعتراف بذكائه وقوته وشدة مراسه واتخاذه للقرار دائماً من موقع القوة لا الضعف، فيغير ويعدل ويبدل ما يريد بالطريقة التي يراها مناسبة، وهذا لا يعني بالضرورة أننا نؤيده في سياسته التي اتبعها خصوصاً في ثورة الربض، فقد كانت وصمة سجلت عليه وارتبطت باسمه وطمست أعماله الحسنة طيلة فترة حكمه، ويؤكد ذلك تقييم ابن الخطيب له بنظم بعض الأبيات الشعرية التي جاء فيها:

---

[١] محمود: اتجاهات الشعر، ص ٥٣.

حتـى إذا الدهـر عليـه احتكما قام بها ابنه المسمى حكمـا
واستشعر الثورة فيها وانقبض مستوحشاً كالليث أقعى وربض
حتى إذا فرصته لاحت تفض فأوحش الوقعة في أهل الربض
وكان جباراً بعيـد الهمـة لم يرع من آل بها أو ذمـة [1]

وإذا أردنا أن نضع أعمال الحكم بين كفتي ميزان، فإنه يصعب علينا ترجيح كفة على أخرى، فالحيرة تصيبنا، وكأنه ممن يتبعون مذهب المرجئة في أن لكل عمل حساباً، ولا يمنع الجمع بين الخير والشر إذا كانت الحال تتطلب ذلك، والسياسة لا تعرف المبدأ، والغاية تسوغ الوسيلة. ومهما يكن الأمر، فإن للضرورة أحكاماً، وهذا ما اقتضته الضرورة في عهده.

---

(١) ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ٤٨٢.

الفصل الرابع

أهل الربض فـــــي
فاس، والإسكندرية، وإقريطش

الفصل الرابع

أهل الربض في فاس، والإسكندرية، وإقريطش

تنفيذاً لأوامر الحكم وطلباً للنجاة بالأرواح والأموال، هب أهالي الربض هاربين من قرطبة أفراداً ثم بمجموعات، فقد انطلقوا أفراداً متفرقين خشية التجمع وإحداث بلبلة جديدة، ولما تجاوزوا حدود قرطبة، تجمعوا والتم شملهم ليسيروا جنباً إلى جنب في هجرتهم التي لم يتفقوا على تحديد مكان واحد لها، فمنهم من هاجر إلى طليطلة[١] وسرقسطة[٢] داخل بلاد الأندلس، ومنهم من وصل إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط واستقر في داخل وأطراف بعض ثغوره الساحلية[٣]، واجتاز الباقون البحر قاصدين الخروج من بلاد الأندلس، حيث استقر معظمهم في ثلاث مناطق رئيسة هي: فاس[٤] والإسكندرية[٥]، ثم جزيرة إقريطش (كريت)[٦] .

---

(١) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج١، ص ١٩، ج٣، ص ٣٨٦؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ، ج١، ص ١٢؛ تاريخ العلماء، ج١، ص ٢٠.

(٣) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٤) البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت. ص ١٥٥، وسيشار له: البكري: المغرب؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٧٧ ؛ ابن ابي زرع: علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) الأنيس المطوب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٤٧، وسيشار له: ابن ابي زرع: الانيس؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ المكناسي: أحمد بن القاضي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، ٢ج، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج١، ص ٣٧-٣٨؛ وسيشار له: المكناسي: جذوة؛ المكناسي: الاكسير، ص ٦٣؛ الناصري: أحمد بن خالد (ت ١٣١٩هـ/١٩٠١م): الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، ٩ج، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، ج٤، ص ١٦٧؛ وسيشار له: الناصري: الاستقصا.

(٥) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٨-٣٩٩؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٨؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ابن خلدون:تاريخ، ج٣، ص٣١٧، ج٤، ص ٢٧٠؛ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢ج، دار صادر، بيروت، د. ت، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت. ج١، ص ١٧٢؛ وسيشار له: المقريزي: الخطط؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(٦) البلاذري: فتوح، ص ٢٣٨؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٣١؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣١٩؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٧٠؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٣؛ الذهبي: سير، ج ٨، ص ٢٢٩ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٣١٧؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٦٢.

واختلف المؤرخون في تحديد عدد المهاجرين من أهل الربض إلى هذه المناطق فقيل: إن عددهم بلغ عشرين ألفاً[1] ، وقيل ستين ألفاً[2] ، وربما زاد العدد عنهما، فقد كان الخروج على شكل عائلات، وليس أفراداً من الرجال فقط، فإذا افترضنا أنها بلغت عشرين ألف عائلة، وأن كل عائلة مكونة من خمسة أفراد على الأقل، فيعني ذلك أنهم وصلوا إلى مئة ألف، وهذا الرقم غير مبالغ فيه، بالرغم من أن المؤرخ بروفنسال قدر أن عشرين ألفاً رقم مبالغ فيه[3]. ثم إن الأمير الحكم بعد أن سكن غضبه، سمح للبعض من ذوي الأصول في قرطبة أن يبقوا فيها، وسمح لمن خرج منهم بالعودة إليها[4] ، ثم أجاز لغيرهم الاستقرار في مدن الأندلس المختلفة، ومن تتح له الفرصة أن يبقى داخل محيط بلاده فلا شك أنه لا يغامر بالخروج منها، خصوصاً، أن كاهله مثقل بأهله وولده، وهذا يحول بيننا وبين الجزم في عدد الذين هاجروا، ويجعلنا نميل لقول ابن الخطيب بأن من خرجوا من قرطبة هم أضعاف القتلى فيها[5].

وقد فرّ بعض أهالي الربض واستقروا خفية بمدينة طليطلة، لمخالفة أهلها الأمير الحكم، خصوصاً بعد أن أوقع بهم في الحفرة، ولأن بعضاً منهم من ذوي الأصول فيها، وما كان استقرارهم في قرطبة إلا حفاظاً على مصالحهم المتعددة في عاصمة البلاد. أما من خرجوا إلى فاس والإسكندرية ثم إلى جزيرة إقريطش (كريت) فسنتحدث عنهم حديثا مستقلاً كما يلي:

أهل الربض في فاس:

هم ثمانية آلاف عائلة[6] ، أي أن أربعين ألفاً من الربضيين الذي هاجروا من قرطبة تجمعوا بالقرب من مضيق جبل طارق في الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف، ثم احتازوا المضيق لينتقلوا من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب (بلاد

---

(١) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦؛ Provencal: Histoire, P. 169؛ بدر: دراسات، ص ١٢٣؛ شيبوب: "جمهورية"، ص ٢٣١؛ وقد ذكر المقريزي ان عددهم عشرة آلاف؛ المقريزي: الخطط، ص ١٧٢.

(٢) بروكلمان: تاريخ، ص ٢٨٩.

(٣) Provencal: Histoire, P. 169.

(٤) الخشني: أخبار، ص ٢٧١.

(٥) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦.

(٦) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٧؛ المكناسي: جذوة، ص ٣٨؛ حتـــي: تاريخ، ج٢، ص ٦١٠؛ Amam :A.A Political,P. 89;Amam :"Cordovan", P.299"؛ Dozy:Histoire,P.254؛ وورد عند الناصري بأنهم أربعة آلاف عائلة؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٧.

البربر[١] ، ونزلوا في الريف المغربي على ساحل البحر الأبيض المتوسط[٢]، وبعدها، توجهوا للاستقرار في فاس، لكن، كيف تم ذلك؟ وما الطريق التي سلكوها؟، وكيف تمكنوا من اجتياز المضيق؟، وما موقف أهالي المغرب منهم؟، وكيف سكنوا مدينة فاس واستقروا فيها حتى أيامنا الحالية؟.

سلك الربضيون إحدى الطرق الرئيسة التالية:

أ- قرطبة - المرية - البحر المتوسط - موقع وهران - فاس.

ب - قرطبة - إشبيلية - شذونة - جزيرة طريف - مضيق جبل طارق - طنجة - فاس.

ج - قرطبة - غرناطة - رندة - الجزيرة الخضراء - مضيق جبل طارق - سبتة - طنجة - فاس.

ولا نستطيع أن نجزم أياً من هذه الطرق سلكوا، فلكل واحد ما يسوغ المسير فيه، فالأول وبعد اجتياز البحر المتوسط - بوساطة المراكب التي زودهم الحكم بها - والنزول في موقع وهران وعدم استقبال الأهالي لهم، جعلهم في حيرة من أمرهم، فمنهم من غامر وبقي في المراكب حتى وصل الإسكندرية، ومنهم من نزل ساحل المغرب ليبدأ رحلته البرية في البحث عن مكان يستقر به، وكانت نهاية المطاف الوصول إلى مدينة فاس. أما الطريق الثاني، فإنه بعد أن هاجر الربضيون من قرطبة إلى إشبيلية التي رفض أهاليها استقبالهم خوفاً من الأمير الحكم، خرجوا إلى شذونة التي لم يختلف حالها عما قبلها، وكذلك جزيرة طريف، فاجتازوا المضيق إلى طنجة وغيرها من المناطق الساحلية المغربية التي لم ترحب بهم حتى نزلوا فاس، وأخيراً، فإن الطريق الثالث يجمع بين الأول والثاني، فيسمح للمهاجرين بالذهاب إلى المرية، وبعدها يختارون المكان الذي يمكن أن ينزلوا به، أو يقرروا مباشرة المسير لاجتياز مضيق جبل طارق إلى بلاد المغرب، لتيقنهم من عدم استقبال أهالي مدن الأندلس لهم، والبحث عن مكان يعيشون به، فكان آخر الأمر وصولهم إلى مدينة فاس.

هذه الطرق التي سلكها الربضيون برية وبحرية، ولكل منها وسيلة نقل استطاعوا الحصول عليها في الطريق الأول والثاني والثالث، فكما أن الحكم زود من وصل إلى المرية بمراكب للخروج من بلاد الأندلس[٣]، فقد زود من وصل إلى الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف بمراكب للخروج منهما عبر

---

(١) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٣) اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) تاريخ اليعقوبي ، ٢ج، دار صادر، بيروت، د. ت. ج٢، ص ٤٤٦ ؛ وسيشار له: اليعقوبي: تاريخ.

المضيق، لكن، بعدد أقل، لطبيعة العدد من جهة، ولعدم وجود دار صناعة كما هي الحال في المرية من جهة ثانية.

وانتقل المهاجرون الربضيون من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب في نفس السنة ٢٠٢هـ/٨١٧م؛ لأن المسافة بين حدود البلدين لا تتعدى ثمانية عشر ميلاً[١]، و لم تخل هجرتهم هذه من العناء والمشقة، فهم يخوضون البحر بأهاليهم، غير عارفين بالمصير الذي ينتظرهم، فما أن نجوا من مهالك البحر، حتى بدأوا يبحثون عن نجاة من أهالي المغرب الذين لم يرحبوا بهم؛ فسكنوا بعض السواحل والمدن التي لم يكن يقطنها أهالي المغرب، وعملوا بالصيد والتجارة ليجدوا قوت يومهم، وظلوا كذلك حتى سمح لهم إدريس الثاني بالتجمع والاستقرار في منطقة قريبة من أماكن نزولهم، لم يقطنها أهالي المغرب بعد؛ لأنها موطن استقرار جديد، هي مدينة فاس.

وهنا،لا بد من معرفة أسباب بناء هذه المدينة، ووقتهاوكيفية استقرار الربضيين فيها وتوزعهم ، وما أحدثوه من تاثيرات دينية،وسياسية،واقتصادية، واجتماعية فيها، وفي غيرها من مدن المغرب الكثيرة.

تعود أسباب بناء مدينة فاس إلى:

١ـ. اكتظاظ منطقة وليلي بالسكان[٢] من كل الجنسيات والديانات والفئات الاجتماعية، والرغبة في إيجاد مكان يساعد على حل هذه المشكلة من الكثافة السكانية.

٢ـ رغبة الأدارسة ممثلين بإدريس الأول* وابنه إدريس الثاني** في إيجاد عاصمة جديدة لخاصتهم

---

(١) الادريسي: القارة، ص ٢٦٢. والمسافة من سبتة إلى فاس خمسة أيام ؛ الادريسي: انس، ص ١٣٨.

(٢) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٢٩ ؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٢٧ ؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٣ .

* إدريس الأول: هو إدريس بن عبد الله من نسل علي بن أبي طالب، رحل من بلاد المشرق سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م إلى بلاد المغرب هرباً من العباسيين، ونزل مدينة وليلي، واجتمع حوله البربر، ففتح بعض البلاد لتأسيس دولة الأدراسة، لكنه توفي سنة ١٧٥هـ/٧٩١م مسموماً بمؤامرة من العباسيين. ولمزيد من المعلومات التفصيلية انظر: المقدسي: أحسن،ص ٢٤٣ـ٢٤٤ ؛ البكري: المغرب، ص ١١٨ـ١٢١ ؛مجهول: الاستبصار، ص ١٩٤ـ١٩٥؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٥١ـ٥٣؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص ٨٣ـ٨٤ ،ج٢، ص ٢١٠ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦ـ١٨.

** إدريس الثاني: إدريس بن إدريس بن عبد الله، ولد بعد وفاة أبيه من كنزه، ورعاه مولاه راشد ثم يزيد العبدي حتى تولى الحكم وعمره إحدى عشرة سنة، وقد أسس دولة الأدارسة فعلياً، وكانت وفاته سنة ٢١٣ـ٢١٤هـ/٨٢٨ـ٨٢٩م مسموماً، أو أنه شرق بحبة عنب. لمزيد من التفاصيل انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٢ـ١٢٣؛ مجهول : الاستبصار، ص ١٩٦؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٤١٥؛ ابن الآبار:الحلة، ج١، ص ٥٣ـ٥٥؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢١٠ـ٢١١؛ ابن ابي زرع: الانيس،ص٢٥ـ٢٩، ٥٠ ؛ابن خلدون:تاريخ،ج٤،ص١٩؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٢٥ـ٢٦، ٤١.

وجنودهم وللفئات السكانية الكثيرة التي وفدت إليهم خصوصاً من العرب[١] وللبلاد التي خضعت لهم وسيطروا عليها، وذلك، لتقوم أركان دولتهم على أسس قوية راسخة.

٣- حل مشكلة المهاجرين للمغرب الأقصى، سواءاً كانوا من القيروانيين (المغرب الأدنى) أم من الربضيين (الأندلس)؛ وذلك لعدم ترحيب الأهالي بهم، وخشية حدوث المشكلات والفتن والاضطرابات، ورغبة في إعمار العاصمة الجديدة للأدارسة.

٤- الحد من المنافسة والصراع بين أهالي المغرب الأقصى الأصلاء (البربر) والعرب الجدد الذين وفدوا إلى وليلي من بلاد المغرب والأندلس.

أما تاريخ البناء واسم الشخص الذي بناها، فهو موضوع خلاف وجدل بين المؤرخين، ويمكننا حصر أهم آرائهم فيما يلي:

١- بنيت مدينة فاس بقسميها الشرقي والغربي على مرحلتين: الأولى زمن إدريس بن عبد الله سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م على الجانب الشرقي من نهر سبو، والثانية زمن إدريس بن إدريس بن عبد الله سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م على الجانب الغربي من نهر سبو، وقد سميت العالية[٢].

٢- بنيت مدينة فاس على نهر سبو زمن إدريس بن إدريس بن عبد الله بنفس الفترة الزمنية تقريباً سنة ١٩٢-١٩٣هـ/٨٠٧-٨٠٨م، والنهر يشقها قسمين، واشتهر كل منهما بمن سكنه من الفئات، حيث أطلق على القسم الشرقي الذي أسس سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م عدوة الأندلسيين، وعلى القسم الغربي الذي أسس سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م عدوة القرويين، علماً بأن سكان عدوة القرويين كانوا يسكنون في الأصل عدوة الأندلسيين، ولما بني القسم الغربي، رحلوا إليه، فجاء الأندلسيون وعمروا القسم الشرقي واستقروا فيه[٣]، فأصبحت

---

(١) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٢٩؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٢٧؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٣.

(٢) بروفنصال (بروفنسال): ليفي: "تأسيس مدينة فاس"، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط: المغرب، العدد (٣١)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ١٧٠ ؛ وسيشار له: بروفنسال: "تأسيس"؛ Provencal: Histoire, P. 170. ووضح بروفنسال أن من قال أن سنة ١٩٢هـ/٧٠٨م هي التي تم فيها بناء فاس فقد أخطأ بالنسخ والنقل لسنة ١٧٢هـ/٧٨٨م.

(٣) المقدسي: أحسن، ص ٢٣٠؛ ابن حزم: جمهرة، ص ٤٩؛ البكري: المغرب، ص ١١٥؛ مجهول: الاستبصار، ص ١٨٠؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٥٣؛ ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٨ ؛ القلقشندي: صبح، ج٥، ص ١٥٤؛ الحميري: الروض، ص ٤٣٤؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٢؛ الناصري: الاستقصا، ج٤ ، ص ١٦٦؛ وقد رد إسماعيل العربي على بروفنسال في أن مدينة فاس لم تبن سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م لعدم اكتظاظ وليلي بالسكان، وأن الوقت لم يسمح لإدريس بالبناء، ولم يكن هناك حاجة في ذلك الوقت المبكر لمدينة جديدة، والخطأ في النقل والنسخ مستبعد؛ العربي: اسماعيل: دولة الادارسة، ملوك تلسمان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، ص ٩١-٩٢؛ وسيشار له: العربي: دولة الادارسة.

عدوة القرويين تقع غـــرب عدوة الأندلسيين[١].

٣- مدينة فاس بقسميها الشرقي والغربي بغض النظر عن سنة بنائها هي فـاس القديمـة، قياسـاً ببنـاء المدينة البيضاء أيام الأمير المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحـق سـنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، الـتي سميت المدينة الجديدة أو فاس الجديدة[٢].

وفي محاولة للتوفيق بين هذه الآراء، نقول إنه مـن الممكـن أن يكـون إدريـس الأول وأتباعـه قـد تجمعوا في عدوة الأندلسيين سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م دون أن يطلق عليها أي اسـم، وبعـد أن اسـتقروا فيهـا وكثرت أعدادهم جاء إدريس الثاني وحاول تنظيمها سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م، لكن، لم تجدِ هذه المحـاولات في حل بعض المشكلات القائمة، خصوصاً على الأراضي، مما اضطر إدريس إلى بناء مدينـة العاليـة ليبـدأ تنظيمهم من جديد، دون إحداث أي نوع من الاضطرابات والفتن في دولته الفتية، وهذا مـا كـان سـنة ١٩٣هـ/٨٠٨م.

ولم يشرع في بناء مدينة فاس إلا بعد البحث عن موقع مناسب لها[٣]، اختاره عمير بن مصعب، وتميز باتساع أرضه واعتدال مناخه وكثرة مياهه وأشجاره[٤]، وبعد شراء أرض الموقع من قبيلـتي زواغـة وبني يرغش البربريتين[٥]، بستة آلاف درهم، كان ثمن عدوة الأندلسيين ألفين وخمسمائة درهم، وعدوة القرويين ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم[٦]، وبـدأ بنـاء عـدوة الأندلسـيين سـنة ١٩٢هـ/٨٠٧م، وعـدوة القرويين سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م من الحجر والآجر والكلس[٧]، وتم تنظيمهما ببناء سور حول كل منهمـا، ووضع أبواب عديدة لهما كما يلي:

---

(١) البكري: المغرب، ص ١١٥.

(٢) ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧١٣هـ/١٣١٣م) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغـرب والأندلس، مجموعة رسائل في كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ١١٠-١١٢؛ وسيشار له: ابن الخطيب: معيار؛ القلقشندي: صبـــح، ج٥، ص ١٥٥-١٥٦ ؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٥١.

(٣) انظر التفاصيل في البحث عن موقع لبناء مدينة فاس: ابن ابي زرع: الانيس، ص ٢٩-٣٠؛ المكناسي: جذوة، ج ١، ص ٢٧-٢٨؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٤-١٦٥.

(٤) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٠-٣١؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٢٨-٢٩؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٥ ، وعمير هو زوج ابنة إدريس بن إدريس؛ بروفنسال: "تأسيس"، ص ١٧٧.

(٥) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٢؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٠. ولم يتم الشراء إلا بعد أن أرسل إدريس من يصلح بين القبيلتين؛ ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣١؛ ابن خلدون : تاريخ، ج٤، ص ١٨ : المكناسي: جذوة، ج ١،ص ٣٠ ، الناصري : الاستقصا، ج٢، ص ١٦٥.

(٦) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٢؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٠؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ١٦٦.

(٧) القلقشندي: صبح، ج٥، ص ١٥٥.

عدوة الأندلسيين: تم البدء ببناء السور من جهة القبلة، ففتح باب القبلة (باب الفوارة) ثم مر السور بمنطقة جراوة، ففتح باب جراوة، ثم مر السور بمنطقة المخفية إلى الوادي ففتح باب المخفية الذي كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين، ثم مر السور بمنطقة الشيبوبة، ففتح باب الشيبوبة الذي يقابل باب الفصيل من عدوة القرويين، ثم مر إلى رأس حجر الفرج، ففتح باب أبي سفيان، ثم عرج بالسور المستدير على منطقة جراوة، ففتح باب الكنيسة (باب الخوخة)، ثم مر السور حتى وصل باب القبلة واستدار بالمدينة.

عدوة القرويين: تم البدء ببناء السور من رأس عقبة، ففتح باب إفريقية، ثم مر من عين درورو، ففتح باب الفصيل، ثم مر بضفة الوادي ففتح باب الفرج (باب السلسلة)، ثم مر من عيون ابن الصادي (عين الكرازين) ففتح باب الحديد، ثم مر إلى عقبة الجرف، ففتح باب القلعة ثم باب حصن سعدون، ثم دار السور حتى باب إفريقية[١].

وبعد بناء السور وفتح الأبواب، بني مسجد الأشياخ في عدوة الأندلسيين، ومسجد الشرفاء في عدوة القرويين[٢]. وقد سمي كل منهما مع الوقت باسم العدوة الموجود بها.

وبعد بناء العدوتين اللتين أطلق عليهما مدينة فاس*، وأهتم إدريس الثاني بتنظيم عدوة القرويين[٣]، فنقل السكان الموجودين في المناطق المجاورة إليها، وكان معظمهم من القيروانيين الذين

---

(١) البكري: المغرب، ص ١١٦؛ ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٨-٤١؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٣-٣٥؛ العربي: دولة، ص ٨٢-٨٣. ومع تطور الزمان والمكان، فتحت أبواب أخرى جديدة، ووصلت الحال أيام الزناتيين إلى عمارة الضواحي بين العدوتين، فأدار دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية الأسوار على جميع الأرباض من كل الجهات، فأصبحت العدوتان مدينة واحدة، لكن ابنيه الفتوح وعجيسه أعادوا تقسيمهما كما كان الوضع سابقاً؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٤٨-٤٩.

(٢) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٨؛ الونشريسي: المعيار، ج١، ص ٢٥٦؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣١-٣٢؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٦. وقد وسع المسجدين ونظمهما من جديد فاطمة ومريم ابنتا محمد بن عبد الله الفهري زمن يحيى بن محمد بن إدريس سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٥٢-٧٧.

* وقد سميت هذا الاسم نسبة للفأس الذهبي أو الفضي الذي استعمله إدريس في الحفر، أو نسبة لفأس غريب عثر عليه أثناء الحفر، وقيل: نسبة للفرس الذين ساهموا بالحفر وانهار عليهم جرف فسميت اسمهم ثم خففت لفاس، أو نسبة لمدينة قديمة كان اسمها ساف؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٥٥؛ ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٥؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١٣٣؛ القلقشندي: صبح، ج٥، ص ١٥٣؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٦.

(٣) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٦؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٧.

بلغ عددهم حوالي ثلاثمائة عائلة [١]، والعرب الذين وفدوا إليه لتأييده وانزلهم حسب قبائلهم "كل قبيلة بناحية، فنزلت العرب القيسية من باب إفريقية إلى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين، ونزلت الأزد على حدتهم، ونزل اليحصبيون والفرس على حدة القيسية من الجهة الأخرى، ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة والشيحان بمختلف الأحياء داخل المدينة، كل قبيلة بناحيتها..."[٢]. هذا بالإضافة إلى أعداد كبيرة من اليهود نزلوا في ناحية أغلان إلى باب حصن سعدون، وكانوا يدفعون الجزية[٣]، وغيرهم بمواقع مختلفة[٤].

ولما وفد الربضيون إلى بلاد المغرب، رحب بهم إدريس للسكن في عدوة الأندلسيين التي رحل القرويون منها إلى العالية، فأصبحت خالية كما قال المثل "فاس بلد بلا ناس"[٥]، وذلك من أجل تحقيق الأهداف التي من أجلها بنيت مدينة فاس من جهة، ولتجميع أكبر عدد من الفئات البشرية المؤيدة له في المركز الذي اختاره، كي يكسبهم إلى جانبه، ويكونوا له أعواناً مخلصين في تثبيت أركان دولته واستمرارها، وتوسيع رقعة بلاده من جهة ثانية، فيكون بذلك قد حقق مصلحته التي يسعى إليها في الوقت الذي حقق فيه الربضيون أيضا ما يسعون إليه للاستقرار في مكان آمن بعد طول عناء، ثم إنه ليس هناك ما يخشونه، فالغريق لا يخشى البلل ويتعلق بقشة أملاً في الحياة، وهم تعلقوا بأمل العودة إلى بلادهم، أو على الأقل، العيش في المكان الذي وصلوا إليه، كي ينتقموا من الحكم الربضي عندما تتثبت أقدامهم من خلال مساهمتهم مع إدريس في توسيع رقعة بلاده، بدخول الأندلس التي يعرفون مسالكها وطرقها وأوضاعها وكيفية السيطرة عليها.

واستقبل قاسم بن إدريس المهاجرين الربضيين في عدوة الأندلسيين[٦]، وأسكنهم بها فنزلوا في الكلدان (الكذان) وفوارة وحارة البادية والكنيف، وامتدوا إلى الرميلة[٧]، وبعضهم استقر في بعض مناطق المغرب مثل أوزفور وأغمات وأغيغي ووليلى[٨].

---

(١) الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٧.

(٢) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٦؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٧.

(٣) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٦؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٩ ؛ بروفنسال: "تأسيس"، ص ١٧٩.

(٤) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٦.

(٥) البكري: المغرب ، ص ١١٥.

(٦) بروفنسال: "تأسيس"، ص ١٦٩.

(٧) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٧ ؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٨.

(٨) البكري: المغرب، ص ١٥٥.

ولم يسمح إدريس بأن يسكن عدوة القرويين غير مواليه وحشمه وبعض رعاياه من التجار والصناع والخدم ليحافظ عليها وعلى أمنها، واتخذ من عدوة الأندلسيين قاعدة لجيوشه، ومكاناً للكسب والرزق[١]، وبذلك، عمرت العدوتان بالسكان، ونعمتا بالأمن والطمأنينة، وازدهرتا في الزراعة والصناعة والتجارة، وتقدمتا في كل العلوم والمعارف[٢].

ولما علم الحكم بن هشام باستقرار الربضيين في العدوة، وانضمامهم إلى إدريس، أدرك رغبتهم في الانتقام منه، وطمع إدريس ببلاده، فعقد هدنة مع ملك الفرنجة شارلمان[٣]، علماً بأن العلاقات بينه وبين إدريس كانت حسنة، لمصلحتهما المشتركة في الوقوف ضد الدولة العباسية ودولة الأغالبة[٤].

وأخيراً، فقد اسهب المؤرخون والجغرافيون في وصف مدينة فاس دون ذكر للعدوتين أحياناً، وبذكرهما في غالب الأحيان، ونقتبس نصوصاً من هذا وذاك كما يلي:

- " مدينة فاس حاضرة المغرب يشق وسطها نهر عظيم، فيها أعين كثيرة ومياه غزيرة عذبه، وأهلها ظرفاء أدباء وأكثرهم فقهاء... وفيهم براعة ونبالة وبذخ"[٥].
- " فهي اليوم في غاية الحضارة وأهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الاقليم وما زلت اسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب وبحق ما قالوا من ذلك فإنه ليس بالمغرب شيء من أنواع الظرف واللباقة في كل معنى إلا وهو منسوب إليها وموجود فيها ومأخوذ منها... وما أظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس أكثر مرافق وأوسع معايش وأخصب جهات وذلك أنها مدينة يحفها الماء والشجر من جميع جهاتها ويتخلل الأنهار أكثر دورها زائداً على نحو من أربعين عيناً، ينغلق عليها أبوابها ويحيط بها سورها، وفي داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء، ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يجلب اليها من غيرها إلا ما كان من العطر الهندي سوى مدينة فاس هذه فإنها لا تحتاج إلى مدينة في شيء مما تدعو إليه الضرورة بل هي توسع البلاد مرافق وتملأها خيراً"[٦].

---

(١) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٦؛ المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٩.

(٢) المكناسي: جذوة، ج١، ص ٣٨-٣٩، ٤٨.

(٣) ارسلان: تاريخ، ص ١٣٨؛ الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٣.

(٤) تاويت: محمد : "بين أمويي الأندلس والادارسة"، تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، العدد (٨)، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص ١٨٣؛ وسيشار له: تاويت : "بين أمويي".

(٥) الزهري: الجغرافية، ص ١١٤.

(٦) المراكشي: المعجب، ص ٢٢١-٢٢٢.

- " لم تزل مدينة فاس من حين اسست دار فقه وعلم وصلاح ودين،وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها...ومدينة فاس لم تزل أم بلاد المغرب في القديم والجديد...وقد جمعت مدينةَ فاس بين عذوبة الماء واعتدال الهواء،وطيب التربة وحسن الثمرة،وسعة المحرث،وعظيم بركته،وقرب الحطب وكثرة عدده وشجره،وبها منازل مؤنقة،وبساتين مشرقة،ورياض مورقة، وأسواق مرتبة منسقة،وعيون منهمرة،وأنهار متدفقة منحدرة،وأشجار ملتفة،وجنات دائرة بها محتفة"(١).
- " أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء: نهرجار، ومحرث طيب، وحطب قريب، وسور حصين، وسلطان قاهر... ومدينة فاس جمعت اليوم هذه الخصال كلها وزادت"(٢).
- " ومدينة فاس مدينتان مقترنتان مسورتان بينهما نهريطرد وأرحاء وقناطر... على باب الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمر وجداول الماء تخرق داره... وكلتا عدوتي فاس على صفح جبل والنهر الذي بينهما مخرجه من عين غزيرة وسط مرج ببلاد مطغرة... وكلتا العدوتين جليلة الخطر عظيمة القدر". (٣)
- " وبهذه العدوة الأندلسية تفاح حلو يعرف بالاطرابلسي جليل حسن الطعم يصلح بها وله غلة ولا يصلح بعدوة القرويين، وسميد عدوة الأندلسيين أطيب من سميد عدوة القرويين لحذقهم بصنعته، وكذلك رجال عدوة الأندلسيين أشجع وأنجد من القرويين، ونساؤهم أجمل من نساء القرويين ورجال القرويين أجمل من رجال الأندلسيين"(٤).
- "فاس منقسمة قسمين، وهي مدينتان مسورتان، يقال لإحداهما عدوة القرويين وللأخرى عدوة الأندلسيين، وفي كل دار جدول ماء، وعلى بابها رحى وبساتين"(٥).
- " ونهرها يشقها نصفين، ويتشعب في داخلها أنهاراً وجداول وخلجاناً، فتتخلل الأنهار ديارها وبساتينها وجناتها وشوارعها وأسواقها وحماماتها... وكانت مدينة فاس في القديم بلدين، لكل منهما سور محيط بها وأبواب تختص بها ... وكان أهل عدوة الأندلس أهل نجدة وشدة، وأكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة، وأهل عدوة القرويين أهل رفاهية في البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب، وأكثرهم صناع وتجار وسوقه، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس، ونساء عدوة الأندلس أجمل من نساء عدوة القرويين... وتختص عدوة الأندلس أيضاً

---

(١) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٢-٣٣.

(٢) المكناسي: جذوة، ج١، ص ٤٣-٤٥.

(٣) ابن حوقل: صورة، ص ٨٩.

(٤) البكري:المغرب،ص١١٦؛مجهول:الاستبصار،ص١٨٠-١٨١؛ الحميري:الروض،ص٤٣٥؛ القلقشندي:صبح،ج٥، ص ١٥٤.

(٥) القزويني: آثار، ص ١٠٢.

بحسن الفواكه الصيفية وطيبها كالتفاح الطرابلسي الحلو الأصفر... وأصناف الكمثرا والمشمش والبرقوق والتوت[١] .

وهناك تأثيرات دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية أحدثها الربضيون في مدينة فاس بعدوتيها، فمن الناحية الدينية، ساهموا في نشر الإسلام على المذهب المالكي، موضحين ومطبقين أحكامه[٢] منذ اللحظة الأولى التي دخلوا فيها إلى بلاد المغرب، مما جعل إدريس الثاني مضطراً إلى تعيين قاضٍ مالكي منهم[٣]، ثم اهتموا بنشر اللغة العربية بين الشعوب البربرية، حتى يتمكنوا من فهم الدين الإسلامي وتطبيقه. أما من الناحية السياسية، فقد وصل طموح الربضيين إلى محاولة إقامة حكم ذاتي خاص بهم، ونجحوا في خلق نوع من التوازن مع الأدارسة[٤]، الأمر الذي جعلهم محل كراهية من القيروانيين بخاصة، وأهل البلاد الأصلاء من البربر بعامة، فهم غرباء يتميزون بالفظاظة والعنف[٥]، من هول ما مر بهم، وجاءوا ينافسونهم على الحكم والإدارة ويضرون بمصالحهم، فحدث عداوة وحروب بين الطرفين[٦]، لكن هذا لم يمنع تفاهمهم وتعاونهم فيما بعد، فكل منهما مفروض على الآخر، شاء أم أبى، ولا بد من التعايش السلمي، فحدث اختلاط وتزاوج بين جميع الفئات، خصوصاً بين العرب والبربر الذين أصبح من الصعب الفصل بينهم[٧]، مما ساعد على نشر الأمن والطمأنينة من جهة، ووفود هجرات بأعداد كبيرة من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب من جهة ثانية، كالذين جاءوا بعد الفتنة البربرية[٨]، فازدهرت الحياة الاقتصادية، بالرغم من ظهور تنافس كبير بين جميع الفئات، ففي مجال الزراعة، نقل الأندلسيون أحدث أساليب الفلاحة، لأنهم أحكم الناس بها[٩]، وطوروا أنظمة الري والسدود، وبرعوا في تصميم الحدائق[١٠]، ومما يدل على ذلك كثرة الإنتاج الزراعي، وتدني الأسعار زمن إدريس الثاني، فقد بلغ وسق القمح بدرهمين، ووسق الشعير درهماً والفاكهة لا تباع ولا تشتري

---

(١) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٤.

(٢) القلقشندي: صبح، ج٥، ص ١٥٧.

(٣) ابو الفضل: "قضاة"، ص ١٢١؛ العربي: دولة، ص ١٠٧.

(٤) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٧٨-٧٩، رزوق: "تطور"، ص ١٣١-١٣٣.

(٥) Dozy: Historie, P. 255 .

(٦) Dozy: Histoire, P. 255 ; Amam : "Cordovan", P. 300 .

(٧) الشيخلي: صباح ابراهيم "العناصر السكانية في مدينة فاس" من خلال كتاب "بيوتات فاس الكبرى"، مجلة أداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، العدد (٨)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٤٠٢-٤٠٤؛ وسيشار له: الشيخلي: "العناصر".

(٨) المقري: نفح، ج٣، ص ١٥٢. وامتدت هذه الفتنة من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م إلى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م.

(٩) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٤٨.

(١٠) القلقشندي: صبح، ج٥، ص ١٥٦؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ١٨٠ ؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٨.

لكثرتها(١) . وهكذا، كانت الحال في الإنتاج الحيواني، فالكبش بدرهم ونصف، والبقرة بأربعة دراهم، وخمسة وعشرون رطلاً من العسل بدرهم(٢). وفي مجال الصناعة والحرف اشتهر الربضيون اشتهاراً واسعاً، فهناك البناؤون والحدادون والنجارون والرخامون والدهانون والفخارون والصباغون والدباغون والعطارون والوراقون وغيرهم، الأمر الذي أدى إلى إيجاد أسواق لكل مهنة سميت بها(٣).

وكان الربضيون يتقنون مهنهم، فهم " صينيون في إتقان الصنائع العملية وأحكام المهن الصورية"(٤) مما جعلهم سادة فيها على غيرهم من السكان، فقد "سيروهم أتباعاً لهم ومتصرفين بين أيديهم"(٥). ويوضح ذلك مشاهدة المعالم الحضارية والمنشآت العمرانية من المساجد والقصور والقلاع والفنادق والدور والحوانيت(٦)، التي شابهت المعالم الأندلسية(٧).

واستمرت التأثيرات الأندلسية في بلاد المغرب بعد هجرة العديد من الأندلسيين إليها بسبب الفتنة البربرية، وعن هذا، يقول المقري:
" فأما أهل البادية فمالوا إلى البوادي إلى ما إعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحي الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم و عمتهم الخيرات... وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة، ولا يستعمل بلدي ما وجد أندلسي، وأما أهل الصنائع فانهم فاقوا أهل البلاد، وقطعوا معاشهم، وأخملوا أعمالهم، وصيروهم أتباعاً لهم ومتصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا في

---

(١) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٠.

(٣) الزجالي: أمثال، ج١، ص ٢٤٧؛ ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٨-٤٩؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٥٢؛ سالم: قرطبة، ج٢، ص ٥٤؛ رزوق: "تطور"، ص ١٣٦؛ موسى: النشاط، ص ٢١٦؛ محمد: سوادي عبد "الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، مجلة أداب المستنصرية،كلية الأداب، العراق، العدد (١٣)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م،ص ٣٤٥؛ وسيشار له: محمد:"الأحوال ".

(٤) المقري: نفح ، ج٣، ص ١٥١.

(٥) المصدر السابق: ج٣، ص ١٥٢.

(٦) ابن ابي زرع: الانيس، ص ٤٧-٤٨؛ سالم: قرطبة، ج٢، ص ٥١-٥٢؛ موسى: النشاط، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٨؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ١٨٠.

(٧) المقري: نفح، ج٣، ص ١٥٣.

شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من أنواع الحـذق والتجويـد مـا يميلـون النفـوس إليهـم، ويصـير الذكر لهم، قال : ولا يدفع هذا عنهم إلا جاهل أو مبطل"[١].

أهل الربض في الإسكندرية:

الإسكندرية إحدى مناطق مصر الواقعة على ساحل البحر الأبيـض المتوسـط[٢]، سـاهم في بنائها وترميمها وتطويرها غير حاكم في فترات زمنية مختلفة، من أشهرهم شـداد بـن عـاد ابن عوض بن إرم بن سام بن نوح[٣]، وابنه يعمر[٤]، وجبير المؤتفكي وزوجته حوريا بنت البرت[٥]، والاسكندر بن فيلوقس التي سميت باسمه[٦]، بعد أن كانت تسمى من قبل رقودة

---

(١) المقري: نفح، ج٣، ص ١٥٢.

(٢) ابن خرداذبة: المسالك، ص ٨١؛ المقدسي: أحسن، ص ١٩٦؛ ابن حوقل: صورة، ص ٤١؛ القزويني: آثار، ص ١٤٣.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٤١؛ البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) جغرافية مصر من كتـاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الله يوسف الغنيم، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٠٠؛ وسيشار له: البكري: جغرافية مصر؛ مجهول: الاستبصار:ص٩٢؛ الحموي: معجم،ج١،ص ١٨٤؛ القزويني: آثار، ص ١٤٣؛ الحميري: الروض، ص ٥٤؛ ابن دقماق: ابراهيم بن محمد العلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) الانتصار لواسطة عقد الامصار، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، المطبعة الكبرى، بـولاق، ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٢٠؛ وسيشار له: ابن دقماق : الانتصار ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٤٨ ؛ السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن بن كمال الدين (ت ٩١١هـ/١١٦٦م) كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهـرة، ٢ ج، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، ج١، ص ٤١؛ وسيشار له: السيوطي: حسن المحاضـرة ؛ الورثيلاني: رحلة، ص ٥٨٢ ؛ الزياني: ابو القاسم أحمد (ت ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م) الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق: عبد الكريم الفيلاني، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ١٩٨ ؛ وسيشار له: الزيانـي: الترجمانة. ويقول المقريزي بأن الذي بناها هو بيصر بن نوح ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٤٤.

(٤) الحموي: معجم، ج١، ص ١٨٤.

(٥) المصدر السابق: ج١، ص ١٨٤-١٨٥؛ العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن)، تحقيق وتقديم وفهرسة: ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د. ت، ص ٩٠؛ وسيشار له: العمري: مسالك ؛ ابن دقماق: الانتصار، ص ١٢٢.

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٣٧ ؛ ابن الفقيه: مختصر،ص٦٩، ٧٤؛ الزهري: جغرافية، ص٤٦؛ مجهول: الاستبصار، ص ٩٤-٩٥؛ الحموي: معجم،ج١، ص١٨٣-١٨٤؛ القزويني: آثار، ص ١٤٣؛ شيخ الربوة: نخبة، ص ٢٢١؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١١٣ ؛ العمري: مسالك، ص ٨٨؛ ابن دقماق: الانتصار،ص ١١٩-١٢٠؛ المقريزي: الخطط، ج ١، ص ١٤٤، ١٤٧ ؛ الحميري: الروض،ص٥٤؛ ابن السباهي: أوضح ، ص ٢٣أ؛ العياشي: الرحلة، ج٢، ص ٣٦٢؛ الورثيلاني: رحلة، ص ٥٦٢؛ الزياني: الترجمانة، ص ١٩٨. ويقال بأن فيلبس بن الاسكندر ساهم في بناء الإسكندرية؛ البكري: جغرافية، مصر،ص١٠٦ ؛ وان الاسكندر دفن بها بعد موته؛ ابن الفقيه: مختصر، ص٧٠؛ الحموي: معجم، ج١، ص ١٨٤.

(رفوده)[1]، أو بردة[2]، وهي واحدة من ثلاث عشرة مدينة بناها في مواقع مختلفة داخل مصر وخارجها، جميعها سميت باسمه[3].

وقد افتتن المؤرخون والجغرافيون في وصف الطريقة التي بنيت بها الإسكندرية وأنواع الحجارة التي استخدمت في ذلك، وكيفية تنظيمها وتقسيمها في توزيع أحيائها وأسواقها وشوارعها وموانئها وحصونها وخنادقها وأسوارها وأبوابها[4]، وما احتوته من عجائب فريدة، كالمنارة[5] والمرآة[6] والسارية (عمود السواري)[7]، وبعض الطرائف الأخرى، كبنائها في ثلاثمائة

---

(١) البكري: جغرافية مصر، ص ٩٩؛ العمري: مسالك، ص ٩١؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٤٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٢ ؛ الوريثلاني: رحلة، ص ٥٦٣.

(٢) مجهول: الاستبصار، ص ٩١.

(٣) الحموي: معجم، ج١، ص ١٨٣ ؛ الحموي: المشترك، ص ٢٣.

(٤) انظر التفاصيل: ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٤٢؛ ابن الفقيه: مختصر، ص ٧٠؛ البكري: جغرافية مصر، ص ٩٩ ، ١٠١-١٠٣؛ الزهري: جغرافية، ص ٤٦؛ مجهول: الاستبصار، ص ٩١-٩٣؛ الحموي: معجم، ج١، ص ١٨٤ ؛ القزويني: آثار، ص ١٤٣-١٤٤؛ ابن دقماق: الانتصار، ص ١٢١ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٤٨ ؛ الحميري: الروض، ص ٥٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤١؛ الوريثلاني: رحلة، ص ٥٦٣.

(٥) انظر التفاصيل: ابن خرداذبة: المسالك، ص ١١٤-١١٥، ١٦٠-١٦١؛ اليعقوبي: البلدان، ص ٣٣٨؛ ابن الفقيه: مختصر، ص ٧١؛ ابن رسته: الأعلاق، ص ١١٧؛ الاصطخري: المسالك، ص ٥١؛ المقدسي: أحسن، ص ٢١١ ؛ ابن حوقل: صورة، ص ١٤١-١٤٢؛ البكري: جغرافية مصر، ص ١٠٥-١٠٦، ١١٠-١١٤؛ الزهري: جغرافية، ص ٤٨؛ مجهول: الاستبصار، ص ٩٢-٩٤ ، ٩٧-٩٩؛ ابن جبير: محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير "رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"، دار مكتبة الهلال، بيروت : لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٤؛ وسيشار له: ابن جبير: رحلة ؛ الحموي: معجم، ج١، ص ١٨٦-١٨٨؛ القزويني: آثار، ص ١٤٦؛ العبدري: محمد بن محمد الحيحي (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م): رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٩١-٩٢؛ وسيشار له: العبدري: رحلة؛ شيخ الربوة: نخبة، ص ٢٢٩ ؛ العمري: مسالك، ص ١٥٥-١٥٧؛ الحميري: الروض، ص ٥٤-٥٥ ؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤١-٤٣ ؛ العياشي: الرحلة، ج٢، ص ٣٦٢؛ الوريثلاني: رحلة، ص ٥٦٤-٥٦٥.

(٦) انظر التفاصيل: ابن خرداذبة: المسالك، ص ١٢٥؛ ابن الفقيه: مختصر، ص ٧٢-٧٣؛ المقدسي: أحسن، ص ٢١١؛ البكري: جغرافية مصر، ص ١٠٨-١٠٩؛ الزهري: جغرافية، ص ٤٨-٤٩؛ مجهول: الاستبصار، ص ٩٣؛ الحموي: معجم ، ج١، ص ١٨٦-١٨٧؛ القزويني: آثار، ص ١٤٥-١٤٦؛ العمري: مسالك، ص ٩١-٩٢؛ المقريزي:الخطط، ج١، ص ١٥٦؛ الحميري: الروض، ص ٥٤ ؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٣؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٢٣أ، الوريثلاني: رحلة، ص ٥٦٥-٥٦٧؛ الزياني: الترجمانة، ص ١٩٦-١٩٧.

(٧) انظر التفاصيل: مجهول: الاستبصار، ص٩٩؛ الحموي: معجم، ج١، ص ١٨٤؛ القزويني: آثار، ص ١٤٥؛ العبدري: رحلة، ص ٩١؛ ابن بطوطة: صورة، ج١، ص ٣٨؛ المقريزي: الخطط،ج١،ص١٥٩-١٦٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٢؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٢٣أ؛ العياشي: الرحلة، ج٢، ص ٣٦٢؛ الوريثلاني: رحلة، ص ٥٦٤ ، ٥٦٩؛ الزياني: الترجمانة، ص ١٩٧.

سنة، وخرابها بنفس العدد من السنوات، وعدم استخدام الضوء فيها من شدة بياض جدرانها وغير ذلك[١] .

وقد دخل المسلمون الإسكندرية فاتحين لها بقيادة عمرو بن العاص سنة ٢٠-٢١هـ/ ٦٤٠-٦٤١م[٢]، زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب الذي لم يولها جل اهتمامه، لإنشغال المسلمين بالفتوحات ولموقعها المكشوف على البحر، خصوصاً بعد انهيار أسوارها، ولهجرة معظم سكانها منها، وعدم وصول ماء النيل لها لخراب القنوات والترع[٣]، لكن، لما جاء الأمويون، اهتموا بها وحصنوها، وأقاموا المساجد فيها، واتخذوها قاعدة بحرية وثغراً من ثغور الإسلام، وميناءً تجارياً[٤]، وكذلك، فعل العباسيون، لكن، أضافوا في استغلالهم لها الوقوف ضد بعضهم في الصراعات التي قامت بين الخليفتين الأمين والمأمون[٥] .

ويكفينا أخيراً أن نعرف روعة الإسكندرية باقتباس بعض المقتطفات الوصفية لها من كتب الرحالة والجغرافيين التي جاء فيها:

- " الإسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين شربهم من النيل يدخل عليهم أيام زيادته في قناة فيملأ صهاريجهم وهي شامية الهواء والرسوم كثيرة الأمطار جامعة للأضداد جليلة الرستاق جيدة الفواكه والأعناب طيبة نظيفة بناؤهم من الحجارة البحرية معدن الرخام وبها جامعان وعلى جبابهم أبواب تغلق بالليل كي لا يصعد منها اللصوص، وسائر المدن عامرات طيبات، وفي نواحيها خرنوب وزيتون ولوز

---

(١) انظر التفاصيل:
ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٤٢؛ ابن خرداذبة: المسالك، ص ١٦٠؛ ابن الفقيه: مختصر، ص ٧٠ ؛ البكري: جغرافية مصر، ص ١٠٣ ؛ مجهول: الاستبصار، ص ٩٢؛ الحموي: معجم، ج١، ص ١٨٦؛ العمري: مسالك، ص ٨٨؛ ابن دقماق: الانتصار، ص ١٢٢؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٤٨، ١٦٢؛ الحميري: الروض، ص ٥٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤١-٤٢؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٢٣ ب، الورثيلاني : رحلة، ص ٥٦٣ ؛ الزياني: الترجمانة، ص ١٩٦.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٧٩-٨١؛ البلاذري: فتوح، ص ٢١٩ - ٢٢٥؛ مجهول: الاستبصار، ص ٩٥؛ شيخ الربوة: نخبة، ص ٢٣٠؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٦٣.

(٣) سالم: السيد عبد العزيز: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ٦٠-٦١، ٧٥-٨٧؛ وسيشار له: سالم: تاريخ الإسكندرية.

(٤) المرجع السابق: ص ٩١-١١٦.

(٥) المرجع نفسه: ص ١٢٦-١٢٧.

ومزارع على البعل، وثم يصب النيل في بحر الروم، وهي مدينة ذي القرنين ولها قصبة عجيبة"[١].

- " والإسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها وحسن منظرها، وارتفاع مبانيها وارتفاع وسعة شوارعها وطرقاتها. وهي برية بحرية، وفيها من النعم والأرزاق والفواكه ما ليس ببلد مع طيب هوائها وتربتها"[٢].
- " وهي الثغر المحروس، والقطر المأنوس، العجيبة الشأن الأصيلة البنيان، بها ما شئت من تحسين وتحصين، ومآثر دنيا ودين، كرمت مغانيها، ولطفت معانيها، وجمعت بين الفخامة والأحكام مبانيها، فهي الفريدة في تجني سناها، والغريدة تجلى في جلالها، الزاهية بجمالها المغرب، والجامعة لمفترس المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب، فلكل بديعة بها اختلاؤها، وكل طريفة فاليها انتهاؤها"[٣].
- " مشتملة على الجوامع والمساجد والربط والخوانق والمشاهد والرباع والأسواق الممتدة ومعامل البز والقماش واليها تهوي مراكب التجار براً وبحراً من كل فج عميق ومكان سحيق "[٤].

وكانت الإسكندرية تتبع مصر إدارياً، ومصر تتبع الخلافة العباسية في بغداد، وفيما يلي أسماء الولاة الذين تقلدوا مصر في الفترة التي نتناولها:

عبد الله بن محمد ١٨٩-١٩٠هـ/٨٠٤-٨٠٥م، وحسين بن جميل الازدي ١٩٠-١٩٢هـ/ ٨٠٥-٨٠٧م، ومالك بن دلهم الكلبي ١٩٢-١٩٣هـ/٨٠٧-٨٠٨م، وحسن بن البحباح (التختاخ) ١٩٣-١٩٤هـ/ ٨٠٨-٨٠٩م، وحاتم بن هرثمة بن اعين ١٩٤-١٩٥هـ/٨٠٩-٨١٠م، وجابر بن الأشعث الطائي ١٩٥-١٩٦هـ/٨١٠-٨١١م، وعبادة بن نصر الكندي ١٩٦-١٩٨هـ/٨١١-٨١٣م، والمطلب بن عبد الله الخزاعي ١٩٨هـ/٨١٣م، وعباس بن موسى العباسي ١٩٨هـ/٨١٣م، والمطلب بن عبد الله الخزاعي ١٩٩-٢٠٠هـ/٨١٤-٨١٥م، والسري بن الحكم ٢٠٠-٢٠١هـ/٨١٥-٨١٦م، وسليمان بن غالب

---

(١) المقدسي: أحسن، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) مجهول: الاستبصار، ص ١٠٠.

(٣) ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص ٣٧.

(٤) الطهشواري: نوح بن مصطفى (ت ١٠٧٠ هـ/١٦٥٩م): تاريخ مصر والنيل وخير من ملكها من ابتداء الزمان، مخطوط رقم (١٠)، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان : الأردن، ص ٣٢ ؛ وسيشار له: الطهشواري: تاريخ. ومن أشهر مساجد الإسكندرية: مسجد موسى، مسجد سليمان، مسجد ذي القرنين، مسجد الخضر، مسجد عمرو بن العاص ؛ ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٤١-٤٢؛ ابن جبير: رحلة، ص ١٤؛ ابن دقماق: الانتصار، ص ١٢٢ ؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤١ ؛ الورثلاني: رحلة، ص ٥٦٢ . ومما قيل في فضل الإسكندرية من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم "خير مسالحكم الإسكندرية"؛ ابن الفقيه: مختصر، ص ٦٩؛ وقوله "أحب الرباط إلى الله تعالى الإسكندرية" ؛ ابن دقماق: الانتصار، ص ١١٨.

٢٠١هـ/٨١٦م أو من ٢٠١-٢٠٥هـ/٨١٦-٨٢٠م، والسري بن الحكم ٢٠١-٢٠٥هـ/٨١٦-٨٢٠م، وعبيد الله بن السري ٢٠٦-٢١١هـ/٨٢١-٨٢٦م، وعبد الله بن طاهر ٢٠٦-٢١٢هـ/٨٢١-٨٢٧م ، وعيسى بن زيد الجلودي ٢١٢-٢١٤هـ/٨٢٧-٨٢٩م، أو من ٢١٣-٢١٤هـ/٨٢٨-٨٢٩م[١].

هذه هي الإسكندرية التي هاجر الربضيون إليها، لكن، لماذا اختاروها؟، وكيف انطلقوا إليها؟، وما الطريق التي سلكوها؟، وما موقف أهالي الإسكندرية من قدومهم؟، وكيف تمكنوا من استيطانها والسيطرة عليها؟، ومتى حدث كل ذلك؟.

إن أسباب اختيار أهالي الربض للهجرة نحو الإسكندرية يعود إلى قربها من بلادهم، ذلك أنها تقع أقصى بلاد مصر من الشمال، وتربطهم بها علاقات تجارية فهي "فرضة الغرب والأندلس وجزائر الفرنج وبلاد الروم، واليها ترد شوانيها وتجلب بضائعها ومنها تخرج أغراضها"[٢] "وإليها تهوي ركائب التجار براً وبحراً من كل فج عميق ومكان سحيق"[٣]، ثم سهولة الطريق المؤدية إليها ومعرفة مسالكها، ووجود تشابه في الديانات والجنسيات الموجودة بها معهم، فهناك المسلمون السنيون على المذهب المالكي[٤]، وأهل الذمة من النصاري واليهود[٥]، سواء أكانوا من العرب أم من البربر أم من الروم أم من غيرهم[٦]، وهذا يعود كما يذكر صاحب الرسالة المصرية إلى "اختلاط المالكين لها، والمتغلبين عليها،

---

(١) انظر التفاصيل مع اختلاف سنوات الولاية لكل والٍ المصادر التالية:
الكندي: محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) ولاة مصر، تحقيق: حسين نصار، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص ١٤٢-٢٠٨، وطبعة أخرى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح: رفن كتت، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م؛ وسيشار له: الكندي: ولاة، القلقشندي: مآثر، ج١، ص ٢١٤-٢١٥؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٥٧-١٨٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص ٩-١٠؛ ابن اياس: محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٤٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول/ القسم الأول، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٤٢-١٤٧ ؛ وسيشار له: ابن اياس: بدائع ؛ المنوفي: محمد عبد المعطي الاسحاقي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)، أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول وبهامشه تحفة الناظر فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين لعبد الله الشرقاوي، بلا، د. ت، ص ١٥٩-١٦٠؛ وسيشار له: المنوفي: أخبار؛ الطهشواري: تاريخ مصر، ص ٥١-٥٨.

(٢) العمري: مسالك، ص ٨٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٨.

(٤) المقدسي: أحسن، ص ٢٠٢ ؛ القلقشندي: صبح، ج٤، ص ٦٣.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٧٠؛ ابن خرداذبة: المسالك، ص ١٦٠؛ ابن دقماق: الانتصار، ص ١٢٥؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٤٦؛ الزياني: الترجمانة، ص ١٩٧.

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٨٢؛ البلاذري: فتوح، ص ٢٢٢-٢٢٣.

من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم"[١]، ثم أن هناك بعض العائلات الأندلسية أصلاً كانت تعيش في الإسكندرية من أجل العمل بالتجارة[٢]، هذا بالإضافة إلى عدم وجود بديل لها، فقد وصلوا في هجرتهم إليها ولَمَ تستقبلهم المدن الداخلية والساحلية المغربية لمعرفتهم بطبيعتهم وأسباب خروجهم من بلادهم، هذا مع تشابهم معهم في الديانات والجنسيات، وما فعلوه في الإحسان إليهم هو السماح لهم بالمرور من بلادهم دون إلحاق الأذى بهم. وأخيراً، فإن بلاد مصر بعامة والإسكندرية بخاصة كانت تعاني فتناً واضطرابات داخلية ساعدت الربضيين على استغلالها والسكن على ساحلها ثم الدخول للمدينة نفسها.

وانطلق الربضيون نحو الإسكندرية بعد أن تجاوزوا حدود قرطبة ووصلوا لساحل البحر الأبيض المتوسط، حيث خاضوا البحر في مراكب وصل عددها إلى أربعة آلاف[٣]، في عدد اختلف المؤرخون في تحديده، فقيل : زهاء ثلاثة آلاف رجل[٤]، وعشرة آلاف[٥]، وخمسة عشر ألفاً[٦] عدا النساء والأطفال[٧]، وربما أكثر بقليل[٨]، وذلك بزعامة مهاجر بن القتيل[٩]، وأبي حفص عمر بن شعيب المعروف بالغليظ[١٠].

وهذه الأرقام لا يخلو أي منها من الصحة، إذا افترضنا أن عدد الرجال البالغين القادرين يزيد على ثلاثة آلاف، وربما يصلون إلى خمسة آلاف، وأن عشرة الآلاف هم من النساء والأطفال، فيصبح العدد خمسة عشر ألفاً يشمل الرجال والنساء والأطفال، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، يمكننا القول إن الهجرة كانت على مرحلتين: الأولى في ثلاثة آلاف رجل لاختيار مكان يصلح للإقامة، والثانية في اثني

(١) ابو الصلت، امية بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م) "الرسالة المصرية" منشورة ضمن كتاب نوادر المخطوطات، ٢ ج، الجزء الأول، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج١، ص ٣٠؛ وسيشار له: ابو الصلت : الرسالة.

(٢) السعيد: مصطفى السعيد: "الروابط الثقافية بين اسبانيا ومصر"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، المجلد (١٢)، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص ١٢-١٣؛ وسيشار له: السعيد: "الروابط".

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٤٦.

(٤) المصدر السابق: ج٢، ص ٤٤٦.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٢ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(٦) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥ ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢.

(٧) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩.

(٨) الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩.

(٩) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢.

(١٠) الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٣؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٩؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ٣١؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٣١٧ ؛ ج٤، ص ١٦٢، ٢٧٠.

عشر ألفاً من الرجال والنساء والأطفال، كان نصيب الرجال منهم ألفين، ظلوا لحماية عشرة آلالاف من النساء والأطفال. هذا ولا نعد مبالغين إذا افترضنا أن العدد وصل إلى خمسة وسبعين الفاً، على اعتبار أن الهجرة كانت على ثلاث مراحل: الأولى ثلاثة آلاف، والثانية عشرة آلاف، والثالثة خمسة عشر ألفاً؛ وأن الخمسة عشر ألفاً كانوا من الرجال فقط، فإذا ما أضفنا إليهم عائلاتهم المكونة من خمسة أفراد على الأقل، فيصبح عددهم خمسة وسبعون الفاً.

ونتيجة كثرة هذه الأعداد، فقد أضطر الأمير الحكم إلى تزويدهم بأربعة آلاف مركب كي تنقلهم لأي الأماكن شاءوا، حتى لا يحدثوا مزيداً من الفتن والاضطرابات، واستخدم وسيلة ذكية تحول دون تجمعهم حتى في البحر، كي لا يفكروا في التمرد من جديد، فقد كانت المراكب سريعة وصغيرة لا تتسع لأعداد كثيرة، فربما كان نصيب كل سفينة من ثلاثة أفراد إلى أربعة، إذا افترضنا أن العدد خمسة عشر ألفاً، وثمانية عشر فرداً إذا وصل العدد إلى خمسة وسبعين الفاً. وهذه سياسة ناجحة تحول دون تجمع الثوار، ودون محاولة الإضرار بالمراكب التي تحمل عائلاتهم، كما أن سرعة المراكب وطريقة سيرها في البحر وكيفية وصولها وتوقيت ذلك أمور لا بد أن للأمير الحكم دوراً فيها من خلال تنبيهه لرجاله قادة المراكب.

أما الطريق التي سلكوها من قرطبة حتى وصلوا إلى الإسكندرية، فهي على مرحلتين رئيسيتين:

١- من قرطبة إلى المرية من خلال طريقين هما:
   أ- قرطبة - جيان - المرية[١].
   ب - قرطبة - غرناطة - المرية[٢].

وكانت المسافة من قرطبة إلى المرية على الساحل تتراوح بين خمسة أيام أو خمس ليال[٣] إلى سبعة أيام أو سبع ليال[٤]، وربما تصل إلى ثمانية[٥] حسب سرعة السير، وطبيعة الطريق واختلافها من فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى.

---

(١) انظر تفاصيل هذه الطريق: الادريسي: أنس، ص ١٤٨.

(٢) انظر أيضا تفاصيل هذه الطريق: المصدر السابق: ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) ابن خرداذبة: المسالك، ص ٨٧، ٨٩ ؛ ابن الفقيه: مختصر، ص ٨٢؛ الحموي: معجم، ج٤، ص ٣٢٤ ؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٨.

(٤) ابن حوقل: صورة، ص ١١١.

(٥) الادريسي: ذكر، ص ٩٩؛ الادريسي: القارة، ص ٣٠٦.

ولقد اختار الربضيون المرية لأنها ميناء الأندلس على البحر الأبيض المتوسط، فمنها تنطلق المراكب وإليها "تقطع من المشرق ومن الإسكندرية"[١]. لذا، فإنه "لم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالاً ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وإدخاراً"[٢]. وقد انعكس هذا إيجابياً على ساكنيها من حيث حسن الأخلاق[٣]، والإنسانية في التعامل مع الآخرين فأهل "هذه المدينة أرق أفئدة وأدق نفوساً وأكثر شفقة من غيرهم"[٤]، مما شجع الربضيين على قصدها دون خوف أو تردد.

٢- من المرية إلى الإسكندرية: وذلك بعبور البحر الأبيض المتوسط بالمراكب التي أمنهم بها الأمير الحكم، على الأرجح، وكان خط سيرهم على الساحل المغربي مروراً بالمدن التالية: موقع وهران ـ تنس ـ الجزائر ـ مرسى الدجاج ـ موقع بجاية ـ جيجل ـ بونه ـ طبرقة ـ تونس ـ سوسة ـ موقع المهدية ـ صفاقس ـ قابس ـ طرابلس ـ سرت ـ برقة ـ الإسكندرية. ولم يغامر الربضيون بعبور الجزر البحرية خوفاً من البيزنطيين المسيطرين عليها، كما أنهم لم يستطيعوا دخول المدن المغربية الساحلية منها والداخلية الواقعة على خط سيرهم، لعدم استقبال أهاليها لهم وعدم ترحيبهم بهم كما ذكرنا من قبل، وإن كانوا قد قدموا لهم أي مساعدة، فكانت كفاء أجر يتقاضونه، خصوصاً اليهود الذين كانوا يعملون بالتجارة على هذه الطريق.

ولم يسمح أهالي الإسكندرية للمهاجرين الربضيين بدخول مدينتهم، فنزلوا في جزيرة الرمل الواقعة بين البحر والمدينة[٥]، وامتدت مساكنهم وأحياؤهم حتى وصلت سرت،[٦]، وبالرغم من هذه الإقامة شبه المستقرة، فإن حكام الإسكندرية لم يسمحوا لهم بدخول المدينة حتى للمتاجرة فيها، فمن أراد أن يشتري منهم أو يبيعهم يخرج إليهم[٧]. وبقيت الحال كذلك حتى تمكن الربضيون من دخول الإسكندرية بالقوة، وقصة ذلك:

---

(١) الزهري: الجغرافية، ص ١٠١، وانظر: الحموي: معجم، ج٥، ص ١١٩؛ الشقندي: رسالة، ص ٥٨؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١٧٧ "وهي باب الشرق ومفتاح الرزق".

(٢) الادريسي: القارة، ص ٢٨٩.

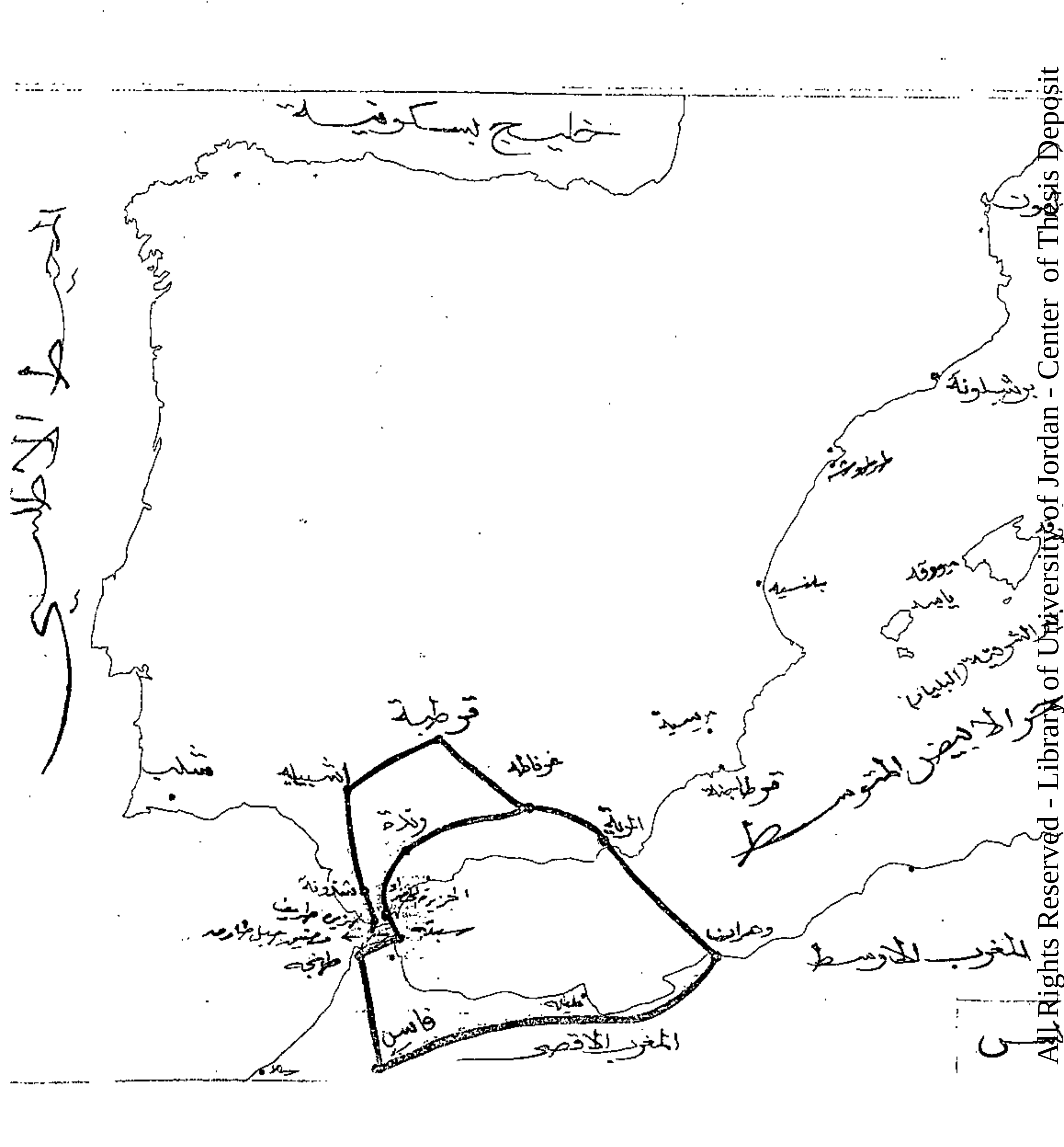
(٣) الشقندي: رسالة، ص ٥٨.

(٤) الزهري: الجغرافية، ص ٢٠٦.

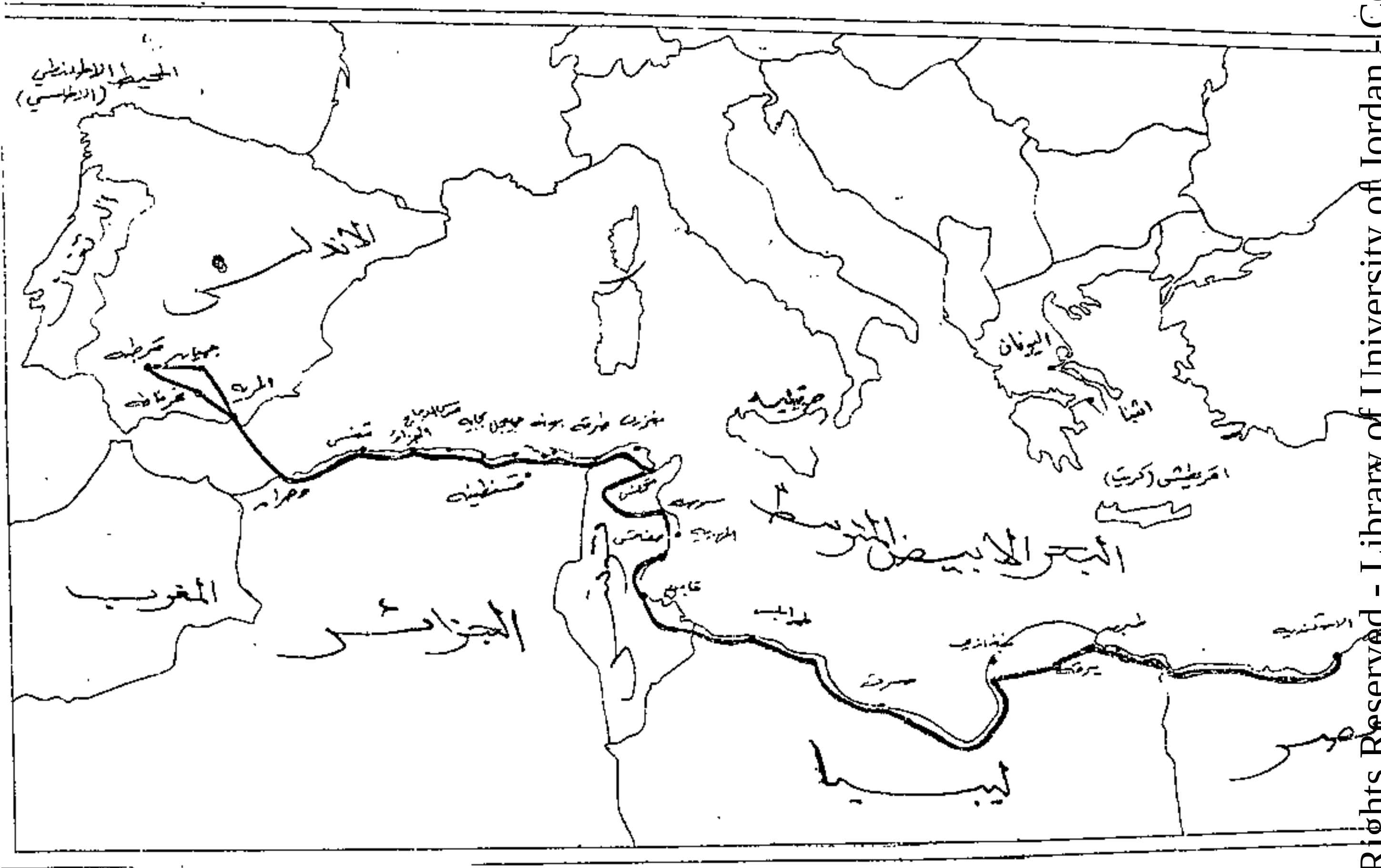
(٥) أبو الفداء: تقويم، ص ١٠٥ (وطولها نصف مرحلة)؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٢؛ ابن السباهي: أوضح، ص ٢٣ ب. وكان هناك حاجز طبيعي من الصخور بين الجزيرة والمدينة يحميها من أمواج البحر ومن هجوم الغزاة؛ سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ١٥.

(٦) مجهول: الاستبصار، ص ١٠٩.

(٧) الكندي: ولاة، ص ١٨٣؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٢.



خط سير الربضيون من مدينة قرطبة إلى مدينة فاس



خط سير الربضيون من مدينة قرطبة إلى مدينة الإسكندرية

أنه لما خرج بعض أهالي الإسكندرية لجزيرة الرمل للمتاجرة تشاجر جزار إسكندراني مع أحد الربضيين وقام برمي كرشٍ في وجهه فما كان من الربضي إلا أن قتله[١]، وقيل بل إنه عاد إلى قومه فلما رأوه على حالته غضبوا ورفضوا الظلم والذل وتجمعوا وذهبوا للجزار وقتلوه[٢]، ثم أعلنوا الثورة على أهالي الإسكندرية فقتلوا وسلبوا الكثيرين منهم وانتصروا عليهم وسيطروا على الإسكندرية[٣].

وإذا كان لا بد من الأخذ بما جاء في هذه القصة، فإننا نختار الحال السيئة التي لحقت بأهالي الربض من الظلم والذل الذي لم يعتادوه وترفضه طبيعتهم من جهة، وحادثة الجزار ما هي إلا السبب المباشر لإعلان غضبهم وتفكيرهم في دخول الإسكندرية والانتقام من أهاليها لما ألحقوه بهم من جهة ثانية. لكن، ليس بالطريقة التي وردت، فقد تعلموا درساً قاسياً كان سبب خروجهم من بلادهم، لذا، فقد صبروا وتحينوا الفرص واقتنصوا أول فرصة سنحت لهم عندما انضموا إلى عمر بن ملاك في ثورته على حاكم الإسكندرية، كما سنرى:

لما تولى المطلب بن عبد الله الخزاعي بلاد مصر للمرة الثانية، عين محمدا بن هبيرة على الإسكندرية، فلم يذهب إليها، فعين بدلاً منه عمر بن ملاك الذي لم يحسن حكم المنطقة وإدارتها، فعزله، وعين شقيقه الفضل بن عبد الله الخزاعي، فغضب عمر واتحد مع الثائر عبد العزيز الجروي الموجود في تنيس ضد المطلب، فما كان من عبد العزيز إلا أن أمده بالجنود والأموال وأمره بالهجوم على الإسكندرية والدعاء له فيها، فجهز جنده وذهب لبعض أهالي الإسكندرية كي يساعدوه، فرفضوا، لأن مصلحتهم تتطلب أن تبقى مدينتهم هادئة، فذهب للأندلسيين والربضيين المقيمين في جزيرة الرمل وما حولها فانضموا إليه وساروا معه وتمكنوا من عزل الفضل عن الإسكندرية ودعوا للجروي، لكن ذلك لم يستمر طويلاً فقد ضاق أهل الإسكندرية بتصرفات الأندلسيين، فهاجموهم وقتلوا نفراً منهم وأخرجوا الباقين من مدينتهم، وأعادوا الفضل حاكماً عليهم، حتى جاءه كتاب العزل من أخيه والي مصر وتعيين اسحاق بن ابرهة الذي لم يستمر طويلاً، فقد عزل، وعين أبو ذكر بن جنادة بدلا منه سنة ١٩٩هـ/٨١٤م، وهذا لم يحالفه الحظ أيضاً، فقد تمكن عمر بن ملاك بمساعدة الأندلسيين الربضيين من هزيمته وإخراجه من الإسكندرية، وإعادة الدعاء للجروي، وخدمه الحظ في السيطرة على الإسكندرية مرة ثانية، خصوصاً أن والي مصر المطلب قد انهزم أمام السري بن الحكم في ذلك الوقت.

---

(١) ابن الخطيب: أعمال، ص ١٦.

(٢) ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٣-٧٤؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧٠ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٢.

(٣) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥.

ولم تستمر الوحدة والعلاقة الحسنة بين عمر والربضيون، ذلك أنه أمرهم بالخروج من الإسكندرية والعودة إلى مراكبهم في جزيرة الرمل، لكثرة ما عاثوا من الفساد في البلاد، فنقموا عليه، لأنه فكر، وقرر التخلي عنهم، واستغلوا وجود طائفة الصوفية بزعامة ابي عبد الرحمن الصوفي التي تدعي أنها تأمر بالمعروف وتخالف أعمال الحاكم المنكرة فانضموا إلى جانبهم وحاولوا تقريب قبيلة لخم القوية، ونجحوا في تشكيل وحدة ثلاثية، اتفقت مصالحها في القضاء على عمر بن ملاك، وهذا ما حدث عندما خرجوا فيما يزيد على عشرة آلاف رجل وساروا إلى قصره وحاصروه وقتلوه[١].

وبعدها، استولى الحلف الثلاثي على الإسكندرية، لكن، لم يتم الاتفاق بينهم على حكم البلاد، لذا، فمن تقلد الحكم فيها كان نصيبه القتل، مثل محمد بن عبد الله وعبد الله البطال وأبي هبيرة الحارث وخديج بن عبد الواحد[٢]، وبقيت الحال كما هي، حتى انقسم الحلف على نفسه، فاتفق الربضيون مع الصوفية ضد قبيلة لخم، وقاتلوها وهزموها وسيطروا على الإسكندرية، وعينوا أبا عبد الرحمن حاكماً عليهم، لكنه أعاث الفساد والقتل والسلب والنهب فعزلوه وعينوا رجلاً يدعى بالكناني عليهم، وقاموا بإجلاء بني لخم عن الإسكندرية ونفيهم، وكذلك فعلوا ببني مدلج الذين حاولوا مقاومتهم، ولم يسمحوا لهم بالعودة إلى الإسكندرية، إلا عندما طلب منهم والي مصر السري أن يردوهم ففعلوا[٣].

وقد سيطر الربضيون من أهل قرطبة على الإسكندرية وحكموها فترة من الزمن، وساعدهم على ذلك انتشار الفتن والاضطرابات والثورات في عاصمة الخلافة الإسلامية العباسية بين الأمين والمأمون، وفي بلاد مصر بين المطلب والسري، وفي الإسكندرية بين قبائلها، وبينهم وبين هذه القبائل، ثم إن الغريق لا يخشى البلل، فأية حال اسوأ من التي وصلوا إليها، فقد شردوا من ديارهم ، وأصابهم الذل في المكان الذي استقروا فيه، فحاولوا تغيير وضعهم بأساليب ذكية، بنوع من المغامرة، ونجحوا في ذلك، إلا أن النجاح كان محدوداً كما سيتضح لنا في الصفحات اللاحقة.

وأخيراً، فقد وقعت كل هذه الأحداث في السنوات ١٩٩-٢٠٢هـ/٨١٤-٨١٧م، ففي سنة ١٩٩هـ/٨١٤م، اندلعت المشكلات والخلافات بين حكام الإسكندرية، وفي هذه الفترة، كان هناك بعض أهالي الأندلس من غزاة البحر على ساحل الإسكندرية، يقطنون بمراكبهم ويغزون البيزنطيين طمعاً

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٤٦؛ الكندي: ولاة، ص ١٨٣-١٨٧؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٢-١٧٣.
ولمزيد من التفاصيل حول الجروي والسري وكيفية سيطرتهم على مصر انظر: الكندي: ولاة، ص ١٨٢-١٨٥.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٤٦ ؛ الكندي: ولاة، ص ١٨٨ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

في الجهاد والحصول على الغنائم للمتاجرة بها، وهؤلاء ليسوا من ثوار أهل الربض الذين خرجوا من قرطبة سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م، بل من الذين خرجوا بعد الثورتين الأولى والثانية ١٨٩-١٩١هـ/ ٨٠٤-٨٠٦م في قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية إثر الثورات الكثيرة التي وقعت فيها. وهذا يعطينا دلالة واضحة على وجود فئات أندلسية تسكن سواحل الإسكندرية قبل مجيء الثوار الربضيين الذين لم يكونوا بأية حال من الأحوال غزاة بحر منذ اللحظة الأولى التي وصلوا فيها، والتي لم تتجاوز سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م، لأنهم انضموا مباشرة لغزاة البحر الأندلسيين ودخلوا الإسكندرية، وسيطروا عليها فترة من الزمن بفضل قوتهم ووحدتهم وكثرة أعدادهم. ولا صحة لقول من يدعي أن هؤلاء الثوار قد وصلوا إلى الإسكندرية سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م، أي بعد ثماني سنوات من ثورتهم، بحجة الطريق والمسافة[1]، ذلك أن المسافة بين قرطبة والإسكندرية لا تتجاوز خمسة وأربعين يوماً على الأكثر[2]، وأن من الثابت تاريخياً سيطرة الربضيين على الإسكندرية، فترة لا تقل عن عشر سنوات، حيث خرجوا بعدها إلى جزيرة كريت سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، فلو كان وصولهم سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م لما أقاموا بالإسكندرية أكثر من سنتين، وهذا يخالف الحقائق.

وبعد الانتهاء من الإجابة عن التساؤلات المتعلقة بالربضيين وكيفية استقرارهم في الإسكندرية، لا بد من معرفة موقف ولاة مصر الذين خضعوا للدولة العباسية أو الذين لم يخضعوا لها، ونبدأ القول: إنه بعد عزل المطلب بن عبد الله الخزاعي عن ولاية مصر من الثوار الخارجين عليه وعلى الدولة العباسية، فقد استولى السري بن الحكم على الوجه القبلي من مصر إلى أسوان، ويشمل الفسطاط، واستولى عبد العزيز الجروي على شرق الدلتا، أما قبيلتا لخم وجذام فقد بسطوا قوتهم غرب الدلتا[3]، والربضيون القرطبيون سيطروا على الإسكندرية وكانوا تابعين للجروي تارة وللسري طوراً أخر حسب الوضع، ذلك أن الصراع استمر بينهما في السيطرة على الإسكندرية، ولا أدل على ذلك من مقتل الجروي بحجر أصابه في أثناء حصاره للإسكندرية سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م[4]، ومات السري بعده بثلاثة أشهر[5]، فانتقل الحكم لابنيهما بعدهما، حيث سيطر محمد بن السري على غرب الدلتا والفسطاط

---

(١) Amam : "Cordovan", P. 300.

(٢) الزهري: الجغرافية، ص ١٢٨ (المسافة بين طرابلس والإسكندرية هي ثمانية عشر يوماً). وقياساً على ذلك، فإن المسافة بين المرية وطرابلس لا تتجاوز مثل هذا العدد من الأيام، فإذا أضفنا لهما ثمانية أيام على الأكثر مقدار المسافة بين قرطبة والمرية فتصبح أقل من خمسة وأربعين يوماً.

(٣) الكاشف: سيدة اسماعيل: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ٨٨-٨٩؛ وسيشار له: الكاشف: مصر.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر: الكندي: ولاة، ص ١٨٩-١٩٦ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

(٥) شيبوب: "جمهورية"، ص ٢٣٥.

وبلاد الصعيد، وعلي بن عبد العزيز الجروي على الوجه البحري، وقامت حروب بينهما، وتصالحا على أن يكف احدهما عن الآخر، ولما توفي محمد سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م، بايع الجند أخاه عبيد الله بن السري على ولاية مصر، فلم يتعرض له عَلي بن الجروي(١).

وسمح عبيد الله للأندلسيين بالاستقرار في الإسكندرية، وشجع من يسكنون جزيرة الرمل وساحل الإسكندرية على دخولها(٢)، وأعطاهم الحرية في إدارة شؤونهم بأنفسهم، كالحكم الذاتي في أيامنا الحالية، فشكلوا جمهورية أندلسية بالإسكندرية(٣)، كل هذا من أجل إيجاد ميزان قوى ضد الدولة العباسية، إن حاولت سحب ولاية مصر من تحت يديه، وعاش الأندلسيون بعد طول عناء حياة الدعه والاطمئنان، وتمنوا أن تستمر هذه الحال، لكن أمنيتهم لم تتحقق، فقد انتهت الصراعات في الدولة العباسية، وسيطر المأمون على الأوضاع، وأرسل قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين(٤)، والياً على مصر ليعيدها والإسكندرية لطاعة العباسيين.

---

(١) الكاشف: مصر، ص ١٠١.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٦٢-٣٦٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٣١٧.

(٣) شيبوب: "جمهورية"، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٤) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، سيد، نبيل، عالي الهمة، شهم، جواد، أديب، شاعر، من القادة والولاة الذين اعتمد عليهم المأمون في بعض بلاد العراق والشام ومصر والمغرب وخراسان وغيرها، وقد توفي سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م.

انظر التفاصيل: اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٤٦، ٤٦٣؛ ابن عساكر: قاسم علي بن حسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من دخلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ١٩ ج؛ دار البشير، د. ت، مخطوط مصور على ورق فوتستات، ج٩، ص ٤٤١-٤٥٤؛ وسيشار له: ابن عساكر: تاريخ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٤١٤؛ ج٧، ص١٣، ٢٣٢؛ الكرديزي: ابو سعيد عبد الحي (ت ٥هـ/١١م)، كتاب زين الأخبار، ترجمة: محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية، فاس، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٦-١٠؛ وسيشار له: الكرديزي: زين؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ٨٣-٨٨؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٦٧؛ الصفدي: الوافي، ج٧، ص ٢١٩-٢٢٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩١-٢٠١. ولما ولي عبد الله بلاد مصر، أرسل له أبوه كتاباً يحثه فيه على التزام الآداب ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، ليكون حكمه عادلاً لا يسيء إلى أحد فتستقر الأمور، ومما جاء في هذا الكتاب من النصائح: مشاورة الفقهاء والاهتمام بالقضاء وإرضاء العامة والالتزام بالعهود وعدم سفك الدماء، وهذا ما لم يلتزم به الحكم الربضي كما ينبغي. انظر نص الرسالة: الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٥٨٢-٥٩١؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٦٤-٣٧٧؛ ابن الأزرق: بدائع، ص ١٨٤-١٩٧.

وانطلق عبد الله إلى مصر سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م، وحارب عبيد الله فيها وانتصر عليه، وقتل الكثيرين من جنوده[١]، فما كان من عبيد الله إلا أن هرب، وتحصن في أحد قصوره محاولاً رشوة ابن طاهر بألف وصيف ووصيفة، مع كل واحد منهم كيس من الحرير، بداخله ألف دينار دون جدوى، فطلب الأمان وحصل عليه سنة ٢١١هـ/٨٢٦م[٢].

ولم يبق أمام ابن طاهر إلا استعادة الإسكندرية من الربضيين، فأرسل لهم كتاباً يؤذنهم بالحرب إن لم يدخلوا في الطاعة[٣]، فلم يردوا عليه بالقبول أو الرفض، فسار إليهم مع بعض قادته من الخرسانيين[٤]، سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[٥]، وحاصرهم حصاراً شديداً[٦]، استمر حوالي اسبوعين[٧]، قاتلهم خلالهما[٨]، حتى أذعنوا بالطاعة، وطلبوا الأمان فأمنهم[٩] وعقد

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦٠؛ الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٠؛ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١٨ج، تحقيق: محمد مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م؛ ج١٠، ص ٢١٧؛ وسيشار له: ابن الجوزي: المنتظم؛ ابن مسكوية: أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم (حوادث ١٩٨-٢٥١هـ)، ٣ ج، منشور ضمن كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت. ج٣، ص ٤٩٠؛ وسيشار له: ابن مسكوية: تجارب؛ مجهول: (ت ٥هـ/١١م): العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ٣ ج، بلا، د. ت، ج٣، ص ٣٦٧؛ وسيشار له: مجهول: العيون؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٦؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ٣٠.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص ٢١٨؛ ابن مسكوية: تجارب، ج٣، ص ٤٩٠؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٣٦٧؛ الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٠-٦١١؛ ابن الزبير: الرشيد بن الزبير (ت: ٥هـ/١١م)، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق: د. محمد حميد الله، تقديم ومراجعة: د. صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ج١، ص ٣٥-٣٦؛ وسيشار له: ابن الزبير: الذخائر؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٧؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤، ص ٣٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٣١٧؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٨٢. ويذكر المقريزي بأن ابن طاهر أخرج ابن السري من مصر؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٣؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٩.

(٤) الكندي: ولاة، ص ٢٠٧؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

(٥) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦١؛ الكندي: ولاة، ص ٢٠٧؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٣٦٩؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩٢. وورد خطأ عند بعض المؤرخين بأن السنة كانت ٢١٠هـ/٨٢٥م؛ الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٣؛ الذهبي: تاريخ، ج١٣، ص ٣١.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦١؛ الكندي: ولاة، ص ٢٠٧؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٣٦٩؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

(٧) الكندي: ولاة، ص ٢٠٧؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣؛ وقيل بل المدة كانت شهرين؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٣٦٩.

(٨) ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩٢؛ الناصري: الاستقصا، ج٤، ص ١٦٧.

(٩) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦١؛ الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٣؛ الكندي: ولاة، ص ٢٠٧؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٣٦٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٩؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

معهم صلحاً[١]، تلخصت أهم بنوده فيما يلي:

١- تأمينهم بالأموال اللازمة لهم بغية خروجهم من الإسكندرية[٢].

٢- السماح لهم باختيار المنطقة التي سيخرجون إليها، على ألا تكون خاضعة للدولة العباسية، فاختاروا جزيرة إقريطش[٣].

٣- تزويدهم بالمراكب التي يحتاجون لنقلهم إلى جزيرة إقريطش، على ألا يحملوا معهم أحداً من أهل مصر ولا عبداً ولا آبقاً مخالفاً للسلطة، وإن خالفوا هذه الشروط فهو في حل من عهدهم وتستبح دماؤهم[٤]، كما أخذ عليهم عهداً في أن يكونوا تابعين للدولة العباسية بعد استقرارهم في إقريطش[٥].

وزود عبد الرحمن الربضيين بالمراكب والأموال والأسلحة التي يحتاجون إليها، ولما تجهزوا للإنطلاق، أرسل من يفتش عليهم، فوجدوهم مخالفين للشروط في تحميل من لا يجوز لهم أن يحملوهم معهم، فأمر عبد الله بحرق مراكبهم، فسألوه أن يردهم إلى شرطهم ففعل، وساروا إلى إقريطش[٦].

ونجح عبد الله في إخراج الربضيين من الإسكندرية صلحاً دون إراقة دماء، وحقق هدفاً عسكرياً في نقلهم إلى جزيرة إقريطش التابعة للروم في ذلك الوقت، فإن استطاعوا الدخول إليها وهزيمة الروم فهذا أمر مطلوب، وإن انهزموا، فقد برئ من دمائهم وحقق الهدف الذي جاء من أجله.

وبذلك صدق يونس بن عبد الأعلى في قوله:

---

(١) الكندي: ولاة، ص ٢٠٧ ؛ مجهول: العيون، ج٣، ص ٣٦٩ ؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣ ؛ Reino: Revista, P. 305.

(٢) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٤ ؛ رينو : الفتوحات ، ص ١٣٠ ؛ Reino: Revista, P. 305.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٣ ؛ الكندي: ولاة، ص ٢٠٧ ؛ ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٤ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧٠ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٣٩؛ Reino : Revista, P. 305.

(٤) الكندي: ولاة، ص ٢٠٧ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

(٥) الطيبي: امين توفيق: "إمارة عربية اندلسية في جزيرة إقريطش (كريت)، ٢١٢-٣٥٠هـ/٨٢٨-٩٦١م" ، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، طرابلس، العدد (١)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ٤٦ ؛ وسيشار له: الطيبي: "امارة".

(٦) الكندي: ولاة، ص ٢٠٧ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣ . ويذكر ابن القوطية أن إخراج الربضيين من الإسكندرية كان زمن الخليفة هارون الرشيد بواسطة هرثمة بن أعين الذي بذل لهم المال للخروج؛ ابن القوطية: تاريخ، ص ٧٤.

" قدم علينا من قبل المشرق فتى حدث ـ يعني ابن طاهر ـ والدنيا عندنا مفتونة، قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس في بلاء، فأصلح الدنيا، وأمن البريء، وأخاف السقيم، واستوسقت له الرعية بالطاعة"[١].

وبعد أن أنهى عبد الله المهمات التي كلف إياها، عاد للفسطاط ثم العراق، سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[٢]، مستخلفاً على الإسكندرية الياس بن أسد بن سامان الخراساني[٣]، وعلى مصر عيسى بن يزيد الجلودي[٤]، فكانت مدة إقامته في مصر سنة واحدة، وخمسة أشهر وعشرة أيام[٥].

ومما يجدر ذكره أخيراً أنه حدث بعض التأثيرات الأندلسية على الإسكندرية في مجال الزراعة وتشكيل الحدائق وتزيينها بصورة طفيفة لقصر المدة، عبر عنها البعض بقولهم: "وعلى الإسكندرية البساتين الأنيقة والغيطان الفساح... وبها من الفواكه المنتخبة الثمار، وهي تفوق مصر بحسن ثمراتها ورخص الفواكة بها"[٦].

" وكانت العمارة ممتدة من رمال رشيد ورمال الإسكندرية إلى برقة الرجل يسافر فلا يحتاج إلى زاد، ولا يسير إلا في ظل الفواكة وغيرها"[٧]. ومن التأثيرات الأندلسية فتح باب العلاقات بين المنطقتين بشكل مستمر[٨].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٨، ص ٦١٣ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٩.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦١ ؛ الكندي: ولاة، ص ٢٠٧ ؛ ابن مسكوية: تجارب، ج٣، ص٤٩٣ ؛ مجهول: العيون، ج٣، ص٤٩٣ ؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ٨٨ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص١٧٣ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩٥.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦١ ؛ الكندي: ولاة، ص ٢٠٧ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٤٦١ ؛ وانظر المصادر الأخرى عند الحديث عن ولاة مصر سابقاً.

(٥) الكندي: ولاة، ص ٢٠٨ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ٢٠٠.

(٦) العمري: مسالك، ص ٨٩-٩٠.

(٧) الطهشواري: تاريخ، ص٤١أ؛ وانظر النويري: تاريخ، ص٤٨٣؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص١٤٦؛ Amam:"Gordovan",P. 300

(٨) السعيد: الروابط، ص ١١-١٢ ؛ سالم: قرطبة، ج٢، ص ٦١ - ٦٤.

أهل الربض في إقريطش (كريت):

إقريطش إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط [١] الآهلة بالعمارة والسكان[٢] كصقيلية وقبرص ورودس وجزر البليار (منورقة، ميورقة، اليابسة)، وهي مستطيلة الشكل[٣]، يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب بين ثلاثمائة إلى ثلاثمائة وخمسين ميلاً[٤]، وعرضها مائة وثلاثون ميلاً[٥]، ودورها ثلاثمائة وخمسون ميلاً[٦].

تقع في القسم الشرقي من البحر المتوسط بين صقيلية وقبرص[٧]، وتحتل موقعاً مميزاً من القارات القديمة الثلاث اسيا وافريقيه وأوروبا[٨]، ومن أشهر مدنها الداخلية الخندق وربض الجبن[٩]، ومرافئها سودا وكربوزا وميرابللا ومساره وغيرها[١٠]، وجبالها ديكته وايدا وبلانك[١١]، وأنهارها ميتروبولي بوتاموس Metropolipotamos وانابوثياري Anapothiari[١٢].

وتقسم إقريطش بحر ايجة إلى قسمين، تتحكم فيهما[١٣]،ومما يقابلها من بلاد المغرب بربرقه[١٤]،

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك، ص ٢٣١، قدامة بن جعفر (ت ٣٧٧هـ/٩٤٨م): الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ١٤٦-١٤٧؛ وسيشار له: قدامة: الخراج؛ الزهري: الجغرافية، ص ١٣١ ؛ الادريسي: انس، ص ١٧٤ ؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦ ، ٣٤٥ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧١ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(٢) المقدسي: أحسن، ص ١٥؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(٣) النويري: تاريخ، ص ٤٨٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص ٨٥ ؛ Reino: Revista, P. 305 .

(٤) الادريسي:انس،ص١٧٥؛ ابن سعيد:الجغرافية،ص١٧٠؛ ابو الفداء: تقويم،ص١٩٥ ؛الحميري: الروض،ص ٥١.

(٥) الادريسي: انس، ص ١٧٥.

(٦) ابو الفداء: تقويم، ص ١٩٥. وقيل خمسة عشر يوماً؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١٩٥ ؛ الحميري: الروض ، ص ٥١ . وذكر البكري ان دورها ثمانمائة ميل ؛ البكري: جغرافية الأندلس، ص ٢١٢.

(٧) المقدسي: أحسن، ص ١٥ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧١ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(٨) غنيم: اسمت: الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المجمع العلمي بجده، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، ص ٢٤، وسيشار له: غنيم: كريت.

(٩) شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ١٤٢.

(١٠) غنيم: كريت، ص ٢٦ ؛ راشد: زينب عصمت: كريت تحت الحكم المصري، ١٨٣٠-١٨٤٠م، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢-٣، وسيشار له: راشد: كريت.

(١١) غنيم: كريت، ص ٢٦.

(١٢) الزهري: الجغرافية، ص ١٣١ ؛ غنيم: كريت، ص ٢٦-٢٧.

(١٣) العدوي: "إقريطش"، ص ٥٥ ؛ راشد: كريت، ص ١.

(١٤) شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ١٤٢.

وبرلوبيا[١]، ومدينة الإسكندرية[٢].

عرفت إقريطش بعدة أسماء، منها دوليخه Doliche لشكلها المستطيل، وايدايا نسبة لجبل ايدا، وكورتيس Curetes وتلخينيا Telchinia نسبة لبعض الشعوب التي سكنتها، ويديا Aeria للطف هوائها واعتدال مناخها، وكريس Cres نسبة لأول ملك حكمها، واسماء أخرى، مثل ماكارونيسوس Macaronesos، وكريتا Creta اللذين أطلقهما البيزنطيون عليها[٣]. أما سبب تسميتها بإقريطش فهو تحويل لكلمة إقريطية، نسبة لرجل مجوسي بناها اسمه قراطي[٤]، أو من إقريطش البترليش التي تعني مائة مدينة[٥]، لكثرة المدن والقرى التي ضمتها.

وتميزت الجزيرة بخصب أرضها[٦]، وجودة محصولها من الأشجار المثمرة والفواكه والحبوب[٧]، ومنتجاتها من العسل والجبن[٨]، والسمك[٩] والانتيمون أو الفينتمون (من الأعشاب الطبية)[١٠]، وغناها بالمواشي كالابل والماعز والوعول والبغال والأرانب[١١]، والمعادن كالذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها[١٢]، مما جعلها مركزاً تجارياً مرموقاً[١٣]، فهي "كثيرة الخير والمير والتجارة، والوارد منها والصادر إليها رابح"[١٤].

هذه جزيرة إقريطش التي اتفق الربضيون في الإسكندرية مع عبد الله على الهجرة اليها، لكن لماذا اختاروها دون غيرها؟، وكيف تمكنوا من فتحها والسيطرة عليها؟ وما العوامل التي ساعدتهم على ذلك؟ وما أهم النتائج التي ترتبت على سقوطها بأيديهم؟.

---

(١) الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧١.

(٣) غنيم: كريت، ص ٢٢-٢٣.

(٤) البكري: جغرافية الأندلس، ص ٢١٢.

(٥) المصدر السابق: ص ٢١٢ ؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(٦) الزهري: الجغرافية، ص ١٣١ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٣ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١ ؛ Rino:Revista, P.305.

(٧) الزهري: الجغرافية، ص ١٣٢ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١ ؛ راشد: كريت، ص ٤-٦.

(٨) الزهري: الجغرافية، ص ١٣٢ ؛ ابن سعيد: الجغرافية، ص ١٧٠ ؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١٩٥.

(٩) الزهري: الجغرافية، ص ١٣١.

(١٠) المصدر السابق: ص ١٣١ ؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ١٤٢ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(١١) الحميري: الروض، ص ٥١ ؛ راشد: كريت، ص ٧.

(١٢) شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ١٤٢ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١ ؛ غنيم: كريت، ص ٣٠ ؛ راشد: كريت، ص ٧.

(١٣) غنيم: كريت، ص ٢٥.

(١٤) ابن حوقل: صورة، ص ١٨٤.

إختار الربضيون جزيرة إقريطش دون غيرها من المدن والجزر للأسباب التالية:

١- اضطهاد أهالي المغرب والمشرق من المسلمين لهم، فقد طردوا من الأندلس ولم يستقبلهم أهالي المغرب - عدا فاس - حتى وصلوا للإسكندرية التي طردهم العباسيون منها، فلم يجدوا مكاناً إسلامياً يلتجئون إليه، فاضطروا إلى غزو إقريطش.

٢- أقرب جزر البحر الأبيض المتوسط للإسكندرية، فهي تقابل بلاد مصر، أما جزيرة صقيلية، فهي تقابل بلاد المغرب، وجزيرة قبرص تقابل بلاد الشام[١].

٣- معرفتهم بالطرق المؤدية لها في البحر الأبيض المتوسط بشكل كبير، فها هو ذا المقدسي يقول عن أهل الأندلس "ما رأيتهم يختلفون فيه... وفيه طريقهم إلى مصر والشام..."[٢].

٤- توافر الكثير من المعلومات عندهم عن المنطقة، من خلال تعاملهم التجاري مع أهاليها، عن طريق الغزو والحصول على الغنائم[٣] أو عن طريق البيع والشراء[٤]، ومعرفتهم بضعف حاميتها وقلة عدد سكانها[٥].

٥- ادراكهم لأهمية موقع الجزيرة الجغرافي والاستراتيجي والاقتصادي، ورغبتهم في اتخاذها موطناً لهم، يساعدهم على الاستقرار والعيش بأمان وطمأنينة، ويساعدهم على نشر الإسلام ومحاربة البيزنطيين وفتح القسطنطينية[٦].

٦- تشجيع العباسيين لهم على دخولها وتزويدهم بالمال والسلاح والمراكب، وذلك من أجل التخلص منهم ومن مشكلاتهم أولاً، ولايجاد مكان يقطنون فيه دون الاساءة إليهم ثانياً، وللدفاع عن حدود بلادهم من غارات البيزنطيين وقطع مورد مالي وعسكري مهم لهم ثالثاً، ذلك أن هذه الجزيرة كانت مصدراً للجنود المرتزقة[٧].

وبدأت محاولات المسلمين شن غارات استطلاعية على جزيرة إقريطش بغية اثبات قوتهم للروم المسيطرين عليها من جهة، وللحصول على غنائم يتاجرون بها من جهة ثانية، ومحاولة لفتحها من جهة ثالثة. فقد حاول جنادة بن أبي أمية الأزدي زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأموي فتحها سنة ٥٤هـ/٦٧٣م، إلا أنه لم يتمكن، بسبب غرق جزء كبير من الأسطول، وكذلك، حاول الخليفة الوليد

---

(١) المقدسي: أحسن، ص ١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥.

(٣) ابن خرداذبة: المسالك، ص ٢٣١؛ غنيم: كريت، ص ٣٧.

(٤) ابن سعيد: المغرب، ص ١٧٠.

(٥) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥؛ ابن سعيد: المغوب، ص ٤٢.

(٦) غنيم: كريت، ص ٣٢-٣٣؛ سالم: الإسكندرية، ص ١٤٣؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٦-٥٧.

(٧) العدوي: "إقريطش"، ص ٥٥؛ غنيم: كريت، ص ٣٣.

ابن عبد الملك دون جدوى، والقائد حميد بن معيوف الهمذاني زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي فتح جزءاً منها سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م، لكن البيزنطيين تمكنوا من استعادته[١]، حتى جاء الأندلسيون الربضيون وتمكنوا من فتحها والسيطرة عليها سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[٢] ، زمن الخليفة المأمون العباسي، وقصة ذلك:

أنه بعد اتفاق الربضيين مع عبد الله على الخروج من الإسكندرية إلى جزيرة إقريطش، ركبوا أربعين مركباً[٣]، ربما زودهم بها عبد الله، أو هي التي كانوا يمتلكونها ويغزون بها للمتاجرة، بقيادة أبي حفص عمر بن شعيب البلوطي المعروف بابن الغليظ[٤]، وخاضوا البحر المتوسط حتى وصلوا حدود الجزيرة في عهد الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني ٨٢٠-٨٢٩م/٢٠٥-٢١٤هـ فنزلوا بالجزء الشمالي الغربي منها عند خليج سودا Suda[٥]، أو خليج لادا Lada المسمى خراكس Charax[٦] ، لمعرفتهم أحواله

---

(١) البلاذري: فتوح، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ قدامه: الخراج، ص ٣٥١؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٣ ؛ Reino: Revista, P. 303.

(٢) البلاذري: فتوح، ص ٢٣٨؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢،ص٥٣١ ؛ الحموي: معجم،ج١،ص٢٣٦ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٩؛ ابن سعيد: المغرب، ص ١٧٠ ؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٣١٧؛ ج٤، ص ٢٧٠ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩٢ ؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٦٢. وهناك من لم يحدد السنة التي فتحت الجزيرة فيها بدقة، بل اكتفى بالقول: إن ذلك حصل بعد سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م ،معتمداً على هجرة الربضيين من قرطبة،وهذا لا يخالف ما اعتمدناه من سنة للفتح؛ ابن حزم: رسائل ، ج٢ ، ص١٢٦، ١٥٠ ، ١٧٤؛ المقري: نفح، ج٣،ص١٦٢. أما من قال: إن ذلك تم بعد سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م أو ٢٣٠هـ/٨٤٤م، فربما يقصد استكمال فتح جميع مدن الجزيرة، وليس دخول الجزيرة نفسها ؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٣١ ؛ الذهبي : تاريخ، ج٢٥، ص ٢٣٥.

(٣) الكندي: ولاة، ص ١٨٨ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٤ ؛ فازيليف: العرب، ص ٥٧ ؛ Amam : "Cordovan", P. 302.

(٤) البلاذري: الفتوح، ص ٢٣٨ ؛ قدامه: الخراج، ص ٣٥١ ؛ ابن حزم: رسائل "رسالة في فضل الأندلس"، ج٢، ص ١٧٤؛ "رسالة في جمل فتوح الخلفاء"، ج٢، ص ١٢٩؛ الضبي: بغية، ص ٤٠٧؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٣١ ؛الحموي: معجم، ج١،ص٢٣٦؛ الذهبي: تاريخ، ج ٢٥، ص ٢٣٥ ؛ النويري: تاريخ،ص ٤٨٣ ؛ المقريزي: الخطط،ج١،ص ١٧٣ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩٢ ؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٦٢. وأبي حفص من قرية بطروج أو بطروش من مدينة فحص البلوط وعاصمتها غافق، وتقع شمالي قرطبة على مسافة ٢-٥ أيام منها، وتشتهر بخصوبة أرضها وكثرة شجر البلوط فيها، وشجاعة أهلها. انظر: ابن الفقيه: مختصر، ص ٨٧ ؛ الاصطخري: المسالك، ص ٤٣، ٤٧ ؛ الاصطخري: الاقاليم، ص ٢٢، ٢٥ ؛ ابن حوقل: صورة، ص ١٠٦؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٤٤٧ ؛ ج٤، ص ٢٣٦؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر، ص ٢٤٤ ؛الحميري: الروض، ص ٩٣، ٩٥، ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٥) العدوي: "إقريطش"، ص ٥٨.

(٦) غنيم: "كريت"، ص ٤٣؛ مؤنس: حسين "المسلمون في حوض البحر المتوسط إلى الحروب الصليبية"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد (٤)، عدد (١)، ١٣٧١هـ/١٩٥١م، ص ١٣٨ ؛ وسيشار له: مؤنس: المسلمون.

وسهولة الدخول فيه للجزيرة، فسيطروا عليه وشيدوا حصناً منيعاً فيه، وبنوا حوله خندقاً لحماية أنفسهم من أهالي الجزيرة وهجمات البيزنطيين[١] وبعدها، اتخذوا هذا الموقع قاعدة مدنية وعسكرية لهم. وأول عمل قام به ابو حفص هو حرق المراكب التي جاءوا فيها[٢] حتى يجبرهم على الاستقرار والاستماتة في إتمام فتح الجزيرة والعيش فيها والدفاع عنها، ويبعد عنهم شبح التفكير بالعودة إلى الإسكندرية من أجل أبنائهم ونسائهم، وكي يحافظ عليهم من التشتت ومعاناة الظلم والذل، فغضبوا عليه واتهموه بالجنون[٣]، فرد عليهم قائلاً لهم:

فيم شكواكم؟، على ماذا أنتم خائفون؟ لقد جئت بكم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، هذه هي بلدكم وموطنكم الحقيقي، اريحو أنفسكم من عناء التعب وانسوا وحشة أوطانكم المجدبة. فقالوا له: وماذا يؤول إليه أمر نسائنا وأطفالنا؟، فقال لهم: اتخذوا لكم من نساء الجزيرة الأسيرات الجميلات ذوات الحسن زوجات، وبذا تصبحون عما قريب أباء جيل جديد؟[٤].

وهنا، لا بد من تأكيد أمرين اثنين، أولهما: أن الربضيين لما هاجروا من الإسكندرية إلى جزيرة إقريطش لم يصطحبوا أهاليهم من النساء والأطفال، لأنهم خرجوا بهدف الغزو والحرب، فإن نجحوا بفتح الجزيرة والاستقرار بها سهل عليهم دعوتهم للعيش معهم، وإن لم يستطيعوا تبق عائلاتهم في أمان. وثانيهما: هو ترجيح حرق المراكب لوجود معارضين له استندوا على أن هؤلاء الربضيين هم غزاة بحر وليس من السهل عليهم السكوت على حرق مراكبهم، ثم إنهم بحاجة إلى هذه المراكب لتأمين أنفسهم من غارات الأعداء ، ومن أجل الاستمرار في فتح الجزر المجاورة لإقريطش[٥] وقالوا إن صدق موضوع

---

(١) وهذا المكان هو الذي سمي بمدينة الخندق عندما كثر السكان فيه، واطلق عليه أيام البنادقة والعثمانيين كانديا أو قندية Candia، وأيام اليونان حالياً Herakleion . انظر: الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦ ؛ الحميري: الروض ، ص ٥١ ؛ فازيليف: العرب، ص ٥٧؛ Amam : "Cordovan", P. 304 ؛ جيس : " إقريطش "، المعارف الإسلامية، ج٢، ص ٤٦٧ ؛ رستم: أسد: الروم في سياستهم، حضارتهم ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، ٢ ج، الطبعة الأولى، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م؛ ج١، ص ٣٢٣؛ وسيشار له: رستم:الروم؛ شيبوب: "جمهورية"، ص ٢٣٦ ؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٤١٢ ؛ العبادي: في تاريخ ص ٣٣٥؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٩ ؛ عثمان: "ثورة الربض"، ص ١٨٠ ؛ غنيم: كريت، ص ٤٤.

(٢) فازيليف: العرب، ص ٥٧؛ غنيم: كريت، ص ٤٣ ؛ غنيم: اسمت: تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ٣٢٤-١٤٥٣م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٦٧ ؛ وسيشار له: غنيم: تاريخ؛ راشد: كريت، ص ٢٠.

(٣) فازيليف: العرب، ص ٥٧؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٨.

(٤) فازيليف: العرب، ص ٥٧ ؛ غنيم: كريت، ص ٤٣ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٨ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٧ "هنا ستجدون النساء أكثر جمالاً وأكثر جاذبية ، وسوف تحصلون على كل الرضا الذي ترغبون به" ؛ Amam : "Cordovan", P. 303.

(٥) غنيم: كريت، ص ٤٣ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٦٧.

الحرق، فيكون للمراكب غير الصالحة[١]، لكننا نرد عليهم بقولنا: إن حرق المراكب شيء طبيعي ويقبله العقل للأسباب التي ذكرناها سابقاً، ثم، ما الفائدة من المراكب إذا انشيء حصن محاط بخندق؟ أتبقى لكي يستفيد منها الأعداء؟ كما أنه لا حاجة لهم بها، فقد دخلوا حدود الجزيرة، فإذا ما تم لهم السيطرة عليها والاستقرار بها، فإنه يسهل عليهم إنشاء أسطول جديد لكثرة الخشب فيها[٢]. وبذلك، ضمن ابو حفص عدم تفكير الربضيين إلا في النجاة بأنفسهم، ولا يكون ذلك إلا بحرب البيزنطيين والانتصار عليهم والسيطرة على إقريطش للعيش فيها، وهذا ما كان، فقد تمكنوا من فتح جميع مدنها، بحيث لم يبق بها أحدٌ من الروم[٣] خصوصاً ان أبا حفص قد سمح لأتباعه بالسلب والنهب مدة اثني عشر يوماً[٤]، فنزلوها واعتمروها[٥] "وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم"[٦].

وثمة عدة عوامل ساعدت الربضيين على فتح جزيرة إقريطش، يمكن إجمالها بما يلي:

١ـ الأسباب السالفة الذكر التي دعتهم إلى اختيارها دون غيرها من البلاد.

٢ـ قيامهم بغارة استطلاعية عليها وعودتهم بالوفير من الغنائم والأسرى[٧]، مما يعطينا دلالة واضحة على سوء أوضاعها الداخلية.

٣ـ كثرة المشكلات والفتن الداخلية التي كانت تعانيها الجزيرة، ومن أهمها:

---

(١) غنيم: كريت، ص ٤٤ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٦٧ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٧.

(٢) غنيم: كريت، ص ٣٠ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٦٠.

(٣) قدامه: الخراج، ص ٣٥١ ؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٣-٤٨٤ ؛ فازيليف: العرب، ص ٥٦-٥٨ ؛ جيس: "إقريطش"، ج٢، ص ٤٦٧ (الا اسفاكية) ؛ غنيم: كريت، ص ٤٥ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٦٧ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٩ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٧ ؛ Reino: Revista, P. 305 ؛ سالم : الإسكندرية، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ صقر: نادية حسني: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول "دراسة تحليلية لعهد الواثق بالله"، المكتبة الفيصلية، بيروت: لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٩٩-١٠٠؛ وسيشار له: صقر: السلم.

(٤) فازيليف: العرب، ص ٥٦ ؛ صقر: السلم، ص ٩٩.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٩ ؛ النويري: تايخ، ص ٤٨٤ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص ٢٧ ؛ ابن تغسري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩٢ ؛ Reino: Revista, P. 305 .

(٦) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥.

(٧) البلاذري: فتوح، ص ٢٣٨ ؛ قدامه: الخراج، ص ٣٥١ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٣ ؛ الذهبي: تاريخ، ج٢٥ ، ص ٢٣٥؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ١٩٢ ؛ المقري: نفح، ج٣، ص ١٦٢؛ فازيليف: العرب، ص ٥٥ ؛ رستم: الروم، ج١، ص ٣٢٢-٣٢٣ ؛ Reion: Revista, P. 305 .

أ- الخلافات المذهبية الحادة حول حركة الايقونات أو الصور التي حاول ميخائيل الثاني التخلص منها، ونقمة الناس عليه، ومطالبتهم إياه بإعادتها، ورفضه ذلك، ونقمته عليهم لعدم الانصياع لأوامره[١].

ب - الحروب الأهلية الداخلية على العرش[٢].

ج - ثورة توماس الصقلبي التي استمرت ثلاث سنوات ٨٢١-٨٢٤م/٢٠٦-٢٠٩هـ وحصارة للقسطنطينية، واضطرار ميخائيل الثاني إلى سحب جيوشه من كل المواقع ومنها إقريطش، للدفاع عن الخطر الذي يهدد عاصمته، وقد تمكن ميخائيل من هزيمة توماس بعد حروب طويلة[٣].

٤- تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأهالي جزيرة إقريطش وسوء إدارة الدولة البيزنطية في فرض الكثير من الضرائب عليهم، وظلمهم في جبايتها[٤]، "فرفع الخادم يده في وجه سيده والجندي في وجه قائده والقائد في وجه أميره"[٥]. فانضموا لثورة توماس املاً في تغيير الأوضاع، وكذلك، رحبوا بالعرب المسلمين للهدف نفسه.

٥- عدم وجود حامية عسكرية قوية للدفاع عن الجزيرة[٦] ، وذلك بسبب استدعاء ميخائيل الثاني لها لمساعدته في القضاء على ثورة توماس. وإن كان هناك حامية، فهي ليست قوية للوقوف في وجه الربضيين الذين حرق اسطولهم ابو حفص، فأصبحوا مضطرين للاستماتة في فتح الجزيرة، لأنها الأمل الوحيد في استمرار وجودهم.

٦- انشغال الامبراطورية البيزنطية بالدفاع عن جزيرة صقيلية التي هاجمها الفقيه اسد بن الفرات في عشرة آلاف رجل، حيث تمكن من دخول ميناء مرسى مازر وهزيمتهم في معركة مرج بلاطه

---

(١) فازيليف: العرب، ص ٢٩ ؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٤١٥ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٧ ؛ الطيبي: " إمارة "،ص ٤٦ -٤٧؛ عمران: محمود سعيد: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)"،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ، ص ١٢٣ - ١٢٤؛ وسيشار له: عمران: معالم.

(٢) عاشور: أوروبا، ج١، ص ٤١٢، ٤١٥ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٧ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٦-٤٧ ؛ صقر: السلم، ص ٩٨.

(٣) فازيليف: العرب، ص ٢٨-٥١ ؛ عمران: معالم، ص ١٢٤-١٢٦ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٧ ؛ رستم: الروم، ج١، ص ٣٢١ ؛ راشد: "كريت"، ص ١٩ ؛ صقر: السلم، ص ٩٨؛ غنيم: كريت، ص ٤٢.

(٤) فازيليف: العرب، ص ٢٩، ٥٦ ؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٤١٥ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٨ ؛ راشد:كريت، ص ١٠٠.

(٥) فازيليف: العرب، ص ٢٩.

(٦) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥ ؛ ابن سعيد: المغرب، ص ٤٢ ؛ فازيليف: العرب، ص ٥٦.

سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[١]؛ وحصل على الكثير من الغنائم التي ساعدته على الاستمرار بفتح العديد من الحصون والمدن، حتى وصل العاصمة سرقوسة سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م وحاصرها، لكن انتشار الطاعون فتك به وبإعداد كبيرة من المسلمين، الأمر الذي أدى إلى رفع الحصار عنها، والتفكير في العودة إلى إفريقية، خصوصاً بعد وصول إمدادات عسكرية من البندقية والقسطنطينية، وتعرض إفريقية لهجوم ايطالي بحري على سواحل القيروان[٢].

و لم يتمكن المسلمون من تنفيذ ما فكروا به، فحاصرهم البيزنطيون وتحصنوا بحصن ميناو قرب سرقوسه وسكنوه، حتى توقف الوباء، وشفي الرجال، وعينوا محمد بن ابي الجواري قائداً عليهم، فحاول فك الحصار دون جدوى، فضاقت بهم الحال[٣]، حتى وصلهم اسطول إنقاذ من الأندلسيين في ثلاثمائة مركب بقيادة أصبغ بن وكيل الملقب بفرغلوش سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م، ففك حصارهم وهزم الروم سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م[٤] .

وهذا الأسطول هو غزاة بحر من المجاهدين الأندلسيين، جاءوا لمساعدة اخوانهم الربضيين على فتح جزيرة إقريطش، ولما فتحوها وعلموا بحال المسلمين في صقيلية، خرجوا مع بعضهم لمساعدتهم والقضاء على نفوذ الروم في مياه البحر الأبيض المتوسط. وترتب على سقوط جزيرة إقريطش بيد الأندلسيين الربضيين عدة نتائج يمكن إجمالها بالنقاط التالية:

١- السيطرة على الجزيرة من كل الجوانب إذ تم:

أ- التكيف للعيش مع من بقي من أهاليها الذين رحبوا بهم وانضموا إلى جانبهم وساعدوهم على عمارتها[٥].

---

(١) البكري: جغرافية الأندلس، ص ٢١٩-٢٢٠؛ الحموي: معجم، ج٣، ص ٤١٧ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٣٥ ؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص ١٠٢ ؛ الحميري: الروض: ص ٣١٨، ٣٦٦؛ فازيليف . العرب، ص ٧٢-٧٤؛ Reino: Revista, P. 288.

(٢) ابن جبير: رحلة، ص ٢٧٣ ؛ الحموي: معجم، ج٣، ص ٤١٧ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٣٥-٣٣٦ ؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص ١٠٢ ؛ الحميري: الروض، ص ٣١٨، ٣٦٦ ؛ فازيليف: العرب، ص ٧٤، ٧٧ - ٧٩ ؛ Reino: Revista, P. 288-289 .

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٣٦ ؛ فازيليف: العرب، ص ٨٠-٨٣ ؛ Reino: Revista, P. 289-290 .

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٣٧ ؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص ١٠٤ ؛ Reino: Revista, P. 290 .

(٥) Amam : "Cordovan", P. 303 ؛ غنيم: كريت، ص ٤٤ ؛ غنيم : تاريخ، ص ٦٧.

ب ـ إعلان استقلال الجزيرة من الحكم البيزنطي، وإقامة حكم ذاتي وراثي لبني حفص بها يعترف بدولة الخلافة العباسية السنية[١]، ويتبع لمصر إدارياً[٢]، لقرب المسافة بينهما، ولضمان تزويدهم بالأسلحة التي يحتاجونها باستمرار.

ج ـ عمل علاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع معظم بلاد العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، فقد رحبت بالمهاجرين الذين وصلوا إليها واستوطنوها عن رغبة منهم[٣] أو دون رغبة، حيث تم نفيهم إليها[٤]، وظلت علاقاتهم الاقتصادية مستمرة، خصوصاً مع الإسكندرية، حيث كانت تصدر لهم الجبن والعسل وتستورد منهم الأسلحة[٥]. أما الثقافة والعلم والعلماء والفقهاء، فقد ظهر الكثيرون منهم في الجزيرة، كالقائد ابي حفص، ومحمد بن عيسى بن دينار الغافقي الذي حضر فتح الجزيرة[٦]، ومروان بن عبد الملك "ابن الفخار" الذي كانت تدور عليه فتيا الجزيرة[٧]، وأحمد بن خالد "الحباب" الذي رحل إليها وسكنها[٨]، وعمر بن عيسى الذي رفض التنصر سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، وسجن بالقسطنطينية[٩]، وغيرهم كثير[١٠].

٢ـ السيطرة على البحر الأبيض المتوسط عسكرياً من خلال:

أـ اتخاذ الجزيرة ثغر رباط وجهاد، وقاعدة للغزوات الإسلامية على الجزر والمدن الساحلية البيزنطية، فأصبحت مصدر رعب وخوف لهم، مما جعلهم يهربون منها، فصدق قول

---

(١) غنيم: كريت، ص ٤٥ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٦٨ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٧ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٩ ؛ سالم: الإسكندرية، ص ١٤٥ ؛ دياب: جابر محمد: سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٦٥ ؛ وسيشار له: دياب: سياسة.

(٢) غنيم: تاريخ، ص ٦٨ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٥٩ ؛ سالم: الإسكندرية، ص ١٤٥ ؛ دياب: سياسة، ص ٦٥.

(٣) ابن الآبار: الحلة، ج١، ص ٤٥ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٨ ؛ Amam : "Cordovan", P. 304, 308.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٩، ص ٢٥٩ ؛ ابن عبد ربه: العقد، ج٥، ص ٤٠٦ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٧، ص ١١٩ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٣٥٤.

(٥) الزهري: الجغرافية، ص ١٣٢ ؛ ابن سعيد: الجغرافية، ص ١٧٠ ؛ ابو الفداء: تقويم، ص ١٩٥ ؛ غنيم: كريست، ص ٨٨.

(٦) عياض: ترتيب، ج٤، ص ٢٦٢ ؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦ ؛ المقري: نفح، ج٢، ص ١٤٩.

(٧) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٢٣ـ١٢٤ ؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٨) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٢٨ـ١٣٠؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٣٨ـ١٤٠ ؛ عياض: ترتيب، ج٥، ص ١٧٤ ـ ١٧٨.

(٩) الحميري: الروض، ص ٥١.

(١٠) ابن الفرضي: تاريخ، ج٢، ص ١٢٨ ـ ١٣٠، ١٨٧ ؛ تاريخ العلماء، ج٢، ص ١٢٨ـ١٣٠، ١٨٩ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

ابن حوقل "وجزيرة إقريطش حرة منذ كانت واهلها في غاية الجهاد، ولم يكن للنصرانية فيها مدخل ولا مخرج"[١]، فعظم ذلك على البيزنطيين، لأن الأمر لم يتوقف، بل استمر، وقضى على فيالقهم البرية والبحرية التي كانت ممتدة على طول ساحل البحر المتوسط[٢] ، وظلت إقريطش منوطة بالقهر والاستظهار [٣]، ففي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، هاجم المسلمون جزيرة ايجينا وقتلوا وسلبوا ونهبوا[٤]، وساهموا في محاولة فتح صقيلية كما ذكرنا سابقاً، وفي سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م، دمروا اسطولاً بيزنطياً قرب جزيرة ثاسوس Tasos ، وهاجموا منطقة جبل اتوس Athos شرق سلانيك، وبعض سواحل اسيا الوسطى الغربية، واستمرت غزواتهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين على مدن اليونان وسواحلها[٥].

ب ـ فتح أكثر من جبهة قتالية ضد البيزنطيين، فمن المشرق، استمرت الحملات العسكرية العباسية عليهم لحماية سواحلهم الشامية من اعتداءاتهم[٦]، وكذلك من المغرب والأندلس[٧]، والروس والبلغار من الشمال[٨] .

---

(١) ابن حوقل: صورة، ص ١٨٤ .

(٢) الطيبي: "إمارة"، ص ٤٧ ، ٤٩ ؛ شيبوب: "جمهورية"، ص ٢٣٧ ؛ راشد: كريت، ص ١٠٠ ؛ العدوي : "إقريطش"، ص ٦٠ ؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٢٤٩.

(٣) ابن حوقل: صورة، ص ١٨٤.

(٤) فازيليف: العرب، ص ٥٨ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٦٠؛ دياب: سياسة، ص ٣٦ ؛ راشد: كريت، ص ١٠١.

(٥) فازيليف: العرب، ص ٥٩ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٩ ؛ دياب: سياسة، ص ٦٩ ؛ راشد: كريت، ص ١٠٠-١٠١؛ Amam : "Cordovan", P. 307 .

(٦) المسعودي: التنبيه، ص ١٧٦-١٨٢ ؛ القرطبي: عريب بن سعد (٣٦٩هـ/٩٧٩م) صلة تاريخ الطبري، مطبعة بريل، ليدن، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ص ٩، ١٣، ١٧-١٩ ، ٣١، ٣٣، ٥٥، ٦٤ ؛ وسيشار له: القرطبي: صلة؛ الانطاكي: يحى بن سعيد بن يحى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م): تاريخ الانطاكي المعروف في "صلة تاريخ اوتيخا"، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ٢١، ٧٨-٧٩، ٨٣-١٤١؛ وسيشار له: الانطاكي: تاريخ، مسكوية: تجارب، ج٣، ص ٤٦٤، ٤٩٤-٤٩٥ ؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص ٢٦٥-٢٦٦، ٢٧٤؛ ج١٤، ص ١٦، ١١٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ٣٥٢، ٤٠٥، ٤١٧، ٤٨٥-٤٨٦، ٤٩٩، ٥٢٧ ، ٥٣١-٥٣٢، ٥٣٨-٥٣٩، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٦٠-٥٦١، ٥٩٦-٥٩٧، ٦٠٣-٦٠٨؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ١٣-١٥؛ ج٢٥، ص ٤٥، ٢١٣، ٢٢٥-٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٢؛ ج٢٦، ص ٦-٧، ١١، ١٨-٢٠؛ الذهبي: العبر، ج١، ص ٢٩٠، ٢٩٢؛ ج٢، ص ٥٦، ٦٢، ٧٥، ٨٠، ٨٦، ٨٧، ٩٣ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٣٠٣-٣٠٥، ٣٠٨.

(٧) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ١٥٨-٢٢٩، ٢٣٤-٢٥٣.

(٨) غنيم: كريت، ص ٢١٤ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١٢٨-١٣٣.

٣- السيطرة على البحر الأبيض المتوسط تجارياً، من خلال اشرافها على الطرق التجارية عند بحر إيجه، وما بين المشرق والمغرب وبين إقريطش والإسكندرية[١]، وتحقيقهم مكاسب كبيرة من الضرائب التي فرضوها على السفن التجارية[٢]. هذا بالإضافة إلى الجزية التي كانوا يأخذونها من البيزنطيين[٣].

وقد عاش الربضيون بالجزيرة وتناسلوا واعقبوا فيها، مدة مئة وثمان وثلاثين سنة، أي ما يقرب من قرن ونصف[٤]، حيث تمكن البيزنطيون من الانتصار عليهم واخراجهم منها وتشريدهم من جديد سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م كما سيتضح لنا فيما بعد.

البيزنطيون ومحاولات استعادة إقريطش:

نتيجة لسقوط جزيرة إقريطش بيد المسلمين وضياعها من البيزنطيين، وتأثرهم بذلك سياسياً واقتصادياً وأمنياً، فقد بذلوا جهوداً كبيرة من أجل استعادتها ـ منذ لحظة سقوطها ـ، ونجحوا في إعادتها إلى حاضرة دولتهم. وفيما يلي عرض متسلسل لجهود حكام دولة بيزنطة في هذا السبيل:

- **الامبراطور ميخائيل الثاني العموري ٨٢٠-٨٢٩م (٢٠٥-٢١٤هـ):**

هو الذي سقطت إقريطش في نهاية عهده سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، فأرسل ثلاث حملات بعد تردد، من أجل استعادتها، ذلك أن جيشه ما زال مرهقاً جراء توطيده للسلطة وقضائه على الثورات[٥]، فأنطلقت الحملة الأولى سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م بقيادة فوتيناس Photinas الذي ما إن وصل حدود الجزيرة حتى أرسل للامبراطور بطلب قوات إضافية تساعده، فأرسل له امدادات بقيادة داميان Damian ، فالتقوا مع المسلمين، وانهزموا أمامهم، وقتل داميان وهرب فوتيناس إلى

---

(١) غنيم: كريت، ص ٢٦٤؛ غنيم: تاريخ، ص ١٢٩ ؛ عاشور: أوروبا، ج١، ص ٤١٣ ؛ صقر: السلم، ص ١٠٥.

(٢) غنيم: كريت، ص ٢٦٤ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١٢٩.

(٣) الطيبي: "إمارة"، ص ٤٧ ؛ Amam : "Cordovan", P. 304 ؛ Reino: Revista, P. 305 .

(٤) ابن حزم: رسائل "رسالة في جمل فتوح الخلفاء"، ج٢، ص ١٢٣، ١٢٩ ؛ "رسالة في فضل الأندلس"، ج٢، ص ١٧٤ ؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٣١ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٩ ؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤ ، ص ٣١ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٣١٧ ؛ ج٤، ص ٢٧٠ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم، ج٢، ص ١٩٢ ؛ جيس: "إقريطش"، ج٢، ص ٤٦٧.

(٥) Amam : "Cordovan", P. 304 .

جزيرة ديا Dia شمال مدينة الخندق[1]. فأرسل ميخائيل الحملة الثانية في نفس السنة بقيادة كراتيرو Cratero الذي انطلق في سبعين سفينة حربية، وحارب المسلمين في الجزيرة وانتصر عليهم في البداية، لكنهم باغتوه وجنوده ليلاً في أثناء احتفالهم وحولوا انتصاره إلى هزيمة، وأبادوا جنده وأسروه بعد أن هرب إلى جزيرة كوس Cos ثم شنقوة[2]. فاضطر ميخائيل إلى إرسال الحملة الثالثة سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م ـ على الأرجح ـ بقيادة اوريفاس Oripnas الذي لم يكن حظه بأفضل من سابقيه مع حصول كل فرد شارك معه على أربعين قطعة ذهبية، إذ سقط نصف جيشه في كمائن أعدها المسلمون له، وانهزم النصف الثاني في معركة حربية[3].

الامبراطور ثيوفيل ٨٢٩-٨٤٢م (٢١٤-٢٢٨هـ):

لم يوجه هذا الامبراطور أية حملة عسكرية إلى جزيرة إقريطش، بسبب انشغاله المستمر في حروب الدولة العباسية[4] والمغاربة[5]، فاستغل مسلمو الجزيرة ذلك وتابعوا فتوحاتهم بتوجيه عدة حملات إلى شواطئ ايونا Ionia وكاريا Caria على الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى، وهاجموا اديرة الرهبان في جبل آتوس Atus وشردوهم، كما هاجموا تراقيا وغنموا واسروا ثم هزموا في أثناء عودتهم، وقاموا بغارات كثيرة على جزر السيكلاديز (جنوب غرب بحر ايجه) وانتصروا وغنموا[6]. فما كان من ثيوفيل أمام ضعفه هذا إلا أن حاول الحصول على مساعدات خارجية، فأرسل ثلاث سفارات من أجل ذلك، كانت الأولى سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م برئاسة تيودورا وثيوفان إلى ملك الفرنجة لويس التقي، يلتمس منه فيها مساعدته على ارسال جيش لمهاجمة مصر أو الشام، ليضعفهم ويحد من استمرار هجومهم على دولته، فاعتذر لويس عن مد يد العون له لظروف مملكته الداخلية السيئة بعد وفاة ابيه

---

(١) فازيليف: العرب، ص ٦٠ ؛ غنيم: كريت، ص ٥٢-٥٣ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٧٠-٧١؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٦١؛ صقر: السلم، ص ١٠١؛ دياب: سياسة، ص ٦٦؛ العبادي: أحمد مختار والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ٢ج ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت، ج٢، ص ٨٤ ؛ وسيشار له: العبادي: البحرية.

(٢) فازيليف: العرب، ٦١ ؛ غنيم : كريت، ص ٥٤-٥٥؛ غنيم: تاريخ، ص ٧١-٧٢؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٦٢ ؛ العبادي: البحرية، ج٢، ص ٨٤ ؛ صقر: السلم، ص ١٠١-١٠٢ ؛ Amam : "Cordovan", P. 306 .

(٣) فازيليف: العرب، ص ٦١ ؛ غنيم: كريت، ص ٥٥ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٧٤ ؛ العبادي: البحرية، ج٢، ص ٨٥ ؛ Amam : "Cordovan", P. 304 .

(٤) انظر: مسكوية: تجارب، ج٣، ص ٤٦٤، ٤٩٤-٤٩٥ ؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٤ ؛ الذهبي: تاريخ، ج١٥، ص ١٣-١٥ ؛ الذهبي: العبر، ج١، ص ٢٨٨-٢٩٢؛ فازيليف: العرب، ص ٩١- ٩٦ ، ١٠٨-١٠٩؛ غنيم: كريت، ص ٦٢-٧١ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٧٨-٨٥.

(٥) فازيليف: العرب، ص ١٦٢ ؛ صقر: السلم، ص ١٠٨-١٠٩.

(٦) فازيليف: العرب، ص ٨٥-٨٦ ؛ غنيم: كريت، ص ٦٠-٦٢ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٧٨.

شارلمان[١]، فأرسل ثيوفيل سفارته الثانية سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م برئاسة البطريق تيودور إلى حاكم البندقية يلتمس فيها مساعدته على حرب المغاربة، فلبوا نداءه، وارسلوا اسطولاً لذلك، لكن النتيجة كانت هزيمته، وهزيمة الأسطول البندقي الكبير بعده[٢]. وأمام هذه الحال السيئة، قام بمحاولة أخيرة يائسة في إرسال سفارة ثالثة سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م برئاسة قرطيوس اليوناني إلى امير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، يشكو له فيها الضربات العنيفة التي وجهها له مسلمو إقريطش، والهزائم العديدة المتكررة التي الحقها العباسيون بدولته، ويذكره بعدائه للعباسيين الذين اسقطوا دولتهم في المشرق، وطردوهم منها، وبمسلمي إقريطش الذين تمردوا وثاروا على أبيه وسيطروا على إقريطش، وصاروا تابعين للدولة العباسية، ويحثه على استرداد حقه في المشرق ومعاقبة الربضيين الذين لم يتبعوا دولته، وأخيراً يطلب منه عقد حلف معه ضد الدولة العباسية وإمارة إقريطش[٣].

واستقبل عبد الرحمن السفارة بحفاوة وترحيب، وقبل هدايا ثيوفيل، لكن هذا لا يعني بالضرورة موافقته على مساعدته، فرد عليه بسفارة مماثلة برئاسة يحيى الغزال الذي حمل له الرد برسالة هذا نصها: " أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه الذي كان عليه من مضى منكم لاولينا من المودة الصادقة، وأنه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا، وإرسال قرطيوس رسولك إلينا لتجديد تلك المودة، وترتيب تلك المصادقة، وتسأل أن ينعقد بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ونتواصل إليه... وفهمت ما ذكرت من أمر الخليفة مروان (آخر خليفة أموي)... وآسيت لما استلب من سلطانه... وما كان الفاجر ابي جعفر (المنصور) تربه الله، وجرأته على الله، واغترازه به، وانتهاكه لمحارمه، والله قد أحصى عليه ذلك فآسفه منه فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه. ثم ما ذكرته من فعل الخبيثين: ابن مراجل (المأمون) وابن مارده (المعتصم) اخيه بعده... واستحلالهما دماءهم وأموالهم (الأمويين)... الذي حضضت عليه من الخروج إليهم، وطلب الثأر منهم، ووعدته من نصرتك لنا مما ينصر الصديق صديقه... وما عطفت عليه من أمر أبي حفص وما معه من جالية بلدنا، وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك، وخضوعهم لابن مارده، ودخولهم في طاعته، وما سألت من أهل الانكار لذلك، والآنفة منهم، وحكيت من ذلك وقصصته في كتابك، فقد قرأناه وفهمناه.

---

(١) صقر: السلم، ص ١٠٦-١٠٨.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٣) انظر نص الرسالة: غنيم: كريت، ص ٢٢٥-٢٢٨ ؛ وانظر: ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٦٦ ؛ المقري: نفح، ج١، ص ٣٤٦ ؛ فازيليف: العرب، ص ١٥٧ ؛ غنيم: كريت، ص ٧٤ - ٧٥ ؛ مؤنس: المسلمون، ص ١٦٥ ؛ صقر: السلم، ص ١١٠ . ومن الأسباب التي دفعت ثيوفيل لمراسلة عبد الرحمن دون غيره عدم وجود عداء بينهما، ومعرفته بكرهه للدولة العباسية وللربضيين.

وأما ما رغبت من مودتنا، واحببته من مصادقتنا ... فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته.

وأما ما ذكرت من أمر الخليفة مروآن فإن الله تعالى أحب أن يكرمه... وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر... فإن الله قد أخذه بذنبه... وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن مارده، وحضضت عليه من الخروج إلى ما قلته وذكرته من تقارب إنقطاع دولته، ودولة أهله، وزوال سلطانهم، وما حضر من وقت رجوع دولتنا، وازف من حين ارتجاع سلطاننا، فاننا نرجو في ذلك عاده الله عندنا، ونستنجز موعوده الينا، ونمتري حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة من قبلنا، من أهل شأمنا واندلسنا واجنادنا وكورنا وثغورنا، وما لم نزل نسمع ونعترف، أن النقمة تنزل لهم، والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب بنا وعلى أيدينا، فيقطع الله دابرهم ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى.

وأما ما ذكرت من أمر ابي حفص الأندلسي، ومن صار معه من أهل بلدنا في خضوعهم لابن مارده، ودخولهم في طاعته، وما سألت من النظر في أمورهم، والانكار لفعلتهم، فإنه لم ينزع إليه منهم إلا سفلتهم وسوادهم، وفسقتهم وآباقهم، وليسوا في بلدنا، ولا برتبتنا فنغير عليهم، ونكفيك مؤنتهم، وانما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن مارده لمأمنهم من بلاده، ودنو ناحيتهم من ناحيته، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم، ولا تصعب عن نكايتهم، ولا تتوقف عن اخراجهم عما تطرقوه في بلدك، وإذ ترى مكانهم به من موضعك، وإن الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد إلينا سلطاننا بالمشرق، وما كان تحت أيدي ابائنا فيه، نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك، واستقامة لطاعتنا وطاعتك، وعرفنا الذي يكون من معونتك على ما دعوت إليه وحضضت عليه، بما يعرفه الصديق لصديقه، وذو المودة لأهل مودته..."[١].

واستقبل ثيوفيل سفارة يحيى الغزال بحفاوة[٢]، لكن النتيجة لم تسفر عن شيء، فقد قبل عرض الصداقة والمودة، وشاركه كرهه للعباسيين، وتبرأ من الربضيين الخارجيين عليه، وترك له حرية التصرف بهم، ولم يعده أي نوع من المساعدة، وكان أسلوب رده عليه كاسلوب رسالته اليه، يظهر فيها الاستهتار بفطنته وذكائه.

---

(١) غنيم: كريت، ص ٢٢٥-٢٢٨.

(٢) فازيليف: العرب، ص١٦٤ - ١٦٥ ؛ صقر: السلم، ص ١١١.

الامبراطورة ثيودورا ٨٤٢-٨٥٦م (٢٢٨-٢٤٢هـ):

تقلدت السلطة وصية على العرش لصغر سن ميخائيل الثالث، وكان يساعدها مجلس لإدارة شؤون الأمبراطورية برئاسة الوزير اللغيثيث ثيوكيستوس Theokistos[1] الذي قاد حملة لاسترجاع إقريطش سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م، واستطاع هزيمة المسلمين فيها، لإنشغال جزء منهم في الاغارة على جزر بحر إيجة، ولقوة إمكانات الحملة[2]، لكن استخدام المسلمين لشعار "الحرب خدعة" والحرب النفسية في رشوة أحد الضباط الكبار الذي أشاع بالمعسكر عزل الامبراطورة لثيوكيستوس عن مجلس الوصاية، جعلته يعود دون تفكير للقسطنطينية، تاركاً اسطوله فريسة سهلة للمسلمين بعدما أصابته الفوضى والاضطراب، ففشلت الحملة[3].

وفي عهدها سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م، هاجم اسطول بحري مكون من ثلاثمائة شلندية يحمل خمسة آلاف رجل بقيادة ابن قطونيا (نكيتياتيس أو كونتوميتيس) مدينة دمياط المصرية؛ لأنها كانت تزود إقريطش بالأسلحة، وهي بصدد إرسال شحنة كبيرة لها، فأرادوا الحيلولة دون ذلك، واستغلوا انشغال المصريين بأول أيام عيد الأضحى وسحبهم لحاميتهم العسكرية من أجل القيام بعرض عسكري أمام الوالي عنبسة بن إسحاق، فهاجموهم بغتةً، وقتلوا وسلبوا ونهبوا وغنموا الكثير من الأموال والأسلحة التي كانت معدة لأبي حفص، واسروا العديد من النساء، واشعلوا النيران في دمياط دون تمييز بين المساجد والكنائس بها، فعادوا ظافرين[4] وأهالي مصر حزينون غاضبون.

الامبراطور ميخائيل الثالث ٨٥٦-٨٦٧م (٢٤٢-٢٥٣هـ):

تولى الحكم بعد بلوغه سن الرشد، فقضى على الوزير ونفوذ والدته، وساعده على ذلك خاله باداس الذي كان يطمع بالحكم، وباسيل المقدوني الذي تولى الحكم بعده[5]، وفي عهده في السنوات ٨٦٢-٨٦٦م/٢٤٨-٢٥٢هـ أظهر المسلمون في إقريطش نشاطاً ملموساً في غاراتهم على شواطئ آسيا

---

(١) غنيم: كريت، ص ٨٣-٨٤.

(٢) المرجع السابق: ص ٨٦؛ غنيم: تاريخ، ص ٨٦.

(٣) غنيم: كريت، ص ٨٦-٨٧؛ غنيم: تاريخ، ص ٨٨-٨٩ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٦٣ ؛ العبادي: البحرية، ج٢، ص ٨٦ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٩ ؛ صقر: السلم، ص ١١٢.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٩، ص ١٩٤ ؛ فازيليف: العرب، ص ١٨٦-١٩١؛ رستم: الروم، ج١، ص ٣٣٤-٣٣٥ ؛ غنيم: كريت، ص ٨٨-٩١؛ غنيم: تاريخ، ص ٩٠-٩١؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٦٤-٦٥ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٤٩ ؛ صقر: السلم، ص ٩٨ ؛ دياب: سياسة، ص ٨٧ ؛ عمران: معالم، ص ١٣١ ؛ العبادي: البحرية، ج٢، ص ٨٧-٨٨.

(٥) عاشور: أوروبا، ج١، ص ٤١٥-٤١٦ ؛ غنيم: كريت، ص ٩٣، ٩٩-١٠١ ؛ غنيم: تاريخ، ص ٩١-٩٢.

الصغرى وجزر بحر إيجة (سيكلاديس) فهاجموا لسبوس وميتلين ونيون وجبل اتوس[١] ، الأمر الذي جعل ميخائيل وباداس يعدان حملة لمهاجمة المسلمين، لكن الانقلاب الذي أحدثه باسيل المقدوني حال دون قيامهم بذلك[٢] .

الامبراطور باسيل الأول المقدوني ٨٦٧-٨٨٦م (٢٥٣-٢٧٣هـ):

هو الذي تمكن من القضاء على آخر حاكم من الأسرة العمورية، ونقل حكم الدولة البيزنطية إلى أسرته المقدونية التي تميزت بقوة اسطولها البحري، مما حدا بالمسلمين في بلاد الشام ومصر والمغرب إلى الاتحاد مع مسلمي جزيرة إقريطش في اسطولهم البحري من أجل الدفاع عن حدود بلادهم ومهاجمة البيزنطيين، ففي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م، اشترك الاسطول المغربي مع اسطول جزيرة اقريطش في مهاجمة مدن الساحل الشرقي للبحر الادرياتيكي المعروف بساحل دالماشيا، وتمكنوا من دخول بوتوبا Butoba وروز Rosa وديكاتير Decatera ، واستمروا حتى وصلوا راجوزا Raqusa المدينة التجارية الشهيرة التي استنجدت بباسيل، الذي أرسل اسطولاً لمساعدتهم بقيادة نقيتاس اوريفاس Nicetas Oryphas ، ولما علم المسلمون بذلك، انسحبوا وفكو الحصار عنها[٣]. وفي سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م، اشترك اسطول طرسوس من بلاد الشام مع اسطول إقريطش بقيادة اسمانوس Esmanus عامل أحمد بن طولون على الثغور الشامية، في الاغارة على مدينة خالقيس Chalcis ، إحدى مدن جزيرة يوبيا Eubbea اليونانية، وكانت النتيجة هزيمة المسلمين واستشهاد قائدهم[٤] ، الأمر الذي أغضب حاكم إقريطش شعيباً بن ابي حفص المعروف في ساتيه Saete أو سائبس Saipes ، فأرسل اسطولاً بقيادة فوتيوس Photius (يوناني اعتنق الإسلام) للإغارة على البلاد البيزنطية، فقام بحملتين كانت نتيجتهما الفشل والهزيمة أمام القائد البيزنطي نقيتاس، الأولى في البحر الايجي بالقرب من كارديا Cardia والثانية بخليج كورنثيه[٥]. وقد تألم المسلمون من كثرة ما قتل وأسر منهم، فلم يقوموا بغارات هجومية مدة ربع قرن تقريباً.

---

(١) فازيليف: العرب، ص ٢١١، ٢٢٦ ؛ غنيم: كريت، ص ٩٣-٩٤ ؛ العدوي: "إقريطش" ، ص ٦٥، . Amam : "Cordovan", P. 306

(٢) غنيم: كريت، ص ٩٤- ٩٥ ؛ ٩٧ ؛ دياب: سياسة، ص ٦٨.

(٣) غنيم: كريت، ص ١١١- ١١٣.

(٤) المرجع السابق: ص ١١٤-١١٧.

(٥) المرجع نفسه: ص ١١٧-١٢١ ؛ العبادي: البحرية، ج٢، ص ٨٩.

الامبراطور ليو السادس بن باسيل ٨٨٦-٩١٢م (٢٧٣-٣٠٠هـ):

أهم حدث في عهده هو اتحاد الأسطول الشامي (صور، صيدا، طرابلس، طرسوس) مع اسطول إقريطش سنة ٢٩١-٢٩٢هـ/٩٠٣-٩٠٤م بقيادة ليون الطرابلسي (يوناني مسلم) للانتقام من البيزنطيين عما ألحقوه بالمسلمين في خليج كورنثيه، فانطلق الأسطول من جزيرة إقريطش نحو القسطنطينية، فلما علم ليو السادس، أرسل أسطولاً بقيادة ايستاثيوس Eustathius لملاقاة المسلمين واعاقتهم، لكنه لم يتمكن من ذلك، واكتفى بمراقبتهم وهم يعبرون مدينة ابيدوس Abydus والهللسبونت ومياه البروبونتز، وحصار باريوم Parium التي جعلتهم يعيدون التفكير في الاستمرار نحو القسطنطينية، فتراجعوا، وخرجوا من الهللسبونت متجهين نحو شبه جزيرة خلقيدية Chalcidice بغية الذهاب إلى سالونيك، فما كان من ليو، إلا أن أرسل اسطولاً جديداً بقيادة هيمروس Himerius ليمنعهم من وصولها، فلم يلحق بهم، وأرسل قوات متتالية من القسطنطينية، مع تعليمات لكل واحدة منها، إلى سالونيك من أجل المحافظة عليها من السقوط بيد المسلمين، لكنها لم تجد نفعاً، فقد تمكن المسلمون من اقتحامها وفتحها سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م. وغادروها بعد عشرة أيام خوفاً من قدوم الأسطول البيزنطي الكبير ليحاصرهم بها ويقضي عليهم، وكان ذلك بعد أن قتلوا وأسروا وغنموا الكثير، وحققوا هدفهم من الانتقام واثبات قوتهم للبيزنطيين، وقد تمكن الأسطول الإسلامي من الوصول إلى جزيرة إقريطش بعد مراوغته للأساطيل البيزنطية التي لحقت به، فاستقبله الأهالي بالفرح والسرور[1].

وغضب الامبراطور لما حدث، وارسل ثلاث حملات لمحاربة المسلمين والانتقام منهم، فتمكنت الأولى من هزيمة المسلمين في بحر إيجة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، وهاجمت الثانية سواحل صقيلية واللاذقية وانتصرت على المسلمين سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م، لكن مجيء أمير الثغور الشامية دامان (يوناني اعتنق الإسلام) باسطوله، حال دون استمرار البيزنطيين في انتصاراتهم، فقد هاجم قواعدهم العسكرية التي اسسوها على الساحل الشرقي لقبرص، وخربها وأعادها لسلطان المسلمين، وهاجم أهالي القرى الذين ساعدوا البيزنطيين وأدبهم وأعادهم لسلطان المسلمين. أما الحملة الثالثة التي تزعمها البطريق اللغثيث هيمروس والقائد رومانوس ليكابينوس، فكانت أقواها وأكثرها عدداً وعدة، إذ شارك فيها اسطول الامبراطورية وأساطيل الولايات البحرية البيزنطية، ووصل عدد فرسانها إلى ٦٠٣٧ فارساً، وعدد المشاة إلى ٣١١٢٩ جندياً، وأكثر من ثلاثمائة ألف بحار على مئتين وخمسين سفينة، انطلقوا سنة ٢٩٩هـ/٩١١م وحاصروا جزيرة إقريطش مدة ثمانية أشهر، وهاجموها أكثر من مرة دون جدوى،

---

(١) انظر التفاصيل: غنيم، كريت، ص ١٢٣-١٣٦. وتكمن أهمية سالونيك في أنها عاصمة اقليم مقدونيا، وذات موقع عسكري واستراتيجي وتجاري مميز، وقاعدة للجيش البري والأسطول البحري البيزنطي؛ غنيم: كريت، ص ١٢٩-١٣١.

فعادوا خائبين، وفي طريق عودتهم، اعترضهم اسطول الشام بقيادة ليو الطرابلسي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م فهزمهم وشتت قيادتهم وفرسانهم وجنودهم[١] .

الامبراطور قسطنطين السابع بن ليو السادس ٩١٢-٩٥٩م (٣٠٠ - ٣٤٨هـ):

ولي العرش صغيراً تحت وصاية بطريرك القسطنطينية نيقولا ميستيكوس، الذي أدرك أن الوسائل العسكرية في استرداد جزيرة إقريطش لم تجد نفعاً، وأن الدولة البيزنطية تمر بظروف صعبة من الداخل والخارج، فمن الداخل اختلافات حول الوصاية على العرش، ومن الخارج حروب مستمرة مع الدول المجاورة على كل الجبهات كالبلغار والروس والدولة العباسية[٢]، فقام سنة ٣٠٢-٣٠٣هـ/٩١٤-٩١٥م بمحاولة لإحلال السلام مع المسلمين في جزيرة إقريطش من خلال رسالة بعثها لأميرها، هذا نصها:

" إلى أمير كريت الأعظم، المتألق، المختار، نهر القوة المتدفق، الصديق الأول، المنتمي إلى أفضل الأصول وأقواها، ليس أي رجل من الرجال في قوتك، ولا بإمكان أي انسان في الوجود أن يتفوق على خلقك... إن دولتي المسلمين والروم الشقيقتان مرموقتان، وهما تمتازان وتتألقان في قبة السماء الزرقاء، ولهذا وحده، لا مفر لنا من أن نعيش معاً كأخوة، رغم اختلافنا في العادات واللغة والدين"[٣].

ومع إننا لم نعثر على أي رد لأمير إقريطش على رسالة نيقولا هذه، فإن الأحداث تشير لإحلال السلام بين الطرفين حتى سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م، مقابل دفع الجزية للمسلمين. وهذه الحال لا تنطبق على العلاقة بين البيزنطيين والعباسيين، فقد استمرت الحروب بينهم سجالاً خصوصاً في فترة ظهور سيف الدولة الحمداني[٤]، لذلك، لم يتحمل قسطنطين مساندة مسلمي إقريطش لمسلمي المشرق حتى معنوياً في مهاجمة سواحل وجزر الدولة البيزنطية، فقرر إعداد حملة كبيرة للفتك بهم سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م، بعد قيامه بتحسين علاقاته مع أمير الأندلس عبد الرحمن الناصر الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ليؤمن

---

(١) انظر التفاصيل: غنيم: كريت، ص ١٣٨-١٤٤.

(٢) المرجع السابق: ص ١٤٨-١٥٥ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٣) غنيم: كريت: ص ١٤٦ ؛ العدوي: "إقريطش"، ص ٦٨ ، وانظر بعض الرسائل الأخرى التي تحث على الصداقة: عمران: محمود سعيد: نيقولا مستيقوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية من خلال مراسلاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ٣٤- ٣٨ ؛ وسيشار له: عمران: نيقولا.

(٤) المسعودي: التنبيه، ص ١٧٦-١٨٢ ؛ الانطاكي: تاريخ، ص ٢١ ؛ ٤١-٤٤ ، ٧٨-٧٩، ٨٣-٩٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص ٨٠ ؛ ج١٤، ص ٢٦ ، ١١٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ٣٥٢، ٤٠٥، ٤١٧، ٤٨٥ - ٤٨٦، ٤٩٩، ٥٠٨، ٥١٧؛ الذهبي: تاريخ، ج٢٥، ص ٤٥، ٢١٣، ٢٢١-٢٢٢؛ الذهبي: العبر، ج٢، ص ٥٦، ٦٢، ٦٩، ٧٥ ؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٣٠٣.

حدود بلاده [١]، التي كانت تتعرض لغزوات كثيرة من الأندلسيين [٢]. وجهز الامبراطور قسطنطين السابع الحملة برياً وبحرياً سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م بقيادة قسطنطين جوجيل Constantin GongyL، وتمكنت القوات البحرية من الأسطول الامبراطوري واساطيل الولايات البحرية البيزنطية التي بلغ عددها (١٤٤) شلندية وسفينة بحرية، تحمل (٩٧٠٧) بحاراً، أما القوات البرية، فتكونت من الجيش الامبراطوري وجيوش ثغري مقدونيا وتراقيا وصقالبة الابسيق وأرمن ثغري الناطليق والتراقيسيون، وقد بلغ عدد هذه القوات (٤٧٤٣) جندياً [٣].

وبدأ القائد قسطنطين تقسيم الحملة إلى عدة فرق وزعها على سواحل شمال إفريقية والأندلس وجزيرة رودس، ليمنع الامدادات لجزيرة إقريطش من المشرق والمغرب الإسلاميين، وخصص فرقاً أخرى لحماية القسطنطينية وبعض المدن والجزر والسواحل البيزنطية، وبعدها، أبحرت الحملة الرئيسة وحاصرت الجزيرة بسهولة، لكن عدم تحصين قسطنطين لمعسكره جعل المسلمين يستغلون الفرصة ليلاً ويهاجمونه ويهزمونه ويعيدونه خائباً من حيث أتى [٤]. وبذلك، فشلت محاولات البيزنطيين في استرداد الجزيرة من المسلمين، وذلك للدفاع المستميت عنها، وكثرة الامدادات الفاطمية والعباسية لها، وسوء أوضاع الدولة البيزنطية الداخلية والخارجية التي لم تمنعها من القيام بمحاولات جديدة لاستعادتها بعد فشل حملة قسطنطين، فقد صار واجباً على كل مسيحيي مقاتلة المسلمين "هؤلاء المسلمين، اعداء سيدنا المسيح" [٥].

نقفور فوقاس واستعادة إقريطش:

لبى المسيحيون نداء الواجب المتمثل في ضرورة قتالهم للمسلمين واستعادة جزيرة إقريطش منهم، وحدث ذلك بعد وفاة الامبراطور قسطنطين سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م [٦]، ومجيء ابنه الامبراطور

---

(١) Amam : "Cordovan", P. 307 ؛ مؤنس: المسلمون، ص ١٦٦-١٦٧ ؛ غنيم: كريت، ص ١٥٨.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ١٥٨-٢٢٩.

(٣) انظر تفاصيل هذه القوات: غنيم: كريت، ص ١٥٩-١٦٠ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٢٣.

(٤) غنيم: كريت، ص ١٦١-١٦٢ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٢٣؛ الطيبي: "امارة"، ص ٤٩ ؛ عمران: معالم، ص ١٨٧-١٨٨ ؛ دياب: سياسة، ص ٧١. وقد انفق على هذه الحملة (٣٧٠٦) ليرة ذهبية ؛ العريني: الدولة، ص ٤٢٣ . وقيل انفق عليها وعلى الحملات التي سبقتها زمن الامبراطور ليو السادس (١٤٠) ألف جنيه استرليني دون فائدة؛ Amam : "Cordovan", P. 306.

(٥) العريني: الدولة، ص ٤٢٤.

(٦) الانطاكي: تاريخ، ص ٩١ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ٥٢٧ ؛ الذهبي: تاريخ، ج٥، ص ٢٢٩.

رومانوس (أرمانوس) الثاني ٩٥٩-٩٦٣م (٣٤٨-٣٥٢هـ) الذي جهز حملة كبيرة لهذه الغاية بقيادة نقفور فوقاس، أحد أفراد العائلات العريقة، ومن ذوي المكانة المميزة والسمعة الطيبة دينياً وعسكرياً[١].

وتجمعت الحملة المكونة من القوات البرية (مقاتلين من سهول تراقيا وجبال مقدونيا وأهالي قبادوقيا وليكونيا والبونت) والقوات البحرية (من تراقيسون وساموس وكبيرهايوت) من كل الجنسيات والعناصر كالأرمن والصقالبة والبنجاك والخزر والروس[٢]، الذين وصل عددهم إلى (٧٢٫٠٠٠) جندي[٣]، حملتهم مع مؤونتهم (٣٣٦٠) سفينة كبيرة وصغيرة[٤]، انطلقت من ميناء بوكوليون Boucoleon إلى مياه البروبونتين بعد توديعها باحتفال رسمي بحضور الامبراطور[٥].

ووصلت الحملة البيزنطية جزيرة إقريطش في النصف الثاني من شهر جمادي الآخرة سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م[٦]، وفرضت الحصار عليها مدة تراوحت بين ثمانية أشهر وعشرة[٧] للتضييق على أهاليها ومنع وصول أية مساعدات عسكرية أو تموينية لهم من الشام أو مصر أو شمال إفريقية أو الأندلس، فتسقط مستسلمة بأيديهم، وقد وقع خلال هذا الحصار ما يلي:

- محاولة نقفور معرفة أوضاع الجزيرة من الداخل بإرساله حملة استكشافية لهذا الغرض، وفشله في ذلك بسبب انبهار جنده وطمعهم بما رأوا من خيرات صاروا يجمعونها دون حرص، فأغار عليهم المسلمون وأبادوهم[٨]. ويؤكد البرقوقي حضارة المسلمين بالجزيرة في هذه الفترة قائلاً: " فعمروها واضاؤها بنور الإسلام وشيدوا بها المعاقل والحصون والمدن العظيمة مثل الخندق التي اشترينا منها خبزنا ولحمنا، وبهرنا ما رأينا من حضارة العرب وعز الإسلام، ولا يزال أميرها إلى

(١) غنيم: كريت، ص ١٨٠-١٨١؛ غنيم: تاريخ، ص ١١٢-١١٣؛ العريني: الدولة، ص ٤٣٤-٤٣٥؛ اومان: الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى طه بدر، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، ص ١٧٩ ؛ وسيشار له: اومان: الامبراطورية ؛ عمران: معالم، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) غنيم: كريت، ص ١٨٢ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١١٣ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٣٥، ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦.

(٤) غنيم: كريت، ص ١٨٢ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١١٣ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٣٦ ؛ العبادي: البحرية، ج٢، ص ٩٠؛ راشد: كريت، ص ٢٥ .

(٥) غنيم: كريت، ص ١٨٣ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١١٣-١١٤.

(٦) الانطاكي: تاريخ، ص ٩٥، ٤٤٣ ؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦.

(٧) الانطاكي: تاريخ، ص ٩٥، ٤٤٣.

(٨) غنيم: كريت، ص ١٨٤ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٣٧ ؛ عمران: معالم، ص ١٩٧.

اليوم ـ ٣٤٥هـ/٩٥٦م ـ من ولد ابي حفص البلوطي، وهو عبد العزيز بن شعيب، أدام الله عليه ملكه، وأبعد عنه كيد الأعداء"[١].

- تقوية أمير إقريطش عبد العزيز بن شعيب وسائل الدفاع عن الجزيرة، ومنع محاولات تزويد البيزنطيين بأي مؤن تساعدهم على استمرار حصارهم للمسلمين؛ لكن وجود بعض النصارى الناقمين على المسلمين أو المتآمرين عليهم وقيامهم بإتلاف المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة ونشر الاشاعات الداعية للاستسلام وتزويد البيزنطيين ببعض المؤن مع جهود الوزير البيزنطي برنيجاس في هذا المجال[٢] كان لها أكبر الأثر في انهيار معنويات المسلمين، وهذه الفئة من النصارى هي التي أوردها النويري في روايته التي يوضح فيها كيفية دخول البيزنطيين للجزيرة بقوله:

"... من المكر والخديعة فأقبل الملك ارمانوس إلى عبد العزيز بن حبيب بن عمرو صاحب جزيرة إقريطش، وتقرب إليه بالهدايا والتحف واظهر له المحبة والمودة، فلما استحكمت الوصلة بينهم وتأكدت، أنفذ ارمانوس رجلاً من المسلمين ومعه هدية جليلة، فلما حضر بين يدي صاحب اقريطش وقدم الهدية، قال له: الملك يسلم عليك ويقول لك: نحن جيران وأصحاب، وهؤلاء المساكين سكان الجزائر، قوم ضعفاء فقراء، وقد خلا أكثرها من خوفك، وقلوبهم تحن إلى أوطانهم، ولي ولك بهم راحة وفائدة، فإن خف عليك أن تحسب ما يحصل لك من غزوهم في كل عام وأنا أضاعفه لك أضعافاً، وتؤمنهم وترفع الغزو عنهم وتفتح لهم السفر إلى جزيرتك، وتتوجه التجار اليك، ويحصل لك من الحقوق أضعاف ما يحصل لك من الغزو. فأجابه إلى سؤاله وتحالفا وتصالحا واتفقا على مال يؤدى في كل عام، فوفى له ارمانوس بجميع ذلك، والزم التجار بالسفر إلى إقريطش والقسطنطينية وجميع الجزائر، فكثرت أموال صاحبها، وأخذ في جمع الأموال واختصر العطاء للجند، ثم وقع بالقسطنطينية قحط وغلاء فأنفذ الملك إلى صاحب إقريطش رسولاً، يقول: قد وقع بالبلاد ما اتصل بك من الجدب ولنا خيل عراب برسم النتاج تعز علينا فإن رأيت أن انفذها إلى الجزيرة وما نتجت من الذكور يكون للملك وما نتجت من الإناث فهو لك، فأجابه إلى ذلك، فأرسل إلى الجزيرة خمسمائة فرس في المراكب ومعها رعاتها..."[٣].

---

(١) البرقوقي: عبد الرحمن: حضارة العرب في الأندلس "رسائل تاريخية على لسان رحالة مصري رحل به إلى الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري"، مطبعة المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ص ١٠؛ وسيشار لـــــه: البرقوقي: حضارة.

(٢) غنيم: كريت، ص ١٩٤.

(٣) النويري: تاريخ، ص ٤٨٤-٤٨٥؛ Renio: Revista, P. 306 ؛ Amam : "Cordovan", P. 309.

ويتضح لنا من هذا النص الوسائل اللطيفة التي استطاع بها رومانوس زرع جزيرة إقريطش برجاله المتزينين بزي التجار والرعاة، وتزويده لهم بالأموال الكثيرة التي مكنتهم من السيطرة على الشؤون الاقتصادية بالجزيرة بصورة سريعة جداً، وتحول أهل الجزيرة من العساكر المجاهدين إلى العمل بالزراعة والصناعة والتجارة، بسبب تدني أرزاقهم وكثرة الفائدة التي يجنوها من العمل الجديد، فضعفت حالهم بعد أن انغمسوا في حياة الرفاهية والنعيم دون أن يشعروا بذلك.

والحقيقة أن هذا جزء كبير من خطة دخول البيزنطيين الجزيرة، لكن، لم تكن الطريقة الوحيدة للسيطرة عليها كما يدعي النويري، فليس من المعقول أن يكون عبد العزيز وجميع المسلمين مغفلين، لدرجة أن يهملوا شؤونهم العسكرية، ويصيروا تبعاً لمن دخلوا بلادهم حديثا، ووجود أي فئة مخربة في أي مكان لا يحتاج إلى وقت طويل، فقد استطاع هؤلاء النصارى بفضل ما توافر لهم من أموال طائلة التأثير في وضع الجزيرة للأفضل ظاهرياً وللأسوأ فعلياً، فقد استغلوا اللحظة المناسبة وخربوا كل ما ملكوه بالجزيرة من أشجار ومحاصيل وساعدوا البيزنطيين، بتزويدهم بالمؤن التي يحتاجون إليها وساعدوهم على دخول الجزيرة، فأثر ذلك في معنويات المسلمين تأثيراً كبيراً ، ولم يسمح لهم الظرف والوقت بالقضاء على هذه الفئة وإيجاد أي حل لها، والخطر محيط بهم وبأهاليهم وجزيرتهم؟.

- استنجاد عبد العزيز بالقوى الإسلامية في المشرق والمغرب لمساعدته على فك الحصار عن الجزيرة وإنقاذ المسلمين، وعدم تمكنه من الحصول على أية مساعدة من العباسيين لسوء أوضاعهم الداخلية "فلما حل بهم من ذلك ما لا قوام لهم به، وعلموا أنه ليس عند بني العباس نهضة ولا لديهم نصرة، أرسلوا إلى الأمير المعز لدين الله يستغيثون به"[(١)]، وكذلك، كانت الحال بالنسبة للأندلسيين الذين لم يرغبوا في المساعدة، ولم يريدوا المغامرة في قتال البيزنطيين، وإرسال الخليفة عبد الرحمن الناصر الثالث من يدرسون أوضاع الجزيرة ومدى حاجتهم للمساعدة[(٢)]. أما الإخشيديون، فقد "استمد أهل إقريطش هؤلاء صاحب مصر وهم من أهل

---

(١) النعمان: القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م) كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، المطبعة الرسمية، تونس، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ص ٤٤٣ ؛ وسيشار له: النعمان: المجالس.

(٢) غنيم: كريت، ص ١٨٩ ؛ سيسالم: عصام سالم: جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار، ٨٩-٦٨٥هـ/ ٧٠٨-١٢٨٧م) ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١٠٨ ؛ وسيشار له: سيسالم: جزر.

دعوته تجمعهم دعوة ال العباس ومراكبهم بخيرات بلدهم واطعمتها تمير أهل مصر، وهداياهم تصل إلى عمالها فعجز عن نصرتهم"[١]، فالتجأوا أخيراً إلى الفاطميين، وارسل عبد العزيز "مركبا فيه رجال من قبلهم على وجه من وجوههم إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله يستغيثون به ويسألونه استنقاذهم واغاثتهم"[٢]. فلبى نداءهم، لأن مصلحته ومصلحة دولته تتطلبان ذلك، فقد قدم له عبد العزيز عرضاً مغرياً في انه سيكون هو ومسلمو إقريطش تابعين له إن ساعدهم، وإذا أصبحت إقريطش تابعة له، فهي منطقة اقتصادية عسكرية قريبة من بلاده ومن القسطنطينية التي ان تمكن من فتحها فسيصبح خليفة للعالم الإسلامي أجمع[٣]، فأراد المعز تحقيق هذه المكاسب، وتأليب الرأي العام الإسلامي ضد الدولة العباسية التي لا تقف إلى جانب من يحتاج إليها من المسلمين.

وأرسل المعز لدين الله رسولين إلى إقريطش كي يخبر أهاليها بعزمه على مساعدتهم واغاثتهم من محنتهم، وابقى رئيس الوفد الذي أرسله عبد العزيز عنده كي يرسله مع الحملة[٤]، وبعدها، وضح لشعبه أن الهدف من إغاثة مسلمي إقريطش هو "القيام بما أوجب الله علينا من الجهاد لعدونا، واستنقاذ من أناب الينا من أمة جدنا ونصرتهم ومعونتهم"[٥].

بدأ المعز تجهيز الحملة، وأرسل رسالتين: الأولى إلى الامبراطور رومانوس البيزنطي، يطلب منه فيها الكف عن اذى مسلمي إقريطش، وان لم يمتثل لذلك فلا عهد له عنده، وهو في حل من الهدنة المنعقدة بينهما؛ والثانية إلى حاكم مصر كافور الأخشيدي، يحثه على ارسال الحملة التي بدأ تجهيزها لاقريطش ويطلب منه الاتحاد ضد البيزنطيين. وهذا نص الرسالتين:

الأولى: "... ولا ترى أن دعوة أهل إقريطش قبل اليوم إلى غيرنا. وقد أنابوا اليوم إلينا واستغاثوا بنا، مما يوجب لك عندنا تمام الموادعة بتركهم اليك، وترك اعتراضك فيهم. إن امتناع أهل الحق ليس بمزيل حقهم، وان تغلبوا عليه دونهم، بل هولهم بتصيير الله تعالى إياه إليهم، فإقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا بما خولنا الله منها وإقامنا له فيها، أطاعنا منها من أطاع، وعصانا من عصى، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم يجب علينا أن نترك... وعهدك ان تماديت على حرب من أناب الينا،

---

(١) النعمان: المجالس، ص ٤٤٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٤٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ٤٤٦ ؛ غنيم: كريت، ص ١٩٠ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١١٧-١١٨.

(٤) النعمان: المجالس، ص ٤٤٧ ؛ غنيم: كريت، ص ١٩١؛ غنيم: تاريخ، ص ١١٨ ؛ الدشراوي: فرحات: "قضية إقريطش في عهد المعز لدين الله"، مجلة البحث العلمي، حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، العدد (٢)، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٣٥؛ وسيشار له: الدشراوي: "قضية".

(٥) النعمان: المجالس، ص ٤٤٦.

منبوذ إليك، فانظر لنفسك ولاهل ملتك، فانا مناجزوك واياهم الحرب بعون الله لنا وتأييده ولا حول ولا قوة إلا به"[١].

والثانية: "... إن الله سبحانه قد خولنا من فضله وأمدنا من معونته وتأييده بما نرى أنا بحوله وقوته ونصره لنا واظهارنا على عدونا، نكف ايدي الكفرة عما تطاولت اليه من حرب هذا الصقع والايقاع بأهله. وقد انتهى إلينا انك أظهرت الحركة إلى الجهاد وامداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك، وانت لعمري بذلك أجدر لقربهم منك واتصالهم بك وجيرتهم بلدك وكونك واياهم في دعوة واحدة. ولو اسلمناهم اليك وقعدنا عنهم لما كان لك ولا لهم حجة علينا في ذلك... ونحن لا نحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله، ولا نمنعك من تمام ما أملت منه، فلا يكن ما يتصل بك من انفاذ اساطيلنا يريثك عن الذي هممت من ذلك، وأن تخشى على من تبعث به وعلى مراكبك منا، فلك علينا عهد الله وميثاقه ان لا نكون معهم إلا بسبيل خير، وأنا نحلهم محل رجالنا ونجعل أيديهم مع ايدينا، ونشركهم فيما أفاء الله علينا، ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا، ومراكبك مقام أساطيلنا ففي تظافر المسلمين على عدوهم واجتماع كلمتهم اعزاز لدين الله وكبت لاعدائه. فقد سهلنا لك السبيل والله على ما نقول وكيل. فإن وثقت بذلك ورأيت ايثار الجهاد، فأعمل على أن تنفذ مراكبك إلى مرسى طبنة من روض برقة، لقرب هذا المرسى من جزيرة إقريطش، ويكون اجتماعهم مع أساطيلنا بهذا المرسى مستهل ربيع الآخر، بتوفيق الله وقوته وتأييده ونصره وعونه. وألا ترى ذلك فقد ابلغنا في المعذرة إليك والنصيحة لك، وخرجنا مما علينا إليك. ونحن بعول الله وقوته وتأييده ونصرته وعونه مستغنون عنك وعن غيرك، وعلى عزم وبصيرة في إنفاذ أساطيلنا ورجالنا وعدتنا ما خولنا الله إياه وأقدرنا عليه مما نرى بحوله وقوته أنا نبلغ به ما نؤم إليه بذلك ونصمد نحوه. فبالله نستعين، وعليه نتوكل، وعلى تأييده نعول، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[٢].

ولم يول البيزنطيون أهمية لرسالة المعز وتهديده لهم؛ لأنهم يعرفون ظروف بلاده الداخلية وانشغاله بحروب مع صقيلية وسردينية وجنوب ايطاليا، ونزاعه مع أمويي الأندلس[٣]، والإخشيديين الذين كانوا يعانون الصراع بين كافور وصاحب الحق الشرعي في الحكم انو جور بن محمد بن طغج

---

(١) النعمان: المجالس، ص ٤٤٤ ؛ غنيم: كريت، ص ٢٣٠-٢٣١؛ الدشراوي: "قضية"، ص ٣٢. وكانت مدة الهدنة بين الطرفين خمس سنوات ، ٣٤٦-٣٥١هـ/٩٥٧-٩٦٢م؛ النعمان: المجالس ، ص ٤٤٢-٤٤٣؛ الدشراوي: "قضية"، ص ٣٢.

(١) النعمان: المجالس، ص ٤٤٥-٤٤٦ ؛ غنيم: كريت، ص ٢٣٤-٢٣٥ ؛ الدشراوي: "قضية"، ص ٣٣-٣٤.

(٣) العربي: الدولة، ص ٤٢٦ ؛ دياب: سياسة، ص ١٣٣ ، ١٣٨.

الأخشيد، وما آلت إليه الحال من إنقسام الجند والأهـالي بينهما[١]. وهـذه الحـال لا تعـبر عـن موقـف العامة من أهالي مصر الذين ثاروا واعلنوا غضبهم، مما اضطر كافور إلى التظاهر بنيتـه في مسـاعدة أهـالي إقريطش، بأن أعد بعض السفن لذلك "ثم أظهر أنه ينصرهم ورمى بعض مراكب في البحر لما اتصـل بـه من إنكار العامة عليه للتخلف عن نصرتهم"[٢]. وهذا التجهيز هو الذي قصده المعز برسالته إليه.

و لم ينجح المعز في تحقيق أهدافه من رسالتيه السابقتين، فجهـز الحملـة مـن الفـاطميين وارسـلها للجزيرة، ولما وصلـت، اتحـد جنودهـا مـع مسـلمي إقريطـش، فبلغـوا أربعـين الفـاً[٣]، وخططـوا لمباغتـة البيزنطيين، لكن ما حدث هو العكس، فقد باغت البيزنطيون المسلمين، وهزموهم، وذلك بفضل عيـون نقفور داخل الجزيرة الذين كانوا يخبرونه كل شيء مستجد[٤].

وبعدها، قام المسلمون بمحاولة ثانية للهجوم على الأسـطول البيـزنطي، وخططـوا لذلـك، لكـن المعلومات التي وصلت نقفور حالت دون نجاح خطتهم، فقد جهز نقفور جيشه ورفع معنوياتـه، ووضـع له خطة محكمة للقضاء على المسلمين، فما ان فتح المسلمون أبـواب المدينـة مندفعـين لمباغتـة البـيزنطيين، حتى تراجع البيزنطيون متظاهرين بالفزع والفرار، فطاردهم المسلمون معتقدين أنهم سينتصرون عليهـم، لكنهم وقعوا بالكمين الذي أعد لهم فقتل واسر الكثير منهم وتشتت الباقون، فلمـا رأى عبـد العزيـز مـا حدث من خلال مراقبته لسير المعركة من أحد بروج مدينة الخنـدق، أمـر بـاغلاق أبـواب المدينـة، فـزاد ذلك في قتلى المسلمين[٥]. و لم يكتف نقفور بهذا النصر، فقد تابع مسيره لاسـقاط الجزيـرة وعاصمتهـا الخندق، فدك اسوارها بحجارة المنجنيقات ، واثقل كاهل أهلها بالسهام والنيران، ودب الرعب في

---

(١) غنيم: كريت، ص ١٨٧.

(٢) النعمان: المجالس، ص ٤٤٥.

(٣) غنيم: كريت، ص ١٩٣ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٣٩.

(٤) غنيم: كريت، ص ١٩٣-١٩٤ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٣٩.

(٥) غنيم: كريت، ص ١٩٤-١٩٥ ؛ ويذكر ابن الاثير أن المعز لدين الله ارسل حملة أخرى سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م تمكنت من هزيمة البيزنطيين؛ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ٥٤٥، لكن لم تستطع استعادة كريت.

قلوبهم، فدخلها منتصراً معلناً انتهاء دولة المسلمين فيها سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م[1] بعد محاولات دؤوبة لذلك.

ومما يذكر أن سيف الدولة الحمداني حاكم إمارة حلب ٣٣٣-٣٥٦هـ/٩٤٤-٩٦٦م حاول مساعدة مسلمي إقريطش، بأن ارسل أسطولاً بزعامة امير طرسوس لهذه الغاية، لكن الحملة لم تنجح، فقد اعترضتها قوات التراقسيون وهزمتها واجبرتها على العودة[2].

وأخيراً نتساءل: ما العوامل التي ساعدت نقفور على الانتصار؟ وما النتائج التي ترتبت على سقوط الجزيرة بالنسبة للبيزنطيين والمسلمين على حد سواء؟.

يمكن إجمال العوامل التي ساعدت نقفور على الانتصار واستعادة جزيرة إقريطش من المسلمين بالنقاط التالية:

١- قوة الحملة البيزنطية عدداً وعدة، وتصميم الامبراطور والقائد والجنود على استعادة الجزيرة من خلال الحماس الديني الذي تمتعوا به لتحقيق هذه الغاية.

٢- نجاح الامبراطور رومانوس في زرع الكثير من النصارى في الجزيرة، ومساعدة هؤلاء للقائد نقفور وجنده في اللحظات الحاسمة، حيث زودوهم بالمؤن والمعلومات عن أوضاع المسلمين بالداخل وخططهم العسكرية، وساعدوهم على دخول الجزيرة وتقديم الخيول لهم ومباغتة المسلمين بذلك[3].

٣- انتشار العادات السيئة بين أهالي جزيرة إقريطش، كالبغي، والحسد، والفساد، والفسوق، والغدر وغيرها[4] ، من كثرة الخيرات التي نعموا بها، ولم يحافظوا عليها.

---

(١) ابن حزم: رسائل، ج٢، "رسالة في جمل فتوح الخلفاء"، ص ١٢٩ ؛ "رسالة في فضل الأندلس"، ص ١٧٤ ؛ الانطاكي: تاريخ، ص ٩٥ ؛ الضبي: بغية، ص ٤٠٧ ؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال، ج٢، ص ٥٣١ ؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦؛ الذهبي: سير، ج٨، ص ٢٢٩؛ الذهبي: تاريخ، ج٢٥، ص ٢٣٥ ؛ السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١١٦٦م) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم الرفاعي ومحمد العثماني ، الطبعة الأولى ، دار العلم ، بيروت: لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٤٥٧ ؛ وسيشار له: السيوطي: تاريخ. ولا صحة لقول من قال: إن سقوط الجزيرة كان سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م أو سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٢٧٠ ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٧٣ ؛ الحميري: الروض، ص ٥١.

(٢) غنيم: كريت، ص ١٨٨ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١١٥-١١٦ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٤٨.

(٣) النويري: تاريخ، ص ٤٨٥ ؛ غنيم: كريت، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٤) ابن حوقل: صورة، ص ١٨٥.

٤- عدم حصول مسلمي إقريطش على المساعدات من المسلمين، بسبب انقسام الدولة الإسلامية على نفسها، فقد سيطر البويهيون على الدولة العباسية من الداخل، والفاطميون على شمال إفريقية، والإخشيديون على مصر، والأمويون على الأندلس، وترتب على هذا الانقسام انتشار النزاعات بين هذه الدول، وتحالفهم مع الاعداء ضد بعضهم البعض، إضافة إلى بعض المشكلات التي كانت تعانيها كل دولة على حده.

أما نتائج سقوط إقريطش على البيزنطيين والمسلمين، فتتمثل فيما يلي:

١- انتصار البيزنطيين وسيطرتهم على الجزيرة، وإعادة نفوذهم العسكري والتجاري لمياه البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي جعل نقفور يقول: "انا وحدي اسيطر على البحر"[١]. وقيامهم بتشييد قلعة تيمنوس Temenos وتحصينها وتزويدها بحامية قوية، ووضع حاكم عليها اطلق عليه لقب استراتيجوس Strateygs وذلك لاستمرارية بقائها بأيديهم[٢].

٢- هزيمة المسلمين وفقدان الكثير من الرجال والنساء والأطفال قتلاً واسراً وسبياً[٣]، وضياع أرض خيرة لا يملكون غيرها، ولم يصلوا إليها إلا بشق الأنفس، وها هم أولاء يتركونها قسراً ليبحثوا عن وطن بديل.

٣- تخلص البيزنطيين من الجزية والضرائب التي كانوا يدفعونها للمسلمين، وخسارة المسلمين لهذه المكاسب المادية.

٤- فرح الامبراطور والشعب البيزنطي بما حققه نقفور واطلقوا عليه لقب الظافر كاليسكوس[٤]، وأقاموا العديد من الاحتفالات الرسمية والشعبية في كل مناطق الدولة البيزنطية، حيث تم في الرسمية منها استعراض اسرى المسلمين وسباياهم واذلالهم بتمريغ أنفسهم في التراب، وركوع أميرهم أمام قدمي الامبراطور البيزنطي[٥].

٥- القضاء على الحجاب الواقي للهجوم على المشرق الإسلامي، وتوجيه حملات كبيرة على مدنه وقراه وتحقيق العديد من الانتصارات التي افتقدوها فترة طويلة من الزمن، فقد تمكنوا من دخول عين زربه (في المصيصة) ودلوك (بنواحي حلب) ورعبان

---

(١) مؤنس: المسلمون، ص ١٣٨ ؛ الطيبي: "إمارة"، ص ٥١.

(٢) غنيم: كريت، ص ١٩٦-١٩٧ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١٢١ ؛ العريني: الدولة، ص ٤٤٠ ؛ دياب: سياسة، ص ٧٣.

(٣) الانطاكي: تاريخ، ص ٤٤٣ ؛ النويري: تاريخ، ص ٤٨٥ ؛ Amam : "Cordovan", P. 310 . ويذكر الحموي أن البيزنطيون استولوا على ثلاثمائة مركب؛ الحموي: معجم، ج١، ص ٢٣٦.

(٤) غنيم: كريت، ص ١٩٧ ؛ غنيم: تاريخ، ص ١٢١ ؛ العريني : الدولة ، ٤٤٤.

(٥) غنيم: كريت، ص ١٩٧-١٩٩؛ العريني: الدولة، ص ٤٤٠-٤٤١ ؛ Amam : "Cordovan", P. 312.

ومرعش (ثغور شامية) ومنبج وحلب، وغيرها من الحصون التي تراوحت بين ٥٤ و ٦٠ حصناً[١] .

٦- غضب أهالي مصر - وخصوصاً الإسكندرية - عند سماعهم بالخبر، وقيامهم بالهجوم على كنائس للنصارى في عيد العازر (الشعانيين) هي: كنيسة ميخائيل بقصر الشمع، وكنيستي النسطورية ومارثاذرس وكنيسة مريم، وتخريبها ونهبها. واغلاقها ذلك اليوم، ومنع الصلاة فترة من الزمن في كنيسة ميخائيل بالإسكندرية، بسبب غضب أهالي الأندلسيين وأقاربهم فيها[٢]. كما حاول بعضهم الخروج لمحاربة البيزنطيين في مركبين، لكن، في أثناء نزولهم على أحدهما وتجمعهم على حافته، مال عليهم وقتلهم وكان عددهم حوالي خمسمائة رجل[٣].

٧- تنصير مسلمي اقريطش قسراً إذ قامت الدولة البيزنطية بعمارتها بالجاليات اليونانية والأرمنية[٤]، وارسلت مبشرين من أشهرهم القديس نيقون Nicon[٥]، لبث الديانة المسيحية في نفوس المسلمين، فمن اعتنقها عن رضىً كان به، ومن لم يفعل فعليه اعتناقها رغماً عنه، وقد أورد النويري محاولة لامبراطور القسطنطينية استخدم فيها كلتا الوسيلتين، ذلك أنه عندما جاءه عدد من مسلمي إقريطش لزيارته وتهنئته بعيد الميلاد، استقبلهم وأحسن وفادتهم وأكرمهم ومنحهم العديد من الهدايا، فعادوا فرحين مطمئنين، ولما شاهدهم مسلمو الجزيرة، ندموا على عدم ذهابهم معهم، فاستغلوا حلول عيد الفصح وذهبت أعداد كبيرة منهم لتهنئة الامبراطور لكنه في هذه المرة أساء معاملتهم، وسجنهم، ومنع عنهم الطعام والشراب حتى شارفوا على الهلاك، وذلك من أجل أن يعتنقوا المسيحية، ومن شدة البلاء تنصروا، فأفرج عنهم وسمح لهم بالعودة إلى أهاليهم بالجزيرة، لكن، لما وصلوا أصدر أوامره بمنعهم من الالتحاق بعائلاتهم حتى تتنصر، لأنهم مسيحيون وزوجاتهم وأولادهم مسلمون، فتنصروا[٦] . وهكذا تم تنصير معظم مسلمي إقريطش بالإكراه وبصورة شبه رسمية في يوم واحد.

---

(١) الانطاكي: تاريخ، ص ٩٤، ٩٧-٩٩؛ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ٥٣١-٥٣٢ ؛ ٥٣٨-٥٣٩، ٥٤٠-٥٤١، ٥٤٤؛ الذهبي: تاريخ، ج٢٥، ص ٢٣٢، ٢٣٥ ؛ ج٢٦، ص ٦-٧؛ الذهبي: العبر، ج٢، ص ٨٠، ٨٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) الانطاكي: تاريخ، ص ٩٢-٩٣ ، ٩٥-٩٦ ، ٤٤٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٣.

(٤) الطيبي: "إمارة"، ص ٥١.

(٥) المرجع السابق: ص ٥١.

(٦) النويري: تاريخ، ص ٤٨٥-٤٨٦ ؛ Reino: Revista, P. 307 ؛ Amam: "Cordovan", P. 312.

وممن تنصر من أهالي إقريطش والتحق بالحرس الامبراطوري البيزنطي في القسطنطينية النعمان بن عبد العزيز بن شعيب، الذي قتل في معركة سلستريا على نهر الدانوب بين البيزنطيين والروس سنة ٩٧١م/٣٦١هـ[١].

إن هذه الحال السيئة التي وقعت لمسلمي إقريطش جعلت مسلمي جزيرة صقيلية بعد أكثر من قرنين يخافون على أنفسهم ويكتمون إيمانهم ويؤدون شعائرهم الدينية سراً، حتى لا يقع بهم ما وقع بمسلمي إقريطش[٢].

٨- تهجير أعداد كبيرة من مسلمي الجزيرة الذين رفضوا التنصر، وهؤلاء هم المدجنون الذين يعيشون بأرض النصارى، و لم تبق حالهم ثابتةً، فقد كانوا معرضين للقتل أو التنصير أو التهجير، فاختار الأغنياء والرؤساء ورجال الدين الهجرة، وهاجروا وتفرقوا وتشتتوا في جنوب البحر المتوسط وشرقه، فنزلوا المدن الساحلية المغربية خصوصاً التي مروا منها أثناء خروجهم من الأندلس ومصر وبخاصة الإسكندرية لوجود أقارب لهم فيها، وبلاد الشام والأندلس، أما الضعفاء من المزارعين والعمال، فقد قتل بعضهم وتنصر بعضهم الآخر؛ ولا نبالغ إذا قلنا: إن التهجير لم ينحصر بمن رفضوا التنصر، بل بمن تنصروا ظاهرياً، فقد عانى هؤلاء ظلم البيزنطيين، فرحلوا عن الجزيرة وساحوا في بقاع الأرض، وتناسلوا على أنهم نصارى، ففقدوا اسلامهم، ولعل الربضيين الموجودين في محافظة عجلون بالمملكة الأردنية الهاشمية جزء منهم[٣].

وفي موضوع إقامة المسلمين في بلاد النصارى وهجرتهم منها، تعرض الونشريسي لسؤال جاء فيه: هل تجوز إقامة المسلم في بلد غلب عليها النصارى؟. فأجاب:

- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، لأن الإقامة في دار الكفر تحول دون تطبيق الشرائع والأحكام الإسلامية، وتحول دون كمال الصلاة وايتاء الزكاة والحج إلى بيت الله وتمنع الجهاد[٤]، وقد كره الإمام مالك الإقامة ببلد يسب فيه السلف،

---

(١) الطيبي: "إمارة"، ص ٥١.

(٢) ابن جبير: رحلة، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) الربضيون: مسيحيون ارثوذكس وكاثوليك ، يقطنون قرب قلعة عجلون، وبهم سميت قلعة الربض؛ بيك: فردريك: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب: بهاء الدين طوقان، الدار العربية للتوزيع والنشر، عمان: الأردن، د. ت، ص ٤١٣ ؛ الموسوي: رشاد: الحسين والعبقرية الهاشمية في مواجهة التحديات، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ١٠٥ ؛ مهيدات: محمود محسن فالح: عشائر شمالي الأردن، دار عمار، عمان : الأردن، ص ١٢٦.

(٤) الونشريسي: اسنى المتاجر، ص ١٨٤-١٨٦.

فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمن[١]؟. ثم انه ربما ينقض النصاري عهدهم مع المسلمين، فيعرضونهم للفتنة في دينهم وللهلاك في أنفسهم وأهاليهم[٢] .

- عدم جواز الإقامة في دار الكفر إلا في حالة العجز عن الهجرة وعدم التمكن من ذلك، ومارق ومفارق للجماعة من بقي وتنصر وعنده القدرة على الهجرة، ولم يهاجر [٣].
- لا رخصة ولا جواز لمن هاجر من دار الكفر وعاد إليها طمعاً في الدنيا [٤] ومن يحاول الرجوع، فعقوبته الضرب والسجن؛ لأن دفع الجزية والركون للكفار من الفواحش [٥]، كما أن من يتمنى الرجوع لا تقبل شهادته، ولا يحق له تولي الامامة والقضاء[٦].

وهكذا، فإن المسلمين الذين هاجروا من جزيرة إقريطش معذورون، وكذلك المدجنين فيها، أما المتنصرون، فلا عذر لهم، إلا إذا تلفظوا بالكفر ظاهرياً مجبرين عليه، دون أن تكون نيتهم التحول عن الإسلام دون أدنى شك في ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه أخيراً أن الشعر العربي لم يسجل شيئاً مما حدث في جزيرة إقريطش، على الرغم من كثرة الشعراء في تلك الفترة الزمنية [٧] ، وربما يعود ذلك إلى إبادة النصارى معالم التراث والحضارة والفكر العربي الإسلامي عندما سيطروا على بعض المناطق الإسلامية، أو أن شيئاً من ذلك التراث لم يصلنا. ثم إن القائد نقفور فوقاس تقلد عرش الامبراطورية البيزنطية ٩٦٣-٩٦٩م/٣٥٢-٣٥٩هـ بعد مقتل الامبراطور رومانوس على يد زوجته ثيوفانو، وصغر سن ابنيه باسيل وقسطنطين [٨] وأنه وجد عملة من الدنانير والدراهم قد صكت باسماء أمراء جزيرة إقريطش، عثر على بعضها في الجزيرة نفسها وعلى بعضها الآخر في

---

(١) الونشريسي: اسنى المتاجر، ص ١٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٥٣، ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٤٨-١٤٩، ١٧٠، ١٧٢.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٦) المصدر نفسه: ص ١٧٣.

(٧) عبد الرحمن: نصرت: شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ (العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع)، مكتبة الأقصى، عمان: الأردن، د.ت. ص ٩٨ ، ٢١٠ .

(٨) الانطاكي: تاريخ، ص ١٠٠، ٤٤٦-٤٤٧؛ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ٥٤٩ ؛ الذهبي: تاريخ، ج٢٦، ص ١١؛ الذهبي: العبر، ج٢، ص ٨٩.

مدينة اثينا ومدينة كورنث في اليونان [١] مما يعطينا دلالة على استقلال الجزيرة من جهة، وتطور إدارتها واقتصادها وتجارتها التي وصلت لليونان من جهة أخرى، فكما أحدث الأندلسيون من تأثيرات في الإسكندرية وفاس، فقد أحدثوا في جزيرة إقريطش، لكن ضياعها وسقوطها بيد البيزنطيين حال دون استفادة المسلمين منها والمحافظة عليها، ولعل هذا ما قصده الزهري من قوله: "ولم يملكها المسلمون قط" [٢] أي كأنهم لم يملكوها، ولم تكن لهم فيها حضارة، فقد طمسها البيزنطيون وحولوها لصالحهم.

(١) الطيبي: "إمارة"، ص ٥٢-٥٣ ؛ الطيبي: امين توفيق "النقود العربية: انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، العدد (٦٧)، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ١٣-١٤.

(٢) الزهري: الجغرافية، ص ١٣١.

الخاتمـــة

وبعد، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- تتمتع مدينة قرطبة بموقع متميز جغرافياً واستراتيجياً، مما جعلها موطن استقرار العديد من الشعوب ، ومحط أنظار المؤرخين والجغرافيين في الحديث عنها.

٢- قرطبة عاصمة الأندلس الإسلامية، ويتبعها واحد وعشرون ربضاً وخمسة عشر اقليماً، ويحيط بها سور له سبعة أبواب، سمي كل باب باسم ما اشتهرت به الجهة التي يقع فيها.

٣- يوجد بمدينة قرطبة نهر وقنطرة وقصر ومسجد جامع ومصلى جديد ومقبرة للربض؛ كان لها جميعها اتصال بثورات الربض، قبل اندلاعها وبعده.

٤- مجتمع قرطبة البشري نموذج مصغر لمجتمع الأندلس الكبير، فهو يضم فئات بشرية مختلفة الجنسيات والأديان، من أهمها العرب والبربر والموالي والمستعربون والمسالمة والمولدون واليهود والصقالبة.

٥- لم يكن توزيع السكان في قرطبة منظماً تنظيماً دقيقاً، بل عشوائي، إذ نزلت كل قبيلة أو فئة في المكان الذي تريد، حسب ملاءمته لها، فكان هذا عامل فرقة بدلاً من أن يكون عامل وحده.

٦- اختلطت الفئات السكانية المختلفة بقرطبة مع بعضها، فكان هناك جانب ايجابي مشرق وجانب سلبي مظلم، تمثل الجانب المشرق في التزاوج والمصاهرة وتعايشهم وانسجامهم في جو تسوده الألفة والمحبة والأمن والطمأنينة، وهذا ساعد على نشر الإسلام واللغة العربية. أما الجانب المظلم، فتمثل في عدم وجود تجانس ديني وجنسي واجتماعي وثقافي بين جميع الفئات، مما أدى إلى ظهور حواجز وخلافات بينهم، كانت نتيجتها انتشار الفتن والاضطرابات.

٧- اتصف سكان قرطبة بصفات ايجابية وسلبية، تمثلت الايجابية منها في أنهم أهل وقار وعزة وهمم عالية وكرم وعلم وجهاد، والسلبية في تقلب امزجتهم وعدم رضاهم عن وضعهم الذي يعيشون، وكثرة اعتراضهم على الولاة وسياساتهم. وهذا يعود لاختلاف عناصرهم السكانية وكثرة التغييرات الدينية والادارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الذي يعيشون فيه.

٨- تفاوتت السياسة التي تعامل بها الأمراء الأمويون الأندلسيون مع الفئات السكانية المختلفة لمجتمع قرطبة، حسب المصلحة والأهداف التي يسعون لتحقيقها، فإذا كان من المفيد تقريب العرب واستبعاد غيرهم فعلوا ذلك، وإن كان من المفيد استبعاد العرب وتقريب الصقالبة في وقت آخر

فعلوا ، لكن السياسة الثابتة التي انتهجوا في التعامل مع كل الفئات هي انهم أتباع وليسوا شركاء لهم في الحكم.

٩- تلقب الحكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م، بعدة ألقاب، واتسم بعدة سمات خلقية كان طابعها التناقض، فمن لقب المرتضى الذي يحبه الناس إلى لقب الربضي الذي يكرهون، ومن العادل إلى الظالم، ومن المتواضع للحق إلى الفاسق المرتكب للمعاصي. وهذا يعود لكثرة التغييرات في حياته، فشخصيته قبل تولي الإمارة تختلف عنها بعد توليه إياها، وشخصيته وهو يافع لا يمتلك الخبرة تختلف عنها بعد نضجه واكتسابه للخبرات، وشخصيته في السلم تختلف عما هي عليه في الحرب وفي أثناء اندلاع الثورات الداخلية، فلكل مقام مقال، والانسان بطبيعته متغير، بتطور واختلاف الزمان والمكان والأحداث.

١٠- تميزت الفترة الزمنية التي تولى فيها الأمير الحكم الامارة بالعديد من الايجابيات والسلبيات تمثلت الايجابيات في تنظيمه لشؤون الدولة الدينية والسياسية والادارية والعسكرية والاقتصادية والأدبية، أما السلبيات، فتمثلت في كثرة الثورات والفتن الداخلية التي وقعت في عهده، والوسائل التي استخدمها في القضاء عليها.

١١- ساد المذهب المالكي في عصر الأمير الحكم، وبدأ المذهب الأوزاعي بالتراجع، مما أحدث تغييرات دينية أثرت في الفئات السكانية التي سعى معظمها لاعتناق المذهب الجديد الذي يستطيعون من خلاله تحقيق مصالحهم، لقوة اتباعه ومكانتهم الكبيرة في الدولة.

١٢- احترم الأمير الحكم القضاة والفقهاء والعلماء، وكان يمتثل لأحكام الشرع والحق، لكنه لم يكن يسمح لأحد بأن يشاركه في ملكه أو يتعدى على صلاحياته.

١٣- الأصل في العلاقة بين الحكام والفقهاء الاحترام والتفاهم، فالفقهاء يصبغون الشرعية على الحكام ويحثون الناس على طاعتهم ويقدمون النصح والمشورة لهم، وبالمقابل يحترم الحكام الفقهاء ويكرموهم ويقربوهم، لكن ما حدث زمن الأمير الحكم هو العكس، فلم تكن العلاقة حسنة بينه وبين الفقهاء، فقد انتقدوه ورفضوا التعاون معه، فضيق الخناق عليهم واستبعدهم وقلل شأنهم، فحرضوا الناس عليه، ونادوا بخلعه، وثار معظمهم عليه في ثورة الربض، وعارض بعضهم الثورة، وبقي الآخرون على الحياد.

١٤- ثورة الربض ثلاث، اندلعت الأولى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م والثانية سنة ١٩٠-١٩١هـ/٨٠٥-٨٠٦م والثالثة (الهيج) سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م والأخيرة هي أهمها، لما ترتب عليها من نتائج كبيرة وخطيرة وبعيدة المدى.

١٥- هناك أوجه تشابه واختلاف في ثورات الربض الثلاث، فهي تتشابه في أسبابها العامة وفي استمرارها لبعضها ومكان اندلاعها وبعض نتائجها، وتختلف في أسبابها المباشرة ومجرياتها وسنوات اندلاعها وبعض نتائجها.

١٦- تتمثل الأسباب العامة لثورات الربض في عدم رضى الفقهاء عن شخصية الأمير الحكم وسياسته في إدارة شؤون الدولة، وظهور التمييز في التعامل مع الفئات السكانية المختلفة، وعدم إشراف الدولة على تنظيم استقرار هذه الفئات، التي كانت تتميز بالعزة والانفة والطموح في السعي نحو الأفضل ولو على حساب الحاكم نفسه، هذا بالإضافة إلى قسوة الحكم وشدته وعنفه وجبروته وظلمه، وتقريبه للصقالبة على حساب الفئات الأخرى، وفرضه للضرائب الكثيرة كضريبتي المغارم وعشر الأطعمة.

١٧- لا يتحمل الأمير الحكم جميع الأسباب العامة التي أدت إلى اندلاع ثورات الربض في عهده، فبعضها قديم لا ذنب له فيه، وبعضها مما أقترفت يداه، برضاه أو بدونه.

١٨- تتمثل الأسباب العامة والخاصة لثورات الربض في الثورة الأولى، أما الثانية، فإن اسباب الأولى ونتائجها جزء منها، وينضاف إليها حنق الناس عليه ـ خصوصاً التجار ـ لما أحدثه من قتل وأسر وتشريد للثوار وزيادة للضرائب على الناس، أما الثالثة (الهيج)، فإن اسبابها تتمثل في اسباب الأولى والثانية ونتائجهما فالمزيد من الكراهية والحقد على الأمير الحكم، لما ارتكبه من مساوئ أدت إلى استمرار الفقهاء في تحريض الناس عليه، خصوصاً لما انتشرت حالات القتل بين الأهالي والمماليك الخرس، وازدادت أوضاع الناس سوءاً بسبب المجاعات.

١٩- تمثلت نتائج ثورات الربض في فشلها وقتل معظم المشاركين بها من الفقهاء، وسجن بعضهم الآخر وتشريدهم، وحرق ربضهم وهدمه وتثبيت أوضاع الدولة الأموية في الأندلس، والسيطرة عليها داخلياً، وتحسن أوضاع الفقهاء والعلماء بعد أن قدموا تضحيات كبيرة.

٢٠- تعود أسباب فشل الثورات إلى عدم وجود قيادة موحدة لها، وعدم تنظيمها إدارياً وعسكرياً، وقلة كفاية أفرادها، بالإضافة إلى وجود جواسيس للحكم مع الثوار، كانوا يزودونه بكل ما يحتاج إليه من معلومات في الوقت المناسب، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الفقهاء يحيى وعيسى وطالوت منهم، لكن المعلومات التي توافرت لنا لا تجعلنا نجزم باتهامهم أو تبرئتهم تماماً، فربما ساعدوا الأمير في البداية، ثم ندموا وثاروا عليه. وكانت النتيجة أن عفا عنهم لتطييب نفوسهم عليه، ولإرضاء الناس الذي غضبوا عليه في كل مدن بلاد الأندلس، ومنع قيام ثورات جديدة ضده، وسياسة الحكم هذه قديمة جديدة مستمرة يتبعها الحكام، ليحافظوا على عروشهم ويسيطروا على شؤون بلادهم.

٢١- توزع أهالي الربض بعد تشريدهم في ثلاث مناطق رئيسة: فاس في المغرب الأقصى، والإسكندرية في مصر، وجزيرة إقريطش في البحر الأبيض المتوسط.

٢٢- لم يرحب أهالي المغرب ومصر بالمهاجرين من الأندلس إلى بلادهم فنزلوا على الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط، وعاشوا على الصيد والزراعة والتجارة، وظلوا كذلك حتى تمكن الربضيون الذين نزلوا سواحل الإسكندرية من دخولها عنوة والسيطرة عليها مدة عقد من الزمان، أما الربضيون في المغرب، فقد تجمعوا لعمارتها بدعوة من إدريس الثاني.

٢٣- استقر الربضيون الذين نزلوا فاس بها، أما من نزلوا الإسكندرية، فقد اضطروا للخروج منها إلى جزيرة إقريطش (كريت) التي عمروها ما يقارب مائة وثمانية وثلاثين سنة، أحدثوا فيها تأثيرات سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وحضارية، وفكرية، واقاموا خلالها علاقات سياسية، وعسكرية، واقتصادية حسنة مع مناطق العالم الإسلامي، وبخاصة مع الدولة العباسية والدولة الفاطمية.

٢٤- إن رباط التزاوج والمصاهرة بين المهاجرين الأندلسيين والفئات السكانية التي عاشوا إلى جانبها في البلاد التي نزلوها أثمر في اظهار جيل تميز بالذكاء وسعة العلم والمعرفة.

٢٥- بذل البيزنطيون جهوداً مضنية في إخراج الربضيون المسلمين من جزيرة إقريطش، ونجحوا في ذلك سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م على يد القائد نقفور فوقاس، الذي تقلد عرش الإمبراطورية البيزنطية مكافأة له على ذلك.

٢٦- اضطر الربضيون بعد سقوط جزيرة إقريطش بيد البيزنطيين إلى الهجرة منها مسلمين أو البقاء بها متنصرين، ومنهم من بقي وتنصر ثم اضطر إلى الهجرة فيما بعد؛ وقد نزل كل هؤلاء بمواطن جديدة، فبعضهم عاد للإسكندرية حيث أهله وولده، وبعضهم عاد للأندلس ونزل بمدنها المختلفة، وآخرون نزلوا المدن الساحلية للبحر الأبيض المتوسط، ومنها انتقل لبلاد الشام الداخلية أو بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى.

٢٧- قد تكون عائلة "الربضي" التي تعتنق الديانة النصرانية في محافظة عجلون بالمملكة الأردنية الهاشمية، من الربضيين الذين تنصروا بجزيرة إقريطش ثم اضطروا إلى الخروج منها، وهذا لا يمنع من وجود أفراد من هذه العائلة يعتنقون الديانة الإسلامية في بلاد الشام والإسكندرية ومدن الأندلس، على اعتبار أنهم هاجروا مسلمين من الجزيرة قبل أن يضطروا إلى التنصر فيها .

٢٨- لم تتحدث الكتب التاريخية عن ثورات الربض بتسلسل ووضوح، فقد شابها الخلط والتشويش والنقص، وأغفلت الكتب الأدبية والشعرية هذه الثورات تماماً، مما يعطينا دلالة واضحة على حرص الأمراء الأمويين في طمس هذه الحادثة في الصدور والسطور، ولم يذكرها أحد، لكننا عدنا لنكشف أسرار هذه الثورات ونوضحها ونتعظ منها في القرن العشرين .

المصادر والمراجـــع

المخطوطـات:

١- ابن السباهي : محمد بن علـي (ت: ٩٩٧هـ/١٥٨٨م): أوضـح المسـالك إلى معرفـة البلـدان والممـالك، مخطـوط رقـم (٥٥٩)، مكتبـة الجامعـة الأردنيـة، عمـان: المملكـة الأردنية الهاشمية.

٢- ابن عساكر: قاسم بن علي بن حسن بن هبـة الله (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م): تـاريخ مدينـة دمشق وذكر فضلها وتسمية من دخلها مـن الأمـاثل أو اجتـاز بنواحيهـا مـن وارديها وأهلها، ١٩ج "الجزء التاسع"، دار البشـير، د.ت، صـور مـن نسـخة المكتبـة الظاهريـة بدمشق، وكمـل نقصهـا مـن النسـخ الأخرى بالقـاهرة ومراكش واستانبول، " المخطوط مصور على ورق فوتستات".

٣- الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسيني (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م): أنس المهج وروض الفرج: معهـد تـاريخ العلـوم العربيـة والإسـلامية في إطـار جامعة فرانكفورت، يصدرها: فـؤاد سـزكين، طبـع بـالتصوير عـن مخطوطـتي حكيم أوغلي وحسن حسني، مكتبـة السـليمانية في اسـتانبول، فرانكفـورت: جمهورية المانيا الاتحادية.

٤ - الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسيني (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م): ذكر بلاد الأندلس: مخطـوط رقـم (٣٠٤)، مكتبـة الجامعـة الأردنيـة، عمـان: المملكة الأردنية الهاشمية.

٥- الخشني: محمـد بـن حـارث (ت: ٣٦١هـ/٩٧١م): طبقـات الفقهـاء والمحدثـين في الأندلس، مخطوط رقـم (١٤٦٥)، مكتبـة الجامعـة الأردنيـة، عمـان: المملكـة الأردنية الهاشمية.

٦- الطهشواري: نوح بن مصطفى (ت: ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م): تـاريخ مصـر والنيـل وخـير مـن ملكهـــا مـن ابتـداء الزمـان، مخطـوط رقـم (١٠)، مركـز الوثـائق والمخطوطات/الجامعة الأردنية، عمان: المملكة الأردنية الهاشمية.

٧- العياشـي: سيل عبـد الله بـن محمـد بـن أبـي بكـر (ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م): الرحلـة العياشية (ماء الموائد)، ٢ج، "الجـزء الأول"، مطبوعـات دار المغـرب للتـأليف

والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، "المخطوط مصور على ورق فوتستات".

المصادر:

١- ابن الآبار: محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): كتاب الحلة السيراء، ٢ج، تحقيق: د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٢- ابن الآبار: محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة: تحقيق: ابراهيم الابياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري؛ القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٣- ابن ابي زرع: علي بن عبد الله الفاسي (ت : ٧٢٦هـ/١٣٢٥م): الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٤- ابن الاثير: عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، ١٣ج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥- ابن الأزرق: محمد بن علي الاندلسي (ت: ٨٩٦هـ/١٤٩٠م): بدائع السلك في طبائع الملك، ٢ج، "الجزء الثاني"، تحقيق وتعليق: د. علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٦- ابن اياس: محمد بن أحمد الحنفي (ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور/الجزء الأول: القسم الأول، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٧- ابن بشكوال: خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨هـ/١١٨٣م): كتاب الصلة، ٣ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، ١٩٦٦م، الجزء الثالث، تحقيق: ابراهيم الابياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري: القاهرة، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٨- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الطنجي (ت: ٧٧٨هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب

الاسفار، ٢ج، تحقيق وتعليق وتقديم: د. علي المنتصر الكتاني، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٩- ابن تغري بردي: جمال الدين بن يوسف الاتابكي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ج، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر: القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

١٠- ابن تيميه: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م): الخلافة والملك، تحقيق: حماد سلامه، مراجعة: د. محمد عويضة، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء: المملكة الأردنية الهاشمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١١- ابن جبير: محمد بن أحمد (ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير المسماة "رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"، دار مكتبة الهلال: بيروت: لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٢- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١٨ج (جزء ٩، ١٠)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣- ابن حبيب: عبد الملك بن حبيب الالبيري (ت: ٢٣٨هـ/٨٥٢م): كتاب التاريخ، دراسة وتحقيق: خورخي اغوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي: مدريد، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٤- ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): تهذيب التهذيب، ١٣ج، "ج١١"، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.

١٥- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): جمهرة انساب العرب ، ٢ج ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

١٦- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): رسائل ابن حزم الأندلسي، ٣ج، تحقيق: د. احسان عباس، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

١٧- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): رسائل ونصوص "فضائل الأندلس وأهلها" لابن حزم، وابن سعيد، والشقندي، نشر وتقديم: د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

١٨- ابن حوقل: ابو القاسم بن حوقل النصيبي (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م): كتاب صورة الأرض، مكتبة الحياة: بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

١٩- ابن حيان: حيان بن خلف القرطبي (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت: لبنان، د.ت.

٢٠- ابن حيان: حيان بن خلف القرطبي (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، القسم الثالث، وهو مشتمل على تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموي بقرطبة، اعتنى بنشره عن النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة البدليانة باكسفورد الأب ملشور م. انطونيه، برلس كتنر الكتبي: باريس، ١٩٣٧م.

٢١- ابن حيان: حيان بن خلف القرطبي (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق وتعليق وتقديم: د. محمود علي مكي، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٢٢- ابن خاقان: الفتح بن محمد بن عبد الله الاشبيلي (ت: ٥٢٩هـ/١١٣٥م): مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكه، الطبعة الأولى، دار عمار، مؤسسة الرسالة، سوريا: لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣- ابن الخراط: عبد الحق بن عبد الرحمن (ت: ٥٨١هـ/١١٨٦م): اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق وتقديم: ايميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي: مدريد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢٤- ابن خرداذبة: عبيد الله بن عبد الله (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م): المسالك والممالك، دار المدينة، مطبعة بريل: ليدن، ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م.

٢٥- ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: ٧١٣هـ/١٣١٣م): الاحاطة في أخبار غرناطة، ٤ج، تحقيق وتقديم : محمد عبد الله عنان، الطبعة الثقافية، ج١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٤، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٦- ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: ٧١٣هـ/١٣١٣م): كتاب أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت: لبنان، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

- المطبعة الجديدة، رباط الفتح، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
- دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني.

٢٧- ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: ٧١٣هـ/١٣١٣م): مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة رسائل في كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة/الإسكندرية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٢٨- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون المسمى "العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ٨ج، مراجعة وتعليق: خليل شحاده وسهيل زكار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٩- ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ٨ج، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٣٠- ابن دقماق: ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت: ٨٠٩هـ/١٤٠٦م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت، المطبعة الكبرى، بولاق، ١٣١٠هـ/١٨٩٣م.

٣١- ابن رسته: أحمد بن عمر (ت: حوالي ٣٠٠هـ/٩٠٠م): كتاب الاعلاق النفيسة، ليدن، بريل، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.

٣٢- ابن الزبير: الرشيد بن الزبير (ت: حوالي ٥هـ/١١م): كتاب الذخائر والتحف، تحقيق: د. محمد حميد الله، تقديم ومراجعة: د. صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

٣٣- ابن سعيد: علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق: اسماعيل العربي، الطبعة الأولى، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٣٤- ابن سعيد: علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب، ٢ج، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٣٥- ابن سهل: عيسى بن سهل الأندلسي (ت: ٤٨٦هـ/١٠٩٣م): الأحكام الكبرى (مخطوط):
"وثائق في أحكام أهل الذمة في الأندلس"، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة: د. محمود علي مكي ومصطفى كامل اسماعيل، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٣٦- ابن سهل: عيسى بن سهل الأندلسي (ت: ٤٨٦هـ/١٠٩٣م):
"وثائق في شؤون العمران في الأندلس (المساجد والدور)"، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة: محمود علي مكي ومصطفى كامل اسماعيل، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣٧- ابن الشباط: محمد بن علي المصري التوزري (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م): قطعة في وصف الأندلس وصقيلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط "ذكر فتح بلاد الأندلس"، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التعليم العالي، الادارة العامة للعلاقات الثقافية، معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م١٤، مدريد، ١٩٦٧ - ١٩٦٨م.

٣٨- ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م):
فتوح افريقيا والأندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٣٩- ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م):
فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

٤٠- ابن عبد ربه: احمد بن محمد الاندلسي (٣٢٨هـ/٩٣٩): العقد الفريد، ٧ج، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابياري، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج٤، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ج٥، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٤١- ابن عذاري: أحمد بن محمد المراكشي (ت: ٦٩٥هـ/١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب،تحقيق: ج.س كولان و أ.ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٤٢- ابن فرحون: برهان الدين ابراهيم بن علي المالكي (ت: ٧٩٩هـ/١٣٩٦م): كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب وبهامشه نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي (أحمد بن أحمد)، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

٤٣- ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٢م): تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٤٤- ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٢م): تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ٢ج، تصحيح ونشر: عزت العطار الحسيني ، مكتبة المثنى : بغداد ، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧٣هـ/١٩٧٤م.

٤٥- ابن الفقيه: أحمد بن محمد الهمذاني (ت: ٢٩٠هـ/٩٠٢م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

٤٦- ابن القوطية: محمد بن عمر (ت: ٣٦٧هـ/٩٢٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتقديم: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).

٤٧- ابن الكازروني: ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، واشراف: سالم الالوسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٤٨- ابن الكردبوس: ابو مروان عبد الملك التوزري (ت: بعد ٥٧٥هـ/١١٧٩م): تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان)، تحقيق: د. احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٤٩- ابن مسكوية: أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم (حوادث ١٩٨-٢٥١هـ)، ج٣، منشور ضمن كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق لمؤلف مجهول، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.

٥٠- ابن الوردي: زين الدين عمر (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تتمة المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، ٢ ج، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت: لبنان، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٥١- الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م): صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، مطبعة بريل ليدن، ١٠٧٩هـ/١٩٦٨م.

٥٢- الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م): القارة الافريقية وجزيرة الأندلس (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، تحقيق وتقديم وتعليق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٥٣- الاصطخري: ابراهيم بن محمد الفاسي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): كتاب الأقاليم، بلا .د.ت.

٥٤- الاصطخري: ابراهيم بن محمد الفاسي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك، طبعة - انتشارات كتابخانه صدر. د. ت.

٥٥- الانطاكي: يحيى بن سعيد بن يحيى (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٧م): تاريخ الانطاكي المعروف في "صلة تاريخ اوتيخا"، تحقيق وفهرسة: د. عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس: لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٥٦- الاوسي: محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت: ٧٠٣هـ/١٣٠٣م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان، السفر الرابع، ١٩٦٤م، السفر الخامس، ١٩٦٥م.

٥٧- البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، ٣ج، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت: لبنان، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٥٨- البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: د. عبد الرحمن علي الحجي، الطبعة الأولى، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

٥٩- البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): جغرافية مصر من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: د. عبد الله يوسف الغنيم، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٦٠- البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.

٦١- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٢- ابو الصلت: أمية بن عبد العزيز الأندلسي (ت: ٥٢٨هـ/١١٣٣م): "الرسالة المصرية"، منشورة ضمن كتاب نوادر المخطوطات، ٢ج، "الجزء الأول"، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٦٣- ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م): كتاب تقويم البلدان، تعليق: رينارد وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م.

٦٤- الحموي: شهاب الدين ابي عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، بلا، د.ت.

٦٥- الحموي: شهاب الدين ابي عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، د. ت.

٦٦- الحميدي: محمد بن ابي نصر (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق وتقديم: ابراهيم الابياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٧- الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت: ٨٦٦هـ/١٤٦١م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. احسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان: بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٦٨- الخشني: محمد بن حارث بن اسد القيرواني (ت: ٣٦١هـ/٩٧١م):
أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويسا ابيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦٩- الخشني: محمد بن حارث بن اسد القيرواني (ت: ٣٦١هـ/٩٧١م):
قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٧٠- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ٢٦ ج.
- ج١٢، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ج١٤ ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ج٢٦، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، بلا، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٧١- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
سير اعلام النبلاء، ١٥ ج:
ج ٨ ، تحقيق: نذير حمدان، اشراف: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
ج ٩، تحقيق: كامل الخراط، اشراف: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
ج١٠، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، اشراف: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٧٢- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
العبر في خبر من غبر، ٤ج، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، د.ت.

٧٣- الرشاطي: عبد الله بن علي (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م): الاندلس في اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: ايميليو مولينا وخانثيتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧٤ـ الزبيدي: محمد بن الحسن الأندلسي (ت: ٣٧٩هـ/٩٨٩م): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، د. ت.

٧٥ـ الزجالي: عبيد الله أحمد القرطبي (ت: ٦٩٤هـ/١٢٩٤م): أمثال العوام في الأندلس، ٢ ج، مستخرجة من كتاب ري الارام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، دراسة: محمد بن شريفه، بلا . د.ت.

٧٦ـ الزهري: محمد بن ابي بكر (ت: ٥٥٦هـ/١١٦٠م): كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، بلا. د. ت.

٧٧ـ الزياني: ابو القاسم أحمد (ت: ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م): الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق : عبد الكريم الفيلاني ، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٧٨ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين (ت: ٩١١هـ/١١٦٦م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تصحيح: أمين الخانجي وأحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

٧٩ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين (ت: ٩١١هـ/١١٦٦م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم الرفاعي ومحمد العثماني، الطبعة الأولى، دار العلم، بيروت: لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٨٠ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين (ت: ٩١١هـ/١١٦٦م): كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ٢ ج، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣٢١هـ/١٩٠٣م.

٨١ـ الشقندي: اسماعيل بن محمد (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣١م): رسالة الشقندي في فضل الأندلس، منشورة ضمن كتاب رسائل ونصوص "فضائل الأندلس وأهلها"، تقديم: د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

٨٢ـ شيخ الربوة: شمس الدين بن محمد الانصاري (ت: ٧٢٧هـ/١٣٢٦م): كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م.

٨٣ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت: ٧٦٤هـ/١٣٩٢م): كتاب الوافي بالوفيات، ١٧ ج:

- ج١٣: باعتناء: محمد الحجيري: الطبعة الثانية، دار النشر: فرانز شتايز، شتوتغارت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ج١٥: باعتناء: بيرند راتكه، دار النشر: فرانز شتايز، بفيسبادن، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ج١٧: باعتناء: دوروتيا كرافولسكي، دار النشر، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م.

٨٤ـ الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٣م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٨٥ـ الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٣م): بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، ٢ ج، تحقيق: ابراهيم الابياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري: القاهرة، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٨٦ـ الطبري: محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، ١١ ج، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار سويدان، بيروت: لبنان، د. ت.

٨٧ـ الطرطوشي: محمد بن محمد بن الوليد (ت: ٥٢٠هـ/١١٢٦م): سراج الملوك، الطبعة الأولى، المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة: مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

٨٨ـ العبدري: محمد بن محمد الحيحي (ت: ٦٨٨هـ/١٢٨٩م): رحلة العبدري المسماة "الرحلة المغربية"، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٨٩ـ العذري: أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي (ت: ٤٧٨هـ/١٠٨٥م): نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، تحقيق: د. عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٩٠ـ العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "ممالك مصر والشام والحجاز واليمن"، تحقيق وتقديم وفهرسة: ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت.

٩١- عياض: عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت: ٥٤٤ هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، ٥ج

- ج٣: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المطبَعة الملكية، الرباط، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- ج٤: مطبعة فضالة، المحمدية، الرباط، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- ج٥: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تحقيق: محمد بن شريفة، د.ت.

٩٢- الغساني: محمد بن عبد الوهاب (ت: ١١١٩هـ/١٧٠٧م): رحلة الوزير في افتكاك الاسير، تقديم وترجمة وتعليق: الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرنسكو (فرنكو). د. ت.

٩٣- قدامه بن جعفر: (ت: ٣٧٧هـ/٩٤٨م): الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي: دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٩٤- القرطبي: عريب بن سعد (ت: ٣٦٩هـ/٩٧٩م): صلة تاريخ الطبري، مطبعة بريل، ليدن، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.

٩٥- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

٩٦- القلقشندي: أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م):
صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٣ج، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت.

٩٧- القلقشندي: أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م):
مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، "الجزء الأول"، وزارة الارشاد والانباء، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٩٨- قنيتو: عبد الرحمن سنبط الاربلي (ت: ٧١٧هـ/١٣١٧م): خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك، تصحيح: مكي السيد قاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.

٩٩- القيرواني: ابراهيم بن القاسم الرقيق (ت: ٤١٧هـ/١٠٢٦م): تاريخ افريقية والمغرب، "قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى آخر القرن الثاني الهجري"، تحقيق وتقديم: المنجي الكعبي، الناشر: رفيق السقطي، مطبعة الوسط، تونس، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

١٠٠- الكتاني: محمد بـــن الحسن بـــن الحسين (ت: حوالي ٤٢٠هـ/١٠٢٩م): كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

١٠١- الكتبي: محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ/١٣٩٢م): فوات الوفيات والذيل عليها، ٤ ج، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان.

١٠٢- الكرديزي: ابو سعيد عبد الحي (ت: حوالي ٥٥٠هـ/١١٥٥م): كتاب زين الاخبار، تعريب: محمـــد بـــن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية، فاس، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٠٣- الكندي: محمد بن يوسف المصري (ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م): ولاة مصر، تحقيق: د. حسين نصار، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

١٠٤- الكندي: محمد بن يوسف المصري (ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م): كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح: رفن كتت، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

١٠٥- المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مراجعة: محمد الفاسي، مطبعة الثقافة، سلا، المغرب، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١٠٦- المسعودي: علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ/٩٤٧م)، التنبيه والاشراف، دار الهلال، بيروت: لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

١٠٧- المقدسي: محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٣٧٥هـ/٩٨٥م): أحسن التقاسيم في معرفـــة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٠٨- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيـــب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ ج، تحقيق: د. احسان عباس، دار صـــادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠٩- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢ ج، دار صادر، بيروت، د.ت. مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

١١٠- المكناسي: أحمد بن القاضي (ت: ١٠٢٥هـ/١٦١٦م): جذوة الاقتباس في ذكر من حـل من الاعلام مدينة فاس، ٢ج، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١١١- المكناسي: محمد بن عثمان (ت: ١٢١٢هـ/١٧٩٨م): الأكسير في فكاك الاسير، تحقيق وتعليق: محمد الفاسي، نشر: المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

١١٢- المنوفي: محمد بن عبد المعطي الاسحاقي (ت: ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م): اخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول وبهامشه تحفة الناظر فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين لعبد الله الشرقاوي، بلا. د.ت.

١١٣- مؤلف مجهول: (ت: ٤هـ/١٠م): اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة ربدنير، مجريط، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، مكتبة المثنى، بغداد.

١١٤- مؤلف مجهول: (ت: ٥هـ/١١م): العيون والحدائق في اخبار الحقائق، ج٣، بلا. د.ت.

١١٥- مؤلف مجهول: (ت: حوالي ٥٨٧هـ/١١٩١م): كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د.ت.

١١٦- مؤلف مجهول: (٣هـ/٩م): وصف جديد لقرطبة الاسلامية، نشر: حسين مؤنس، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التعليم العالي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، فرانثيسكو دي اسيس مندث كاسار بيجو، م١٣، مدريد ١٣٨٥-١٣٨٦هـ/١٩٦٥-١٩٦٦م.

١١٧- الناصري: أحمد بن خالد (ت: ١٣١٩هـ/١٩٠١م): الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، ٩ج، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

١١٨- النباهي: علي بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (ت: بعد ٧٩٢هـ/١٣٩٠م): تاريخ قضاة الأندلس المسمى " المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، نشر:أ. ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

١١٩- النعمان: القاضي النعمان بن محمد (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م): كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وابراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية، تونس، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٢٠- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م):
نهاية الارب في فنون الادب، ٢٧ج، "ج٢٣"، تحقيق: أحمد كمال زكي، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

١٢١- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م):
تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، ج٢٢، (افريقية، المغرب، الاندلس، صقيلية وإقريطش، ٢٧-٧١٩هـ/٦٤٧-١٣١٩م) من كتاب نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق: د. مصطفى ابو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت.

١٢٢- الوريثلاني: الحسن بن محمد (ت: ١١٩٣هـ/١٧٧٩م): نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار المشهورة في "الرحلة الوريثلانية"، مطبعة بيير فونتانا المشرقيـة، الجزائر، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

١٢٣- وكيع: محمد بن خلف بن حيان (ت: ٣٠٦هـ/٩١٨م): اخبار القضاة، ٣ج، (ج٣)، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

١٢٤- الونشريسي: أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني (ت: ٩١٤هـ/١٥٠٨م):
اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر ، نشر : د. حسين مؤنس، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التربية والتعليم للاقليم المصري، الادارة العامة للعلاقات الثقافية ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، معهد الدراسات الاسلامية، مايتاس مونتيرو رقم (١٤)، مدريد، العدد (١-٢)، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

١٢٥- الونشريسي: أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني (ت: ٩١٤هـ/١٥٠٨م):
كتاب الولايات: ترجمة ونشر: هنري برونو وجودفروه دمونبين، المطبعة الجديدة، رباط الفتح، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

١٢٦- الونشريسي: أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني (ت: ٩١٤هـ/١٥٠٨م):
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، ١٣ج، تخريج: جماعة من الفقهاء باشراف:محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٢٧- اليعقوبي: أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

تاريخ اليعقوبي، ٢ج، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٢٨- اليعقوبي: أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

كتاب البلدان، منشور ضمن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م،

- نسخة ثانية، مطبوعات ومنشورات المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، د.ت.

المراجع:

١- ابو ارميله: هشام: نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، بلا، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٢- آبل: ارمان: "اسبانية: الانقسام الداخلي"، من كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، المحرر: كرونباوم. جي. تي، ترجمة: صدقي حمدي، مراجعة: صالح العلي.

٣- أحمد: مصطفى ابو ضيف: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، ٩١-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣١م. بلا. د.ت.

٤- ارسلان: شكيب: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، د.ت.

٥- الاوسي: حكمة علي: فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٦- اومان: الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى طه بدر، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

٧- باشا: ضيا: الأندلس الذاهبة، ٣ج، تعريب: عبد الرحمن ارشيدات، مراجعة: صلاح ارشيدات، وزارة الثقافة والاعلام، عمان، المملكة الاردنية الهاشمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٨- بالنثيا: آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية: د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، دار النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

٩- البتوني: محمد لبيب: رحلة الأندلس، الطبعة الأولى، مطبعة الكشكول، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

١٠- بدر: أحمد: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة)، بلا، دمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١١- بدر: أحمد: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، الطبعة الثانية، مكتبة أطلس، دمشق،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٢- البرقوقي: عبد الرحمن: حضارة العرب في الأندلس "رسائل تاريخية على لسان رحالة مصري رحل به إلى الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري، مطبعة المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م.

١٣- بروفنسال: أ. ليفي: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

١٤- بروفنسال: أ. ليفي: مادة "ربض"، ج١، "المعارف الإسلامية".

١٥- بروفنسال: أ. ليفي: الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، منشورات معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الاسبانية، دار الطباعة المغربية، مطبعة كريماديس، تطوان، ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

١٦- بروكلمان: كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٧- البستاني: بطرس: كتاب دائرة المعارف، ٦ ج، مطبعة المعارف، بيروت، ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، طبعة أخرى، ١٢ ج، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليات، تهران، د.ت.

١٨- بيضون: ابراهيم: الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، ٩٢-٤٢٢هـ/٧١١- ١٠٣١م، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

١٩- بيك: فردريك: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب: بهاء الدين طوقان، الدار العربية للتوزيع والنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، د.ت.

٢٠- الجارم: علي: قصة العرب في اسبانيا، دار المعارف، مصر، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٢١- جيس: ف : مادة "إقريطش"، ج٢، دائرة المعارف، انتشارات جهان.

٢٢- حتي: فيليب وادوارد جرجي وجبرائيل جبور: تاريخ العرب (مطول)، ٢ ج، الطبعة الرابعة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٣- الحجي: عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م، الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢٤- الخالدي: خالد يونس عبد العزيز: الاستقرار العربي الإسلامي في الأندلس في عصر الولاة، ٩٢-١٣٨هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، باشراف الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله.

٢٥- خلاف: محمد عبد الوهاب: قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي، الخامس الهجري، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٢٦- الدغلي: محمد سعيد: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، دار اسامة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٢٧- الدقاق: عمر: ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.

٢٨- دياب: صابر محمد: سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٢٩- راشد: زينب عصمت: كريت تحت الحكم المصري ١٨٣٠-١٨٤٠، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٦٤م.

٣٠- رستم : أسد: الروم في سياستهم، حضارتهم، ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ٢ ج ، الطبعة الأولى، دار الكشوف، بيروت: لبنان، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

٣١- رينو: جوزيف: الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، تعريب وتعليق وتقديم: د. اسماعيل العربي، الطبعة الأولى، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٣٢- الزركلي: خير الدين: الاعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ٨ ج، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٣٣- سالم: السيد عبد العزيز: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٣٤- سالم: السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٣٥- سالم: السيد عبد العزيز: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ٢ ج، (دراسة تاريخية، عمرانية، اثرية في العصر الإسلامي):

ج١: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ج٢: دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٣٦- سيبولد: س.ف.: مادة "ابو حفص"، ج١، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتاوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، بلا، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

٣٧- سيسالم: عصام سالم: جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، ٨٩-٦٨٥هـ/٧٠٨-١٢٨٧م، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٣٨- الشعراوي: أحمد ابراهيم: الأمويون: أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٣٩- شلبي: أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ٥ج، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٤٠- شلبي: عمر راجح عارف: عبد الرحمن الثاني الأوسط (سياسته الداخلية والخارجية في الأندلس)، ٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، باشراف الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله.

٤١- الشيال: جمال الدين: تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، مطبعة معهد دون بوسكو/ دار المعارف/الاسكندرية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٤٢- الشيخ: محمد محمد مرسي: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، ١٣٨-٣٦٦هـ/٧٥٥-٩٧٦م، مؤسسة الثقافة العامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٤٣- صقر: نادية حسني: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، "دراسة تحليلية لعهد الواثق بالله"، المكتبة الفيصلية، بيروت: لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤٤- الصوفي: خالد: تاريخ العرب في الأندلس: عصر الامارة: من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، ١٣٨-٣٥٠هـ/٧٥٥-٩٦٠م، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ليبيا، د.ت.

٤٥- الطرابلسي: نوفل: صناجة الطرب في تقدمات العرب، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت: لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٤٦- عاشور: سعيد عبد الفتاح: أوروبا في العصور الوسطى ٢ج، الطبعة العاشرة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٤٧- العبادي: أحمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ٢ج، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت. وهذا الكتاب بالاشتراك مع د. عبد العزيز سالم.

٤٨- العبادي: أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.

٤٩- العبادي: أحمد مختار: الصقالبة في اسبانيا "لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية"، وزارة المعارف العمومية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

٥٠- العبادي: عبد الحميد: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي (عصر الدولة العباسية والمغرب والأندلس)، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

٥١- عباس: احسان: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، الطبعة السابعة، دار الثقافة، بيروت: لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٥٢- عبد البديع: لطفي: الإسلام في اسبانيا، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

٥٣- عبد الحليم: رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب العربي: القاهرة، دار الكتاب اللبناني: بيروت، د.ت.

٥٤- عبد الرحمن: نصرت: شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ (العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع)، مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن، د.ت.

٥٥- العربي: اسماعيل: دولة الادارسة: ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

٥٦- العريني: السيد الباز: الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٥٧- علي: سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية: عفيف البعلبكي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٥٨- عمران: محمود سعيد: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٥٩- عمران: محمود سعيد: نيقولا مستيقوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية من خلال مراسلاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٦٠- عنان: محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

٦١- عنان: محمد عبد الله: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٦٢- عنان: محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ٣ ج، العصر الأول/القسم الأول، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٦٣- غنيم: اسمت: الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، صفحات مشرقة ومشرفة في تاريخ المسلمين في العصور الوسطى، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

٦٤- غنيم: اسمت: تاريخ الامبراطورية البيزنطية (٣٢٤هـ/١٤٥٣م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٦٥- فازيليف: أ.أ.: العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيره، مراجعة: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، د.ت.

٦٦- فروخ: عمر: العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٦٧- فكري: أحمد: قرطبة في العصر الإسلامي (تاريخ وحضارة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت.

٦٨- قسطنطين السابع: يوفيروجينتوس: ادارة الامبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق: محمد سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، (استخدم بوضع سنوات الأباطرة البيزنطيين).

٦٩- الكاشف: سيده اسماعيل: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٧٠- الكبيسي: خليل ابراهيم: دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٧١- لوبون: غوستاف: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

٧٢- لومبارد: موريس: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميده، دار الفكر، دمشق، د. ت.

٧٣- محمود: منى: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، ٩٢-٢٠٦هـ/٧١٤-٨١٥م، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٧٤- محمود: نافع: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧٥- مهيدات: محمود محسن فالح: عشائر شمالي الأردن، دار عمار، عمان: المملكة الأردنية الهاشمية.

٧٦- مورينو: مانويل جوميث: الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة: د. لطفي عبد البديع، ود. السيد عبد العزيز سالم، مراجعة: د. جمال محمد محرز، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، د.ت.

٧٧- موسى: عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٧٨- الموسوي: رشاد: الحسين والعبقرية الهاشمية في مواجهة التحديات، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٧٩- المومني: محمد خالد: جهود حسان بن النعمان في فتح بلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله.

٨٠- مؤنس: حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، الطبعة الثانية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة مدبولي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٨١- مؤنس: حسين: رحلة الأندلس/حديث الفردوس الموعود، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٨٢- مؤنس: حسين: شيوخ العصر في الأندلس، المكتبة الثقافية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٨٣- مؤنس: حسين: فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، ٧١١هـ/٧٥٦م، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جده، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٨٤- مؤنس: حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار مطابع المستقبل، القاهرة: مصر، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٨٥- نجم: سليمان حسين حسن: المذهب المالكي وأثره في الحياة الأندلسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله.

٨٦- النصولي: انيس زكريا: الدولة الأموية في قرطبة، المطبعة العصرية، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

٨٧- هنتس: فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: د. كامل العسلي، الطبعة الثانية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

٨٨- هيكل: أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة: مصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

الدوريات:

١- ابو الفضل: محمد أحمد: "قضاة الجماعة بالأندلس في عصر الإمارة الأموية، ١٣٨-٣٠٠هـ/٧٥٦-٩٢٩م"، مجلة كلية الآداب، جامعة الامارات العربية المتحدة، العدد (٥)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢- بروفنصال (بروفنسال): أ. ليفي: "تأسيس مدينة فاس"، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط: المغرب، العدد (٣١)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٣- بوتشيش: ابراهيم القادري: "تطور ملكية أراضي الجيش في الأندلس منذ الفتح العربي حتى مطلع عصر الخلافة"، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط: المغرب، العدد (٣٨)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٤- بوتشيش: ابراهيم القادري:"المشكل القانوني للملكية العقارية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى مطلع القرن ٤هـ"، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط: المغرب، العدد (٣٦)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٥- تاويت: محمد: "بين أمويي الأندلس والادارسة"، تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، الجامعة المغربية ، كلية الآداب ، معهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، العدد (٨)، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٦- حاجيات: عبد الحميد: "تاريخ دولة الادارسة من خلال كتاب نظم الدر والعقيان"، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات الوطنية، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد (٩)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٨٦- النصولي: انيس زكريا: الدولة الأموية في قرطبة، المطبعة العصرية، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

٨٧- هنتس: فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: د. كامل العسلي، الطبعة الثانية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

٨٨- هيكل: أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة: مصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

الدوريات:

١- ابو الفضل: محمد أحمد: "قضاة الجماعة بالأندلس في عصر الإمارة الأموية، ١٣٨-٣٠٠هـ/٧٥٦-٩٢٩م"، مجلة كلية الآداب، جامعة الامارات العربية المتحدة، العدد (٥)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢- بروفنصال (بروفنسال): أ. ليفي: "تأسيس مدينة فاس"، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط: المغرب، العدد (٣١)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٣- بوتشيش: ابراهيم القادري: "تطور ملكية أراضي الجيش في الأندلس منذ الفتح العربي حتى مطلع عصر الخلافة"، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط: المغرب، العدد (٣٨)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٤- بوتشيش: ابراهيم القادري:"المشكل القانوني للملكية العقارية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى مطلع القرن ٤هـ"، البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط: المغرب، العدد (٣٦)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٥- تاويت: محمد: "بين أمويي الأندلس والادارسة"، تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، الجامعة المغربية ، كلية الآداب ، معهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، العدد (٨)، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٦- حاجيات: عبد الحميد: "تاريخ دولة الادارسة من خلال كتاب نظم الدر والعقيان"، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات الوطنية، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد (٩)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٧- حتامله: أ. د. محمد عبده: "ملامح حضارية في الأندلس"، بحث منشور ضمن كتاب: بحوث ودراسات مهداه إلى عبد الكريم محمود غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، بلا، ١٩٨٩م.

٨- الدشراوي: فرحات: "قضية إقريطش في عهد المعز لدين الله"، مجلة البحث العلمي، حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، العدد (٢)، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٩- رحمة الله: مليحه: "الحياة الاجتماعية كما وردت في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي"، المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد (٤٤)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٠- رزوق: محمد: "تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأقصى"، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المغرب، الدار البيضاء، العدد (٣)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١١- سالم: السيد عبد العزيز: "أضواء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة"، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التعليم العالي، مدريد، المجلد (١٥)، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٢- سالم: السيد عبد العزيز: "قرطبة في العصر الإسلامي"، المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، مطبعة الارشاد، بغداد: العراق، العدد (١٢)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

١٣- سالم: محمود عبد العزيز: "أثر الفن الخلافي بقرطبة في العمارة المسيحية باسبانيا وفرنسا"، مجلة المجلة، مسجل الثقافة الرفيعة، القاهرة: مصر، العدد (١٤)، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

١٤- السعيد: السعيد مصطفى: "الروابط الثقافية بين اسبانيا ومصر"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، المجلد (١٢)، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

١٥- الشعراوي: أحمد ابراهيم: "هياج الربض ثورة شعبية على الحكم الأموي الأندلسي"، ندوة الأندلس، الدرس والتاريخ، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٦- شيبوب: صديق: "جمهورية أندلسية بالإسكندرية"، مجلة الكتاب، دار المعارف للطباعة والنشر، المجلد (٧)، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م.

١٧- الشيخلي: صباح ابراهيم: "العناصر السكانية في مدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى"، مجلة أداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، العراق، العدد (٨)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١٨- الطيبي: أمين توفيق: "إمارة عربية أندلسية في جزيرة إقريطش (كريت)، ٢١٢-٣٥٠هـ/ ٨٢٨-٩٦١م"، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، طرابلس، العدد (١)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ومنشور أيضا في:

- دراسات وبحوث في تاريخ العرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا: تونس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد: العراق، العدد (٢٨)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٩- الطيبي: أمين توفيق:"النقود العربية": انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، المجلة الاجتماعية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، العدد (٦٧)، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ومنشور أيضا في:

- المؤرخ العربي، بغداد: العراق، العدد (١٩)، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

٢٠- عثمان: محمد عبد العزيز: "ثورة الربض ثورة شعبية عن تاريخ الأندلس"، مجلة آفاق عربية، الصرافية، بغداد، العدد (٣)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

٢١- العدوي: ابراهيم "إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، مصر، المجلد (٣)، العدد (٢)، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.

٢٢- الكتاني: محمد: "المذهب المالكي بالمغرب والأندلس: نظرات في النشأة والاستقرار"، بحوث الملتقى الاسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية (التاريخ، العلم والمجتمع)، غرناطة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، مدريد ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٣- ماجد: جعفر: "العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة"، حولية الجامعية التونسية، تونس، العدد (١٣)، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م.

٢٤- محمد: سوادي عبد: "الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مجلة آداب المستنصرية، كلية الآداب، العراق، العدد (١٣)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٢٥- مصطفى: عدنان : "نظرية ريبيرا حول عروبة الأندلس"، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، قطر، العدد (١٢)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢٦- مؤنس: حسين: "المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد (٤)، العدد (١)، ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

٢٧- النكدي: عارف: "الأندلس: عبرة وذكرى ٢"، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق: سوريا، المجلد (٩)، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.

٢٨- الوزاد: محمد: "الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، العدد (٤-٥)، ١٤٠١- ١٤٠٢هـ/١٩٨٠-١٩٨١م.

المراجع الأجنبية

1- Dozy. Reinhart: Histoire Des Musulmans D'Espagne (711 - 1110) , 2 Edition, Nouvelle Edition Ruvue. Et Mise A'Jour Par E . Lévl-Provencal , Librairie Et Imprimerie Cl-Devant E.J. Brill S.A. Leyde-Hollande, 1932.

2- Dozy. Reinhar: Spanish Islam : A History of the Moslems in Spain, Translated with a Biographical Introduction and Additional, Notes by: Francis Griffin Stokes, Frank Cass:London New Impression, ISBN, 1972.

3- Imam Uddin S.M: A Political History of Muslim Spain, Najmah Sons, Dacca, Pakistan.

4- Imam Uddin S.M: "Cordovan Muslim Rule in Iqritish (Crete) , 827-961 A.C)". Journal of Pakistan Historical Society, Vol/VIII, 1960.

5- Makki: Mahmud: Egipto Y La Historio Gr-Afia Arabigo-Española, Pevista Del Instituto De Estuplos Islamicos En Madrid. Fask 1-2 Madrid,1957.

6- Monés: Hussain: División Administrativa De La España Musulmana. Pevista Del Instituto De Estuplos Islámicos En Madrid. Fask (1-2),Madrid, 1957.

7- Provencal: E.lévi: "Abu Hafs'umar": The Encyclopaedia of Islam, Prepared by: A number of Leading Orientalits, Volume 1, Leiden E.J. Brill: London, Iuzac & Co. 1960.

8- Provencal: E.lévi: Histoire De L'espagne Musulmane Tome Premier La Conouete Et L'emirat Hispano-Umaiyade (710 -912), Paris, Ed. Gp. Maisonnevve. Leiden, E.D.E. J. Brill, 1950.

9- Reino: Granada. Su: "Revista Del Centro De Estudios Históricos", Historia De Espana Y Africa, Por En Nuguairi, Num. 4, Tom VIII, 1918.